



سلطنة عُمان
وزارة التراث القومي والثقافة

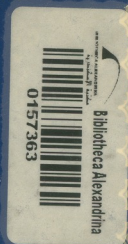
حَمَائِكُ

ندوة الدراسات العُمانية

البحوث والدراسات التي قدمت في الندوة

ذوالحجة ١٤٠٠ هـ - نوفمبر ١٩٨٠ م

المجلد الرابع





سلطنة عُمان
ة التراث القومي والثقافة

حَضَائِكُ

ندوة الدراسات العُمانية

ذوالحجة ١٤٠٠ هـ - نوفمبر ١٩٨٠ م

المجلد الرابع

**الآراء والمعلومات الواردة في هذه البحوث
تعبر عن رأي الباحثين وعلى مسئوليتهم**

صفحات مطوية
من تأثيرات الحضارة الفارسية في المغرب
للدكتور محمد سليمان أيوب

المقدمة

تعد سلطنة عمان منذ عصور موعلة في القدم مركزا حضاريا عالميا هاما ، وذلك أنها بحكم موقعها الجغرافي الذي يدل على ثلاث بحار هامة وهى : المحيط الهندى وبحر العرب والخليج ملتقى للحضارات الثلاث القديمة التى قامت فى أودية أنهار السند ودجلة والفرات والنيل ، فمنذ عصور ما قبل التاريخ كانت الطرق البحرية التى ربطت المراكز الحضارية فى تلك الأودية الكبرى تمر عبر عمان القديمة وموانئها ، فلا شك ان تلك الموانئ أو الأسواق كانت عامرة بمنتجات تلك البلاد المتباعدة ولاشك وان التجارة التى ازدهرت فى عمان الاسلامية كان لها أصل يمتد عميقا فى خلال التاريخ القديم .

إذا ألقينا نظرة على خريطة كل من سلطنة عمان والمملكة المغربية لوجدنا رغما عن بعد الشقة تشابها بينهما لحد كبير فى الموقع والتضاريس وفى تجاوب الإنسان لتحدى البيئة .

فأما من ناحية الموقع فإن سلطنة عمان تقع فى أقصى الركن الجنوبي الشرقى للعالم العربى ، بينما تقع المملكة المغربية فى أقصى الركن الشمالى الغربى من العالم العربى ، أى أنهما يكوئنان زاويتين متقابلتين فى مستطيل يمثل الأقطار العربية ، وإذا كانت عمان تطل على بحر وخليج ومحيط (البحر العربى ، الخليج ، المحيط الهندى ، فكذلك المغرب تطل على بحر وخليج ومحيط (البحر الأبيض المتوسط مضيق جبل طارق ، المحيط الأطلسى) .

هذا من ناحية الموقع إما من ناحية التضاريس فإن عمان فى مجموعة عبارة عن سهل ساحلى يتفاوت بين الضيق والاتساع تعقبه مرتفعات جبلية

تفصل بين السهل الساحلى والصحراء بالداخل • وقد ساعدت تلك المرتفعات على حمل الرياح الموسمية أن تسقط أمطارها على سفوحها مما ساعد على قيام حركة زراعية نشطة ، كذلك الحال بالنسبة للمغرب فقد وقفت الكتل الصخرية التى تكون جبال الأطلس حائلا بين السهل الساحلى (الذى يتفاوت بدوره بين الاتساع والضيق) وبين الصحراء فى الداخل • وقامت جبال الأطلس بالمغرب بنفس الدور الذى قام به الجبل الأخضر فى عمان اذ كان العامل الفعال فى اسقاط الأمطار الشتوية •

وإذا كانت نسبة الأمطار فى عمان اليوم رغما عن وفرتها بالنسبة لباقي الجزيرة العربية قليلة ومحدودة فإن الأمر لم يكن كذلك فى عصور ما قبل التاريخ ففى خلال أواخر الزمن الثالث الجيولوجى والزمن الرابع كانت كمية الأمطار التى تسقط على الجانب الجنوبى الشرقى من الجزيرة العربية غزيرة لدرجة سمحت بتوفر أشجار الغابات على سفوح الجبال وقد استمر هذا الحال حتى قرابة الألف السادس قبل الميلاد أو قبلها بقليل • فكانت الغابات مرتعا لحيوانات الصيد وكان الإنسان الذى سكن تلك البقعة والذى لازلنا لليوم نجهل صفاته السلالية يقوم بصيد تلك الحيوانات البرية •

اما بالنسبة للمغرب فقد أجريت منذ عصر الحماية الفرنسية بحوث تمخضت عن العثور على الكثير من بقايا عظام وحفائر الحيوانات الغابوية مثل الفيل والخرثيت وقرس النهر وهى حيوانات لم يعد لها وجود بالمغرب الآن ، كما يمتاز المغرب أيضا بالدراسات التى أجريت على السلالات التى سكنت فيه منذ بداية ظهور الإنسان وهى الجماعات البشرية التى يطلق عليها الاصطلاح السلالى *Homo Erectus* الذى وجدته فى موقع سيدى عبد الرحمن قرب مدينة الدار البيضاء و *Homo Neanderthal* الذى عثر على جمجمته فى إحدى الكهوف قرب مدينة طنجة •

ولقد كان للبيئة تأثيرها منذ القدم على كل من عمان والمغرب فقد احتفظت الأولى رغم كونها جزء من جزيرة العرب بخصائص حضارية مميزة تختلف عن جيرانها ، فقد احتفظ سكان عمان دائما بدمائة اخلاقهم وهذوتهم وقدره اناملهم على مهارة الصناعة في مواجهة جيرانهم من البدو ، وكذلك الحال بالمغرب فقد أولع المغاربة بالبناء والتشييد والصناعة على عكس جيرانهم الذين لم يعنوا بالبناء الا قليلا . وتشبث العمانيون بالزراعة وعملوا على تطويرها حتى أنهم ادخلوا القنوات الجوفية المعروفة بالاغلاج عندما قلت الأمطار ، وكذلك عمل المغاربة على نشر الزراعة في بلادهم واستغلال كافة طاقاتهم في خلق دولة زراعية نشيطة .

ومنذ عصور موعلة في القدم عمل العمانيون على قطع الأشجار من سفوح الجبال وصناعة السفن التي مخرت عباب البحار لتحمل التجارة والسلع بين مختلف البلاد المجاورة ، وكذلك عمل المغاربة القدماء بالتعاون مع الفينيقيين أو الكنعانيين القدماء (والذين ترجع أصولهم الأولى الى عمان) على قطع الأشجار وصناعة السفن التي ارتادت السواحل الأطلسية الافريقية .

واذا كانت التأثيرات العمانية على المغرب انعربى غير مباشرة في عصور ما قبل التاريخ وفي العصر التاريخي الباكر فإن هناك احتمالات قوية الى وجود نوع من الاتصال المباشر بين عمان والمغرب العربى خلال فترة ما من العصر التاريخي ويعزز ذلك وجود شبه كبير بين لغة البربر بشمال افريقيا وعاداتهم وتقاليدهم والأدوات التي يستعملونها وبين بعض سكان عمان أما في العصر الإسلامى فقد حدثت هجرة عمانية تركت آثارها واضحة على معالم المغرب العربى ولا زالت آثارها باقية الى اليوم .

الباب الأول

المتون والأساطير والآثار

يرد ذكر عمان في وثائق الشرق الأدنى القديم منذ أقدم العصور
فنجد أساطير السومريين وهم أقدم من سكن جنوب العراق يذكرون
بأن اجدادهم قد وفدوا من جنوب الخليج وعلى حد تصويرهم من جزيرة
تشرق عليها الشمس لا يوجد بها لا مرض ولا حزن ولا كآبة ولا موت :

« لا ينشق فيه الغراب

لا يفترس فيه الأسد

لا يأكل الذئب فيه الحمل

لا تعيش فيه الكلاب المفترسة »

وسميت تلك البقعة بجزيرة ديلمون ، وهي الجزيرة التي كافأ انليل
معبود سومر بهازيوسيدرا الذي نجى بفلكه من الطوفان ، اذ نجد في
أقدم قصة سومرية عن بداية البشرية ، ان الآلهة كانت قد عولت
القضاء على البشر فسلطت عليهم طوفانا لاغراقهم الا أن أحد الآلهة اشفق
على البشر فاغشى السر الى زيوسيدرا ملك مدينة سيار في جنوب العراق
وقام هذا الملك ببناء سفينة انقذته وأسرته وحيواناته من الغرق ولقد
ندمت الآلهة لاهلاكها البشر لحاجتها اليه في تقديم القرابين ويعبر زيوسيدرا
عن ذلك بقوله :

« وشعر انليل بخطئه وصعد الى السفينة

وأخذني بيده وسجدت أمامه وباركني

وقال باننى وزوجى كذلك سنمنح الخلود

وكذلك ستحيا مثل الآلهة في جزيرة العبور

الكائنة عند مشرق الشمس في دِلان ٠٠٠ » (١)

واذا كان المؤرخون لم يتفقوا بعد على تحديد دِلان وموقعها على شواطئ الخليج فانها على الأرجح المقصود بها عمان ذلك أن أقدم نسخة من هذه القصة ترجع الى الألف الرابع قبل الميلاد وهي أسطورة ذات خلفية تاريخية ترجع وقائعها الى الألف السادس قبل الميلاد عندما تعرض جنوب العراق لعواصف رعدية ومطرية تسببت في فيضانات دجلة والفرات . خلال هذه الفترة ، ومن الثابت مناخيا وجيولوجيا ان عمان كانت جنة وافرّة المياه خضراء سندسية الأرض ولذا فقد اعتبرها السوميريون أرضا مثالية للسكنى ولذا فقد عبروا عنها بأنها الجنة الموعودة .

واذا كان الشك محفوفا بتحديد تسمية عمان بدِلان ، فقد وردت في النصوص الاكادية تسمية أخرى للبلاد وهي بلاد الفضة وذلك اشارة الى كثرة وجود ذلك المعدن قديما في عمان . وأول ما وردت تلك التسمية في اللوحة الخاصة بالملك المسمى (ما - نى - شتوسو) الذى حكم ٢٣٠٦ - ٢٢٩٢ ق . م بالعراق القديم والتي تقول بأن ذلك الملك قد أحضر معدن الفضة من البلاد الجبلية الواقعة عند أسفل الخليج .

واذا كانت اللوحات الاكادية التى ترجع لما قبل القرن الثالث والعشرون قبل الميلاد تشير الى وجود صلات تجارية وسلمية بين العراق وعمان فان نص الملك نرام - سن الاكادى ٢٢٩١ - ٢٢٥٥ ق . م تشير الى حدوث مصادمات عسكرية بين ملوك الساحل العماني والاكاديين وتشير تلك الوثائق الى عمان باسم جديد هو مِجن . ولعل ذلك الصراع كان سببه محاولة

الأكاديين انتزاع سيادة طريق التجارة عبر المحيط الهندي الى الهند من يد سكان منجن أو العمانيين القدماء ، ويبدو بأن الأكاديين ومن بعدهم السومريين قد سلموا بسيادة العمانيين البحرية وقنعوا باستقبال السفن العمانية القادمة بتجارة الهند وتوابل جنوب الجزيرة العربية ويوضح نص للملك السومري جوديا (٢١٠٠ ق م) هذا الأمر بقوله : « من عيلام جاء بالعمال ومن سوسا بالصناع ومن جبال منجن بالخشب والديوريت » (٢) .

ولم يأت العصر العموري الا وكانت سفن منجن تصل الى المدن العراقية على ضفاف دجلة والفرات حاملة الخشب والديوريت والمرمر والنحاس والفضة وتقايض به الشعير والقمح والملابس والمصنوعات والأسلحة (٣) . وكانت تلك الفترة هي التي كان فيها سيدنا ابراهيم مستقراً وقومه في مدينة أور .

وفي خلال الألف الثاني قبل الميلاد وما بعدها نجد أن صلات عمان وجنوب الجزيرة العربية تزداد وثوقا مع وادي النيل فنجد النصوص الفرعونية تذكر جنوب الجزيرة العربية باسم بلاد بونت واذا كانت النصوص السومرية والأكادية تسمى عمان بأرض الآلهة أو أرض الخلود فان المتون المصرية القديمة بدورها قد اضفت نفس الصفات على عمان (٤) . واذا كانت المواد الرئيسية في تجارة عمان مع بلاد ما بين النهرين هو الفضة والنحاس والأخشاب الثمينة وأشجار المر والصمغ ، كذلك تاجر العمانيون مع المصريين في تلك السلع .

ونظرا لكثرة الوثائق المصرية التي ذكرت اتصال الفراعنة بعمان لذلك فانتا سنجد أهم الرحلات التي وردت في تلك النصوص فيما يلي :

١ — رحلة تمت في عهد الملك خوفو باني الهرم الأكبر (٥) ٢٥٩٠ ق م .

٢ — رحلة تمت في عصر الملك سحورع (٦) (من الأسرة الخامسة ٢٤٥٠ ق م) .

- ٣ — رحلة تمت في عصر الملك اسي^(٧) (من الأسرة الخامسة أيضا) •
- ٤ — رحلتان تمتا في عصر الملك بيبى الثانى^(٨) (من الأسرة السادسة ٢٢٠٠ ق م) •
- ٥ — رحلة تمت في عصر الملك منتوحتب الثالث^(٩) (من الأسرة الحادية عشر ٢٠٠٠ ق م) •
- ٦ — رحلة تمت في عصر الملك امنمحات الثانى^(١٠) من الأسرة الثانية عشر ١٩٢٠ ق م •
- ٧ — رحلة تمت في عصر الملك سنيوزستريس الثانى^(١١) من نفس الأسرة ١٨٩٥ ق م •
- ٨ — الرحلة الشهيرة التى تمت في عصر الملكة حتشبسوت^(١٢) والتى نقشت صورها في معبد الدير البحرى ١٤٨٠ ق م •
- ٩ — رحلة في عصر حورمحب^(١٣) ١٣٠٨ ق م •
- ١٠ — رحلة في عصر سبتى الأول^(١٤) من ملوك الأسرة التاسعة عشر ١٢٩٧ ق م •
- ١١ — رحلة في عصر رمسيس الثالث^(١٥) من ملوك الأسرة العشرين ١١٦٠ ق م •

وبطبيعة الحال فإن المتون الفرعونية لم تعنى بتقيد سوى الرحلات الرسمية التى كان يقوم بها رجال البلاط ومن كثرة هذه الرحلات وعناية الجانب المصرى بتدوينها ورسم مناظرها على جدران المعابد الكبرى بالعاصمة مثل معبد الدير البحرى نستنتج أن التجارة المصرية مع جنوب الجزيرة العربية بصفة عامة كانت ذات حجم كبير •

وإذا كانت الوثائق الميزوبتامية تشير إلى أن الموانئ التي كانت تأتي منها سفن مجن الكبيرة كانت تقع على الشاطئ الشرقي بعمان أي السواحل المحصورة بين مضيق هرمز أو خطمة الملاحاة وميناء صور ، فإن المتون المصرية على العكس تشير بأن معاملاتهم كانت أكثر مع ظفار حيث تنمو أشجار الصنط والصمغ والبخور .

ومن المحتمل أن الموانئ التي كانت سفن النيل ترسو عندها كانت ميناء سمحرام (موثا القديمة) . وإذا كانت أكثرية النصوص العراقية القديمة التي تكلمت عن عمان ترجع للألف الثالث قبل الميلاد فإن الوثائق والمتون المصرية تعود للألفين الثاني والأول قبل الميلاد ويعنى ذلك أن جنوب عمان صار منذ أواخر الألف الثاني هو مركز الثقل التجارى لا القسم الشرقى الذى كان يتمتع بالميزة من قبل .

ويتفق هذا الأمر مع منطق التاريخ إذ نجد ان الازدهار الذى تمتع به جنوب العراق بفضل صلاته مع عمان والهند قد انقضى عهده بعد اضمحلال الجنوب وانتقال السيادة الى دولة الآشوريين فى شمال العراق وبالتالي فإن الطرق البرية المؤدية للهند عبر ايران صارت أفضل للوصول إلى العاصمة نينوى من الطريق البحرى .

وأدى ضعف الاتصالات التجارية مع جنوب العراق وازدهار التجارة مع وادى النيل عبر بحر العرب والبحر الأحمر الى ازدهار السواحل الجنوبية من عمان . ولا ترجع أهمية عمان القديمة الى كونها حلقة الصلة بين وادى النيل وبلاد ما بين النهرين من جهة ووادى السند من جهة أخرى فقط بل كانت عمان لاسيما قبل القرن العاشر قبل الميلاد هي أسلم الطرق وربما أقصرها أيضا بين مصر والعراق ذلك أن الطريق الذى كان يسير عبر بادية الشام وصحراء الأردن لم يكن مطروقا فى تلك الأزمنة الساحقة لجذبه من ناحية ولأنه لم يكن مأمونا نظرا لغارات البدو القاطنين به من ناحية أخرى .

لذلك كان لابد للقوافل أن تسلك الطرق الشمالية التي كانت تسير عبر الفرات شمالا حتى طرابلس (قرقيش) ومن هناك تسير غربا عبر مدينة حلب الى سهل البقاع ومنها الى ساحل البحر حتى مدينة ببلوس ومنها بحرا الى مصر • لاشك وان هذا الطريق أطول بالنسبة لتجار أور واريديو وغيرها من مدن جنوب العراق الذين كانوا يسافرون بحرا عبر الخليج وبحر العرب الى مجن أو ساحل ظفار ومنها عبر خليج عدن والبحر الأحمر الى مصر حيث كانت توجد موانئ على البحر الأحمر قبالة الأقصر عاصمة مصر القديمة كما كان هناك فرع من النيل يصب في البحر الأحمر قرب السويس وكانت السفن تسلكه لتدخل في نهر النيل •

ولعل أقدم أثر ميزوبتامى عثر عليه بمصر هو يد سكين مصنوع من العاج عثر عليه في جبل العرق في جنوب مصر • وهذه القطعة الأثرية محفوظة اليوم في متحف اللوفر بباريس (١٦) • وعلى هذه اليد تظهر نقوش توضح التأثيرات العمانية على الفن المصرى في عصر ما قبل الأسرات (٣٤٠٠ ق م) • فالشخص الطنحي الذى يظهر في النقش (انظر الصورة رقم ١) يبدو من هيئته وملامحه وملابسه انه شكل غير مصرى بل يبدو أقرب شباها بالصورة التى توجد على الأختام الاسطوانية الميزوبتامية والتى تمثل سكان مجن •

اما على الوجه الآخر من اليد فقد نقش منظر يمثل قتالا بين جماعتين تتميزان بأنهما لا يرتديان سوى نقبة تستر وسط الجسم فقط وأحد الفريقين طويل شعر الرأس على هيئة سكان بونت الذين مثلوا في نقش معبد الدير البحرى للملكة حتشبسوت •

أما الفريق الآخر فقد رسم حليق الرأس على هيئة المصريين ، وتحت منظر المتصارعين نقش يمثل سفنا يعلو صواريتها الأهلية (انظر الصورة

رقم ٢) ^(١٧) ويذكرنا هذا النقش بالصور الموجودة على الأختام السومرية والتي تمثل سفن مجن (انظر الصورة رقم ٣) • ولقد ذهب بعض المؤرخين لدرجة القول بأن هجرة وفدت من جنوب الجزيرة العربية هي التي جاءت بالأسرات التي حكمت مصر في عصر ما قبل الأسرات حتى توحدت على يد مينا •

وإذا كانت الصور الآدمية التي وجدت على يد السكين من جبل العرق بمصر ترجع لعمان القديمة وكذلك النقوش التي تمثل السفن فأننا نرى تلك المناظر تتكرر سواء الآدميين أو السفن ولكن هذه المرة في بقاع بعيدة جداً عن عمان وعن مصر في قلب الصحراء الكبرى ، في جبال اتاكوس بشرق الجزائر وجبال الهجار في جنوب الجزائر ، وإذا كانت صور الآدميين تشير إلى هجرة عبر جنوب مصر أو السودان في فترة ما خلال الألف الثالث أو الثاني أو الأول قبل الميلاد من عمان إلى بلاد المغرب العربي فإن وجود رسوم تمثل السفن التي على هيئة سفن مجن في قلب الصحراء وفي بلاد بعيدة عن البحر يثير دهشة الباحث لحد كبير •

ويعتبر النقش الذي أمرت الملكة حتشبسوت برسمه على جدران معبد الدير البحري بوادي الملوك تخليداً لذكرى الرحلة التي تمت إلى ساحل ظفار في عهدها أقدم رسم وضع فيه الفنانون المصريون بدقة منظر أشجار صمغ المر التي شحنت في السفن إلى مصر إلى جوار الأخشاب ذات الرائحة الحلوة وأصباغ العيون والبخور وغيرها سواء من غلات البلاد المحلية أو من الواردات عن طريق التجارة البحرية مع الهند • (انظر الصورة رقم ٤) •

وإذا كانت النصوص المكتوبة قد أنارت للباحث الطريق لكشف خبايا التاريخ فإن التقنيات الأثرية هي الكفيلة بتقديم الأدلة الحاسمة سواء المؤكدة أو النافية للتفسيرات التي يقدمها علماء التاريخ لتلك الوثائق •
(م ٢ - ندوة الدراسات ج ٤)

ورغما عن أن عمان حديثة العهد بالبحث الأثرى إلا أن للتحريات والتتقيقات التي جرت الى الآن بالبلاد قد أظهرت وجود العديد من القبور والأضرحة المبنية بالحجر على شكل خاص تشبه القباب وقد رصت فيه الأحجار فوق بعضها على شكل قوالب لا يربط بينها ملاط • وقد عثر على نماذج من هذه القبور في مصر في بلاد النوبة ، كما تم العثور على الكثير من تلك المقابر ، في أرغود بالمغرب •



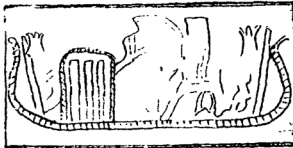
شكل رقم (٢)



شكل رقم (١)

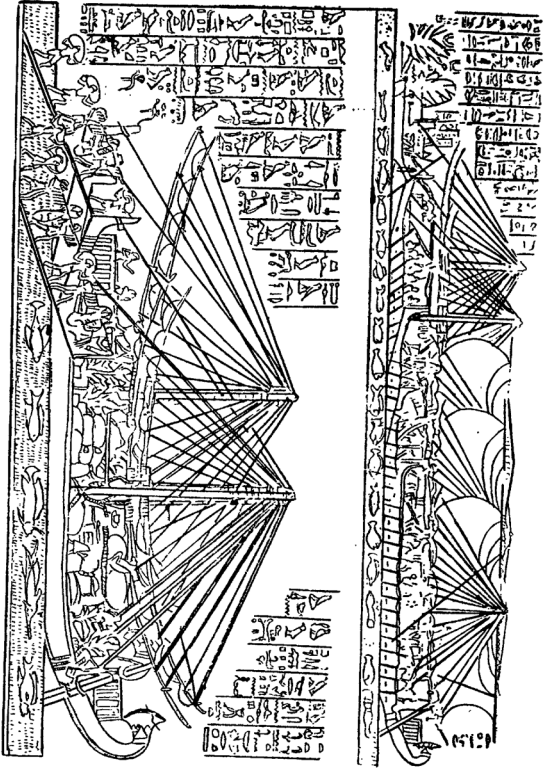
الصورة رقم (١) يد السكّين من جبل العرق (جنوب مصر) لاحظ سحنة الرجل الذي يتوسط الأسدين وملابسه .

الصورة رقم (٢) الوجه الآخر ليد السكّين . لاحظ الفرق بين المتصارعين وكذلك الالهة التي تعلو صواري السفن وهي العلامات المميزة لسفن مجن .



شكل رقم (٣)

(الصورة رقم ٣) سفن مجن كما تبدو في الاختتام السومرية .



شكل رقم (٤)

(الصورة رقم ٤) سفن الملكة هتشموت على سواحل بونت (ظفر ٨)

كما يظهر في نقوش معبد الدبر البحري (تتلا من كتاب برستد).

وقد تتبع الأستاذ كامبس Cams Camps انتشار هذه القبور فوجد أنها جاءت من الجزيرة العربية عبر البحر الأحمر الى جنوب مصر وبلاد النوبة ومنها عبر الصحراء الكبرى (غزان) ثم الجزائر فالمغرب ومما لاشك فيه أن أصل هذا النوع من المدافن هو عمان إذ أنها ترجع هناك الى الألف الرابع قبل الميلاد ، أما في مصر فترجع للألف الثالث ، أما في المغرب فترجع الى أوائل الألف الثاني قبل الميلاد (١٨) .

ويطلق على هذا النوع من المقابر بالمغرب اسم القبور القتلية Tumulus (انظر الصورة رقم ٥ ، ٦ ، ٧) . ويتفق الأستاذ حميد المصمودي (وهو باحث مغربي في التاريخ القديم) مع كامبس في أن المقابر التلية بالمغرب انما هو تأثير عريى وأقد من جزيرة أنعرب وعلى الأرجح من عمان ، بل يذهب لأبعد من ذلك ليقول بأن حتى الأضرحة الكبيرة مثل ضريح مزورا في شمال غرب المغرب وحتى ضريح قير النصرانية في شريشال (غرب مدينة الجزائر العاصمة) عبارة عن تأثيرات عمانية أما مباشرة واما تكون قد جاءت من الجزيرة العربية مبسطة ثم تطورت محليا بالمغرب العربي الكبير (١٩) .

واذا كانت المقابر والمدافن توضح الصلة القديمة بين المغرب وعمان . كذلك الأمر بالنسبة للرسوم الصخرية في كل من شمال أفريقيا وعمان .

والرسوم الصخرية من أقدم الفنون التي مارسها الإنسان . إذ أنه مارسها اما بدافع من غريزة حب الفن والجمال أو للتعبير عن شعوره أو لأغراض سحرية خفية لجأ الإنسان الى تصوير نفسه والبيئة التي تحيط به من حيوان أو نبات أو جماد وذلك على صخور الحقاف والكهوف التي كان يلجأ إليها وقد وجدت الرسوم التي تمثل الحيوانات التي تعيش اليوم في المناطق الاستوائية منقوشة على صخور عمان وجبال المغرب في أماكن لم تعد تلائم اليوم معيشة تلك الحيوانات مما يقطع بأن تلك الصور

لنما نقشت عندما كان المناخ ملائما لحياة الحيوانات الاستوائية التي
يتطلب بقاؤها كمية وافرة من المياه والأعشاب أى قبل أن تحصل فترة
الجفاف ، ومن الأمر المحير أيضا تشابه النقوش التي تمثل الحروف
والكتابات القديمة فى كل من النقوش الصخرية فى عمان والمغرب فهل انتقلت
حروف التيفيناغ التى كتب بها بربر شمال أفريقيا القدماء أيضا من عمان ؟
ومتى تم ذلك وكيف ؟



شكل رقم (٥)

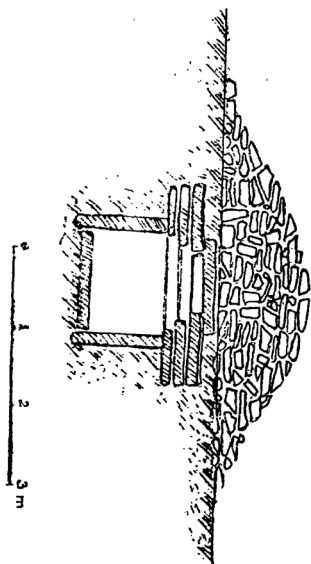
(صورة رقم ٥) قبر مقبى من قبور عمان القديمة



0 2 4 6 8 m

شكل رقم (٦)

(صورة رقم ٦) قبر تلى بوادى درعة بالمغرب .



شكل رقم (٧)

(صورة رقم ٧) قبر تلى بارفود بجنوب المغرب .

ملاحظات الباب الأول

1. Sollberger E.; The Flood. pp. 20-24.
(Publications of The British Museum - London 1971).
 2. Roux G.; Ancient Iraq (Pelican 1964) pp. 59-61.
 3. Kramer S. N.; History begins at sumer
(New York) 1956 pp. 65-69.
 4. Oric Bates; The Eastern Libyans. (Macmillan London 1914).
 5. Breasted J. H.; Breasted Ancient Records of Egypt.
Vol II 247. (New-York 1962).
 6. Ibid; B. A. R. Vol I 161.
 7. Ibid; B. A. R. Vol I 351, Vol II 247.
 8. Ibid; B. A. R. Vol I 360, 361; Vol II 274.
 9. Ibid; B. A. R. Vol II 247.
 10. Ibid; B. A. R. Vol I 650.
 11. Ibid; B. A. R. Vol II 247.
 12. Ibid; B. A. R. Vol II 246-295.
 13. Ibid; B. A. R. Vol. III 37-39.
 14. Ibid; B. A. R. Vol. III 116.
 15. Ibid; B. A. R. Vol IV 407.
 16. Bénédite G.; Le couteau de Gebel el Arak. Fondation piot vol 22
1961 p 1. 1 pp. 1-34.
 17. Britchard J.; The Ancient Near East in Pictures nos. 104, 673.
 18. Camps G.; Monuments et rites funéraires protohistorique p. 184.
- ١٩ - المصمودي حميد ، المغرب في عصر ما قبل التاريخ صفحة ٣٩

الباب الثاني

الكتاب الأغريق والرومان وعمان

« في هذا الباب رصد لبعض ما ورد
في المصادر الاغريقية والرومانية عن
عمان ، دون ربط ذلك بموضوع
البحث وهو اثر الحضارة العمانية
بالمغرب العربي ، ولكن الباب على
كل حال لا يخلو من فائدة » ...
(د . عبد الحليم يوسف)

كانت معرفة الأغريق حتى زمن الاسكندر المقدوني بجزيرة العرب
محدودة للغاية ، ويرجع السبب الرئيسي لذلك الى بعد البحار المحيطة
بجزيرة العرب عن بلادهم بالاضافة الى وقوعها خلف حدود الامبراطورية
الفارسية وهى بلاد ناصبت اليونان العداء لفترة طويلة . ويتضح جهل
الاغريق ببلاد العرب قبل القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد من أن مفكرا
كبيرا مثل هيرودوت لم يذكر سوى معلومات يسيرة عن جزيرة العرب ^(١) .
ولم يكن هيرودوت يعرف شيئا عن الساحل العماني ولو أنه ذكر بأنه كان من
بين العرب من جاورت مضاربهم بلاد الهند ^(٢) .

ويعتبر الاسكندر المقدوني أول يونانى احيط علما بالساحل العماني
من الجزيرة العربية ، ذلك أنه أمر هيرون الصولى أن يبحر بأسطوله من
بابل الى خليج السويس ، وقد كتب ذلك الأميرال البحرى في مذكراته
وصفا ضافيا لرحلته وللبلاد التى مر بها ^(٣) .

هذا وترد اشارة أخرى في حوليات الاسكندر انه أرسل في الوقت
نفسه سفينة لتطوف حول جزيرة العرب من الجهة المعاكسة أى ابتداءً
من خليج السويس ولكن على ما يبدو فإن الرحلة الثانية قد عجزت عن

اكمال مهمتها فعدادت بعد أن وصلت الى بوغاز باب المندب ^(٢) ربما لنفاذ المؤن أو لاستداد الرياح .

ومنذ القرن الثالث قبل الميلاد أصبحت البلاد العمانية وثيقة الصلة بعالم البحر الأبيض المتوسط ، فنجد في وثائق العالم الهلنستي ، (وهو الاصطلاح الذى أطلق على العالم الذى حبيغته فتوحات الاسكندر بالجبيغة اليونانية) ذكر أعلام جديدة تظهر لأول مرة في وثائق الشرق الأدنى القديم مثل قطبان وسبأ ومهرا . تشير احدى وثائق بطليموس الثانى التى ترجع إلى ٢٧٦ أنه بعد أن أعاد حفر القناة التى تصل النيل بالبحر الأحمر (قرب مدينة السويس الحالية) أرسل عددا من السفن أبحرت في البحر الأحمر وخرجت في بحر العرب ووصلت حتى الساحل المقابل لبلاد الفرس (عمان) .

وقد وردت أخبار تلك الرحلة في كتب ديودور الصقلى ^(٣) وسترابو ^(٤) . ويعزو (تارن) أسباب تلك الرحلة الى الصراع الذى نشب بين قواد الاسكندر الأكبر والذين اقتسموا امبراطوريته من بعد موته فاستولى سلوقس على العراق وسوريا بينما استولى بطليموس على مصر وأراد كل قائد منهما احتكار تجارة التوابل والبخور القادمة عبر عمان ، فعمد الأول الى تنشيط التجارة في الخليج وفتح موانئ دجلة والفرات لسفن عمان ، بينما أرسل الثانى سفنه الى سواحل عمان الجنوبية لشراء المر والبخور من أسواق عمان نفسها ^(٥) .

ويورد سترابو ان السبب في الرحلات الهلنستية سواء من مصر أو مملكة السلوكين لم يكن المر والبخور فحسب بل كان الذهب أيضا ، واننى وان كنت استبعد وجود الذهب بكمية تجارية في جزيرة العرب لدرجة تشجع الحكام الهلنستيين بالمغامرة بارسال أساطيلهم وتجارهم الى عمان وجنوب الجزيرة العربية في خلال تلك العصور التى لم تكن فيها وسائل

النقل مريحة كما هو الحال الآن ، الا أنه لايمكن استبعاد أن يكون التجار العمانيون يحصلون على تبر الذهب من الهند ثم يصدرونها لعالم البحر الأبيض المتوسط سواء خاما أو بعد صناعته •

ونرى في الكتب البطلمية أن الرحلات قد أصبحت سجلا بين سواحل عمان وموانئ البحر الأحمر في مصر بل أن السفن العمانية صارت تصل حتى الى الاسكندرية عبر القناة التي كانت تصل النيل بالبحر الأحمر • وتطالعنا المدونات المعاصرة الى أن سفن القراصنة من العرب الذين يسكنون سواحل البحر الأحمر الشرقية حاولت قطع هذا الشريان التجارى الهام الا أن الملوك البطالمة قد تدخلوا بحزم فطهروا البحر الأحمر من القراصنة واستمرت التجارة بين شواطئ بحر العرب ومصر •

ويقدم بوليبيوس الدليل على صحة ما أورده هؤلاء الكتاب الاغريق من واقع الأحداث التاريخية فقد دفع الصراع الذى نشب بين انتيوخس الثالث وبطليموس الرابع بقبائل النبط التي كانت ترعى بجمالها بين مشارف غزة والشام الى التقهقر بعيدا عن ساحة الحرب والالتجاء الى المنطقة الواقعة حول خليج العقبة ووجدت نفسها تتحكم فى الطرق التاريخية التى تربط دمشق والقدس بجنوب الجزيرة العربية ومن ثم وجدت نفسها حليفا طبيعيا لانتيوخوس ملك سوريا ضد البطالمة ملوك مصر •

ولما كان الطريق البحرى فى البحر الأحمر وهو الذى كان تحت سيطرة البطالمة هو المنافس الوحيد والخطر لطريقهم البحرى ولذا فقد عملوا جاهدين لمحاولة اغلاق ذلك الطريق ومن ناحية أخرى كان هذا الطريق شريان حياة أو موت بالنسبة للبطالمة ولذا كان التصادم الذى كان فيه النصر فى النهاية للبطالمة (أ) •

وبسيطرة الرومان على شرق البحر الأبيض المتوسط لم تتغير الأحوال الاقتصادية بالمنطقة ، بل ظل التجار اليونان بالاسكندرية فى نشاطهم وظل

البحر الأحمر وسيلة الاتصال مع عمان وظل تجار عمان وبحارتها هم الوسطاء بين العالم الروماني من ناحية والهند من ناحية أخرى وزاد اعتماد الرومان على التجارة العمانية بعد أن ناصبتهم الامبراطورية الفارسية العداء منذ القرن الأول الميلادي •

ولا يعرف على وجه التحديد السبب الذي من أجله أرسل أغسطس حملة الى بلاد العرب (الساحل الغربي للبحر الأحمر) ويبدو الأهمية التي كان يملقها أغسطس على الحملة من أنه نصب جايوس قيصر ربييه قائدا للحملة فلما مرض وعجز عن القيام بالحملة حل محله أحد القواد من طبقة الفرسان •

ومن المحتمل أن الغرض من تلك الحملة كان حماية الطريق البحري عن طريق تأديب البدو وسكان السواحل الذين كانوا يمارسون القرصنة في عرض البحر أو يقتلون بحارة السفن الذين يلجئون الى الشواطئ للمبيت ليلا أو هربا من الأنواء • ولا نعرف الكثير عن أخبار هذه الحملة الا أنها صادقت صعوبات ولاقت الكثير من العنت والشقاء نتيجة للطقس وطبيعة بلاد العرب القاسية وشمسها المحرقة •

وباضمحلال مدينة الاسكندرية في العصر الروماني نتيجة للاضطرابات التي نشبت سواء بين اليهود واليونانيين أو بين المسيحيين والوثنيين فقد البحر الأحمر أهميته كطريق تجاري هام بينما اكتسبت مواقع جديدة مثل البتراء عاصمة النبطيين وتدمر أهمية نتيجة لوقوعها على الطرق البرية الجديدة التي حلت محل الطرق القديمة ، وهي الطرق التي كانت تربط ظفار وحمير بدمشق عبر مكة ويغرب والطرق التي كانت تبدأ من الموانئ التي تنهى عندها سفن عمان على الساحل الشمالي للخليج الى انطاكية عبر تدمر •

وهكذا عاد لشرق عمان وشماله أهميته بعد أن ظلت منطقة ظفار مركز التجارة لعمان مدة طويلة من الزمان •

وفي القرن الرابع الميلادي نجحت قبائل الحبشات اليمنية من تأسيس امبراطورية امتد نفوذها من نجران واليمن الى ارتريا والحبشة والسودان وبلغت حتى حدود مصر الجنوبية وهي الدولة التي عرفت في التاريخ بمملكة أكسوم . تحكمتم هذه المملكة بحكم موقعها في مدخل البحر الأحمر من انداحية الجنوبية واستغلت وجود ظفار في شرقها لكي تقوم عن طريق السفن العمانية بتجارة واسعة النطاق لا مع الهند فحسب بل مع الصين أيضا ، فقد عثرت البعثات البريطانية والأمريكية للتنقيب على الكثير من المخلقات والأدوات الأثرية في مقابر السودان المعاصرة لهذه الفترة والتي ترجع صناعتها الى بلاد الصين .

ولم تكن صلة الاكسوميين مقتصرة على بلاد الفرس والامبراطورية الرومانية فحسب بل انها كانت على علاقة تجارية وطيدة مع مملكة مروي في السودان ومع قبائل الجرامنت في الصحراء الكبرى ومع قبائل جدالة في المغرب الجنوبي وعلى السواحل الأطلسية ولايستبعد أن تكون الأزياء والحلى وأدوات الزينة التي نراها عند قبائل المغرب العربي الكبير لاسيما في مناطق جبال الأطلس بصحراء الجزائر وسلسلة الأطلس الكبير بلمملكة المغربية ترجع لهذه الفترة أيضا .

ملاحظات الباب الثاني

1. Herodotus; Histories,
2. Herodotus; Ibid,
3. Tarn W. W.; Ptolemy II and Arabia; in Journal of Egyptian Archeology
Vol. XV pp. 9-20 (London 1929).
- 4 Theophrastus; Hist. Plant., IX 4, 2-4.
7. Pliny. VI 152.
5. Diodorus; III, 42, 1.
6. Strabo; XVI, 776-8.
7. Tarn; Ibid p. 14.
8. Polybus V, 71.

الباب الثالث

الملك الموريتانى يوبا الثانى ومدوناته عن عمان
(القرن الأول ق . م)

ليست موريتانية التى نعنيتها هنا هى جمهورية موريتانيا الحالية ولكنها الاسم الذى عرفت به المنطقة المغربية من الجزائر والشمالية من المملكة المغربية الحالية وقد أسس بها قبائل المور مملكة فى القرن الثانى قبل الميلاد ، وقد وسع ملوك هذه الدولة أملاكهم على حساب جيرانهم النوميديين من سكان الجزائر وكذلك على حساب المدن التى أسسها الفينيقيون والقرطاجيون على سواحل المحيط الأطلسى . ولقد أفادهم اتصالهم بالرومان فى مبدأ الأمر اذ منحهم الرومان نصف أملاك مملكة نوميديا لمساعدتهم للرومان فى قهر يوغورتا ملك نوميديا الا أن مغامرة ملوكهم فى المنازعات التى نشبت بين القواد الرومان الذين عقبوا سلا أدى الى استيلاء الرومان على البلاد بعد أن شغل عرش موريتانى بعد موت الملك بوخوس الثانى الذى لم يعقب وريثا يتولى العرش .

وفى المنازعات التى ألت بالقواد الرومان فى أواخر القرن الأول قبل الميلاد انحاز الملك النوميدي الجزائرى يوبا الأول الى جانب القائد الرومانى يحيى ضد قيصر فلما هزم يحيى وأتباعه انتحر يوبا الأول بينما سارت أسرته وأبنائه فى مركب نصر يوليوس قيصر فى مدينة روما مصفدين بالاغلال .

كان ضمن تلك الأسرة التعيسة الحظ ولد صغير للملك الراحل اسمه أيضا يوبا وهو المعروف فى تاريخ بلاد المغرب العربى باسم يوبا الثانى .
وكعادة الرومان مع أبناء الملوك والأمراء من أعداء روما ، فقد

قام قيصر بنربية ذلك الصبي في منزله ، وانتقل الصبي بعد اغتياله قيصر على يد أعضاء مجلس الشيوخ الروماني الى منزل ربيب قيصر وهو اكتافيوس حيث أشرفت أخته أكتافيا زوجة القائد الروماني انطونيو على تربيته .

وهناك تلقى يوبا ثقافته العالية على يد أستاذة من الاغريق والرومان ، وبلغ درجة عالية من المعرفة لدرجة أنه عد الرجل المثقف المثالي والعالم الأول في عصره .

وقد صادف بلوغه سن الواحد والعشرين ان اضطربت الأحوال في النواحي الغربية من شمال أفريقيا حيث ثارت قبائل البربر التي أخذت تغير على المستعمرات الزراعية التي أقامها الرومان هناك فوجد اكتافيوس أن أنسب شيء هو أن يولي على البربر ملكا منهم يسوسهم لاسيما وأن ربيبه يوبا الثاني مشبع بالثقافة الرومانية .

ولم يضيع اكتافيوس الفرصة فأرسل يوبا الثاني ملكا على موريتانيا بعد أن زوجه من أميرة هي كليوباترا سليني ابنة كليوباترا الملكة المصرية الشهيرة من أسرة البطلمة والتي كانت قد تزوجت أنطونيو وأنجبت منه تلك الأميرة . وكان الزوجان كليوباترا الأم وأنطونيو قد انتحرا بعد هزيمة جيوشهما أمام جيوش اكتافيوس ، وأسرت الابنة كليوباترا سليني وربيت أيضا في بيت اكتافيوس .

ولم تمنع أعباء الملك الموريتاني من التأليف في مختلف فروع المعرفة التي كانت شائعة في عصره فكتب عن علم الحيوان ^(١) موسوعة نقل منه كثير من العلماء الذين جاءوا بعنده ، وكتب العديد من كتب الجغرافية عن مختلف جهات العالم المعروف في عصره ، بل انه أرسل البعث الاستكشافية

والسفن من حسابه الخاص بغرض الكشف عن الأجزاء المجهولة أمام العلم الرومانى ويعلق بلىنى المؤرخ والعالم الرومانى على سعة علمه بقوله :

« كان يوبا والد بطليموس أول حاكم تولى عرش موريتانيا الشرقية والغربية الا أن شهرته كعالم ومؤلف لكتب المعرفة طغت على صفته كحاكم أو ملك » ^(٢) ويهمننا هنا بصفة خاصة ماكتبه هذا الملك عن شرق الجزيرة العربية وبحر العرب بصفة خاصة • يذكر يوبا فى كتابه عن جغرافية المحيط الهندى والطرق الموصلة بين وادى نهر السند وهى باكستان الحالية والشرق الأدنى القديم معلومات هى غاية فى الأهمية لا بالنسبة للجغرافية فحسب بل أنها تلقى ضوءاً مهماً على الطرق الملاحية وأساليب الملاحة التى كانت تتبع قديماً بين باكستان القديمة وسواحل جزيرة العرب الجنوبية الشرقية •

كتب بلىنى نقلاً عن يوبا الثانى فى مؤلفه التاريخ الطبيعى ما يلى :

« وقبل ان أدخل فى ذكر التفاصيل المتعلقة بتلك البلاد يجب أن أذكر الحقائق التى سبق أن دونها القبطان البحرى (انسيكريتس) الذى أمره الأسكندر الأكبر بالإبحار من الهند الى بلاد فارس ، تلك المدونات التى ولدت بتفصيل فى كتاب يوبا ، ذلك الكتاب الذى ^(٣) لم يغفل شيئاً عن الطرق البحرية السالفة الذكر والتى لازال البحارة يتبعونها حتى الآن » ويستمر بلىنى فى نقله المعلومات عن سواحل باكستان الغربية وإيران الجنوبية بتفصيل منهل ذاكراً تفاصيل دقيقة منها حدود الامبراطورية الفارسية الشرقية قبل غزو الاسكندر الأكبر لها ومنها أيضاً الطريق البحرية التى كانت تعتمد على الرياح الموسمية فى العبور من سواحل جزيرة العرب الجنوبية الشرقية رأساً الى سواحل باكستان مخترقة أعالي البحار » •

ولا ينسى يوبا أن يعدد أسماء النجوم التى استعملها القباطنة فى

ملاحظتهم الفلكية لتسيير سفنهم عبر المحيط في وقت لم تكن فيه البوصلة المغناطيسية قد ظهرت بعد ، ويشير يوبا أن رحلة عبور المحيط كانت تبدأ عند ميناء في أنساحل العماني أطلق عليها الاغريق اسم سياجرو بينما كان سكانها العرب يسمونها هيال والمسافة بين الساحل العماني والباكستان كان (حسب تقدير يوبا) ١٣٣٢ ميلا .

ولم تقتصر المعلومات التي أوردها يوبا على رحلة ربانية الأسكندر أو على التقارير التي دونوها والتي أطلع عليها بنفسه ، بل انه ذكر أيضا الطريق البحري بين مصر والهند . ويبدو أن اهتمام يوبا الثاني بتدوين أخبار جزيرة العرب لم تقتصر على جانب دون آخر فلاغرو اذا كان اختيار اكتافايوس اغسطس قد وقع عليه ليكون قائدا في الجيش الذي كان قد أعده بقيادة ابنه بالتبني (جايوس) للاستيلاء على جزيرة العرب (٤) .

ويعد يوبا أول عالم في العالم القديم يذكر اسم عمان صراحة فقد ذكر بليني ما يلي نقلا عنه :

« سأصف فيما يلي الجانب العربي من الخليج حسب ما ذكره يوبا . هناك مصب نهر الفرات حيث المياه المالحة التي تبدو أقرب للبحيرة الساكنة منها للبحر الهائج ويمتد ساحل الخليج من الناحية العربية لمسافة خمسون ميلا حيث يوجد وادي (أكن) وبعد ذلك تمتد رمال الشاطئ قرابة المائة ميل حتى جزيرة (ايكار) ويليه خليج كابى وعلى شواطئها تقطن قبائل (جولبس وجاتاي) ثم خليج (جرا) الذي يقع عليه المدينة المسماة بنفس الاسم . وتمتد بلاد أقوام اتن على طول الشاطئ لمسافة خمسين ميلا ، ويوجد قبالتها في البحر جزيرة (تيروس) (٥) وهي تشتهر بلؤلؤها النادر الغالى الثمن ويقوم على هذه الجزيرة مدينة تحمل نفس اسم الجزيرة . وبجوار هذه الجزيرة الكبرى جزيرة أخرى صغيرة .

ويلي هذه الجزيرة جزيرة أخرى كبيرة الحجم لم يقيم أى أحد من بحارتنا بزيارتها من قبل .

..... ويليها جزيرة (اسكليا) وبها تعيش قبائل (نوشات) و (زراز) و (بورغود) والبدو المسمون قطر ، يليهم واد اسمه (سينوس) . وطبقا لما ذكره يوبا فإن البلاد الواقعة خلف هذه المنطقة لم تكتشف بعد ، وذلك نظرا لوعورة الشاطئ الصخري الموجود هناك . ويذكر يوبا اسم مدينة (Batrasavave) عاصمة عمان وكذلك مدينة عمان (Omana) وكذلك حمنا Homna واثانا Attana وهى موانئ يشيد بذكرها التجار الرومان الذين يذهبون الى هناك اليوم . ويلي ذلك نهر اسمه نهر الكلب تعقبه سلسلة من الجبال السوداء اللون (كما يذكر يوبا) وتسكن هناك قبائل Epimaranitae ويلي ذلك جزيرة يسكنها حيادوا الأسماك ثم قبائل Bathymi فجبال Eblythaeon ثم جزيرة Omoemus ثم ميناء Mochorbac « »^(٦) ثم يذكر بليني نقلا عن يوبا العبارة التى يستحسن ان نذكرها كما كتبت باللاتينية :

«... Scenitae sabaei insulae multae, emporium eorum Acila, ex quo

in Indiam navigatur....»(7).

وتملك قبائل سنيتا السبئية الكثير من الجزر ويوجد مركز تجارى فى (صلالة) التى تعتبر احدى موانئ الابحار الى الهند .

ويضيف يوبا الى ذلك سردا ممتعا عن ملابس العرب فى عصره ويختتم مقاله بالحديث عن ثراء عرب جنوب شرق الجزيرة العربية بقوله انهم ملوك تجارة البخور الذى يوجد بكثرة فى بلادهم بالاضافة انهم هم الوسطاء بين الفرس والرومان وبين الرومان والهند ويقول يوبا انه فى الوقت الذى كان فيه العرب يبيعون حاصلات بلادهم من الصمغ والبخور والأخشاب

والمعادن والأحجار ولم يكونوا يشترون من الرومان والفرس أى شئ وبذلك كانوا يعدون أكثر ثروة وغنى من أقرانهم فى الامبراطورية الفارسية والرومانية (٨) •

واذا علمنا أن هذا الملك قد توفى تاركا ثروة كبيرة آلت الى ابنه الملك بطليموس والأهم من ذلك انه ترك مكتبة كبيرة تعد الأكبر من نوعها فى عالم ذلك الوقت ذلك أنه أ، الملك يوبا كان يشجع النساخ الذين نقلوا لمكتبته روائع علوم عصره الموجودة فى مكتبة روما والاسكندرية حتى غدت مكتبته فى شرشال بالجزائر منارا للعلوم والمعارف فى شمال أفريقيا ، وقد دعم يوبا تلك المكتبة بمؤلفاته الخاصة التى تعد ما ذكره عن جنوب جزيرة العرب وشرقها أهم ما قدمه للعالم الرومانى فى ذلك الوقت لاسيما وان استيلاء الفرس على طريق الهند قد أقفل الطريق بين أوروبا الى تلك البلاد ولم يبق أمام الرومان الا الاستعانة بالسفن العمانية للوصول الى الهند وباكستان •

ولم يستمد يوبا الثانى كل معلوماته من كتب وتقارير من سبقوه من رجال السيف أو القلم بل ان قسما منها جاء نتيجة لرحلاته الشخصية أو للرحلات البحرية التى كان ينفق على اعدادها والقيام بها من ماله الخاص •

ويرجع اهتمام يوبا الثانى شخصا بجزيرة العرب لعاملين مهمين أولهما الأساطير التى كانت منتشرة فى المغرب العربى القديم بين البربر والقرطاجيين من أن أصولهم الأولى ترجع الى جزيرة العرب والى سواحل بحر العرب والخليج بالذات •

أما العامل الثانى فقد كان عاملا اقتصاديا وهو رغبة العاهل الموريتانى

فى الفوز بنصيب من تجارة الهند بالاشتراك مع تجار ساحل عمان أو خلاله •
واذا كانت شهرة عمان وتجارها قد وصلت الى المغرب العربى فى القرن
الأول قبل الميلاد فإنه من المفيد ان نولى ولو قليلا من الاهتمام لدراسة
الروابط العرقية واللغوية والثقافية التى كانت موجودة بين الناحيتين منذ
قديم الزمان •

ملاحظات الباب الثالث

1. Pliny; Natural Hatural History, VIII, 7 (Loeb classical library 1967).
2. Pliny; Ibid, V, 16.
3. Pliny; Ibid, VI, 96.
4. Ibid, VI 141, 142.
5. Capps E. transclaled it to be El-Bahreïn island
Pliny; Natural History Vol. II p. 448.
6. Pliny, VI 147, 148, 149.
8. Ibid, VI, 162.

الباب الرابع

صلات عمان والمغرب قبل الاسلام

يشير (أورك باتس) في كتابه « الليبيون الشرقيون » ان قبائل المارماريدي التي أعطت اسمها للصحراء الغربية لمصر (مرميكا) كانت مزيجا من العرب والبربر ^(١) وان كان (باتس) لم يحدد موطن هؤلاء العرب الا أنه أشار في مكان آخر من نفس الكتاب ان الفرعون سنوسرت الأول كان قد خرج وهو ولى للمهد في حملة الى جنوب الجزيرة العربية إلى بلاد البخور (ظفار ؟) وعاد منها ومعه جنود من تلك البلاد وتوجه بعد ذلك لغزو القبائل الرحل في الصحراء الغربية لمصر ويبدو أن عرب ظفار الذين جاءوا مع العاهل المصري قد استقروا غرب مصر حيث امترجوا بالبربر من سكان تلك النواحي ^(٢) .

واذا كان الخوض في مثل هذه الأمور يتطلب تدعيما من الوثائق الأثرية وهي أمور لازالت بعيدة اليوم عن متناول اليد : الا أن ذلك لايمكن أن يعيق هواة البحث عن وجود صلات قديمة بين بربر شمال أفريقيا والعرب القدماء لاسيما عمان وحضرموت .

ولعل أولى الأبواب الجديرة بالبحث هي الصلة بين اللغات البربرية واللغة العربية لاسيما اللغة العربية القديمة والجنوبية منها على وجه الخصوص . ولم يتفق العلماء الى اليوم على معرفة أصل اللغات البربرية بل انهم الى الآن لم يتوصلوا الى نسبتها سواء الى المجموعة السامية أو الهامية من اللغات ومن المحتمل أن السبب في ذلك راجع الى كثرة المفردات الهامية والسامية بل واليونانية واللاتينية التي دخلت في اللغات البربرية

مع الغزاة الفاتحين أو المهاجرين والوافدين سواء من الشرق أو الشمال أو الجنوب •

ولقد اعتبر بعض علماء اللغة أن اللغة الحامية هي لغة سامية انفصلت عن اللغة السامية الأم في وقت مبكر جدا ثم تطورت محليا في بيئتها المحلية بالمغرب العربي ^(٣) • ورغمما عن ذلك فإن ترتيب الكلمات في الجملة في اللغات البربرية تشبه نظائرها في اللغة العربية هذا بالإضافة الى تشابه الكثير من الكلمات والصفات مثل (أبو) أو (بو) كما تنطق في اللغات البربرية مثل ما هو الحال في (بونجيم) وهو اسم مكان و (بوسعه) اسم شخص وهو كما نرى كلمة يمكن أن يعتبر عربيا أو بربريا •

كذلك يستعمل البربر حرف التاء للدلالة على التأنيث مثل العرب مثل ما في تغرمت (في الأصل اغرم أو تغرم) اسم مكان • وتبدأ الجملة في البربرية عادة بالفعل ثم الفاعل فالمفعول مثل ما هو الحال في العربية ، ورغمما عن أن أكثرية الكلمات التي دخلت اللغة البربرية ترجع الى الفترة الاسلامية الا أن اللغات البربرية كانت بها حتى قبل الاسلام والكثير من الكلمات العربية ومن ضمنها أسماء أماكن •

ومن الأمور الملفتة للنظر الخطوط القديمة بشمال أفريقيا • ولعل أقدم الحروف المعروفة التي استعملت للتدوين بشمال أفريقيا كان هو الخط الفينيقي وهو خط عربي قديم ينتمي الى الكنعانيين ومنه تطوّر الفينيقي الجديد وهو خط استعمله بربر شمال أفريقيا لتدوين بعض أمورهم وقد اشتق منه الخط الليبي وهي التي ظهرت في القرن الأول قبل الميلاد • أما التيفيناغ وهو الخط البربري الذي انتشر في القرن الثالث الميلادي بين قبائل الصحراء فهو خط قريب الشبه بالكتابة المروية في بلاد النوبة أو

السبئية في جنوب الجزيرة العربية • ولانعرف الآن أصل هذه الكتابة ولا موطنها الأول •

ويرى بعض الكتاب عدم جدوى البحث في أن أصل البربر من شمال الجزيرة العربية أو من سوريا وأنهم اما جاؤا عن طريق مصر أو عن طريق البحر الأبيض المتوسط ، فالنصوص المصرية الموجودة منذ أقدم العصور رغما عن ما بها من اشارات عدة الى العرب من سكان الصحارى الواقعة في شرقى مصر الا أنه لم يرد بها على طول التاريخ أية إشارة الى غزو عربى اخترق مصر ووصل إلى شمال أفريقيا عبر وادى النيل ، كما وانه ليست هناك أية إشارة الى وجود هجرة أو تسرب سلمى من هذا القبيل ، وإذا استثنينا الحملة التى قام بها جيش الزباء ملكة تدمر على مصر عام ٢٧٠ م • تلك الحملة التى استولت على مصر ووجدت معاونة من سكان مصر ومن البجة (سكان سواحل البحر الأحمر بمصر والسودان) وهى قبائل ترجع أصولها الى عرب جنوب الجزيرة العربية ، فاننا لانجد فى كتب التاريخ أية إشارة واضحة على وجود هجرات أو غزوات عربية لتخوم المغرب العربى الكبير (٢) •

وعلى العكس من ذلك وكما سبق ان وضحت غقد ظهر بشرق الحبشة ملك عربى يرجع الى اليمن الجنوبية وهو ازينبا أو اذينه ملك اكسوم الذى امتد نفوذه وسلطانه حتى ظفار وربما حتى عمان • ومن الثابت من النصوص التى تركها هذا الملك ان قسما من جيوشه كانت تتكون من العمانيين والحضارمة وقد استولت تلك الجيوش على مروي عاصمة النوبة فى القرن الرابع الميلادى ، ويبدو من لوحتى اذينه التى عثر عليهما فى اكسوم باثيوبيا ومروى بالسودان (٥) ان حملة ذلك العاهل العربى قد تعمقت فى الصحراء الكبرى خلف خط الحدود الرومانية ولربما وصلت بعض تلك القوات حتى سواحل المحيط الاطلسى والا فكيف يمكننا

ان نفس تشابه الوشم على الوجه واليد بالنسبة سواء للذكور أو النساء في كل من عمان والمغرب العربي الكبير ، وكذلك التشابه في الملابس لاسيما غطاء الرأس واللثام عند الرجال وشكل الخناجر وهي أشياء موجودة بالمغرب من قبل الفتح الاسلامي لشمال أفريقيا وهذا ثابت من واقع الرسوم الموجودة على صخور الصحراء الكبرى والتي ترجع لفترة ما قبل وصول المسلمين ^(٦) .

هذا بالاضافة الى وجود الكثير من الحلى المتشابهة بين البربر في شمال أفريقيا وحلى العمانيين وكذلك كيف نفسر التوافق والتآخي الملحوظ بين عرب عمان والخليج من ناحية وبربر شمال أفريقيا من ناحية أخرى لدرجة أن الدعوة الاسلامية الأباضية قد وجدت أرضا خصبة بين بربر شمال أفريقيا ولايمكن تفسير ذلك التقارب الا على أساس روابط الدم وشائج القرى علاوة على مبدأ التعاطف الديني القائم على الصلاح والتقوى والعدالة الاجتماعية التي تقوم دعائمها على الايمان الراسخ القوى .

ملاحظات الباب الرابع

1. Bates O-; The Eastern Libyans p. 54.
2. Diodorus Siculus, 1-53.
3. Weisgerber H.; Les Blancs d'Afrique. (Paris 1910) p. 161.
- 4 Milne J. G.; History of Egypt under Rule p. 85.
5. Arbell A-J.; A History of the Sudan (London 1955) pp. 172-173.
6. Macmichael H. A.; History of the Arabs in Sudan Vol I p. 92 (Cambridge 1922).

الباب الخامس

التأثيرات العمانية على المغرب العربي في العصر الإسلامي

وصلت طلائع المسلمين الى برقة بعد اتمامها لفتح الاسكندرية واستمرت الحرب بين المسلمين والبيزنطيين (الروم) الذين كانوا يحتلون شمال أفريقيا من ٦٤٦ — ٧١١ م . وجاء الى أقطار المغرب من ضمن جيوش المسلمين جنود من عمان ، ورغما عن أن القسم الأكبر من النجديين واليمنيين قد عبروا بوغاز جبل طارق الى الأندلس الا أن أكثرية الجند من العمانيين كانوا ضمن الجيوش التي أرسلها قواد المسلمين الى تخوم الصحراء الكبرى حيث استقر أغلبهم في قلاع الصحراء الكبرى في سجلماسة في المغرب وتاهدت بالجزائر وجبل نفوسة في ليبيا .

وعقب الفتنة الكبرى التي المت بالمسلمين بعد مقتل عثمان وانقسام المؤمنين الى أحزاب وطوائف استمر الصراع السياسي قرابة قرنين من الزمان بين الفرق المتصارعة المختلفة ، هاجر العديد من المضطهدين الى شمال أفريقيا وهكذا صار المغرب العربي الكبير ملجأ للجماعات التي وجدت في أهلها استعدادا لاعتناق الدين الحنيف والتجاوب مع الأفكار التي بشر بها هؤلاء الفارين من ظلم الأمويين والعباسيين . وجاءت الجماعات النازحة من عمان حاملة معها أفكارها الجديدة عن مفهوم الاسلام والعدالة الاجتماعية الذي هو جزء لا يتجزأ من الدين الحنيف ، واتجه هؤلاء بطبيعة الحال الى اخوانهم الذين سبقوهم الى المغرب وهكذا قامت دولة بنى مدرار ١٤٠ — ٣١٦ هجرية في الصحراء الواقعة الى الشرق من جبال الأطلس الكبير بالمغرب ، بينما استقر الرستميون في تاهدت في صحراء الجزائر والخطابيون في جبل نفوسة بليبيا وزويلة بفزان .

ولا يتسع المقام هنا لاكتب بتفصيل عن هذه الممالك التي كان الفضل في تأسيسها الى الوافدين الأحرار من عمان ولا الى مذهبهم العادل الذي لازال موجودا بتلك النواحي الى اليوم ، ولكنى سأكتفى بذكر التأثيرات الثقافية التي تركها هؤلاء المهاجرون من عمان في تلك المناطق •

ورغما عن ان العمانيين الوافدين قد جاءوا باللغة العربية وبأحكام الدين الخفيف الى تلك البقاع ، ورغما عن أن سكان تلك المناطق قد اعتنقوا الاسلام لأول مرة في تاريخ المغرب على يد هؤلاء العمانيين ورغما عن أن المذهب الرسمي لتلك الدول كان المذهب الأباضي علاوة على أن اللغة العربية قد أصبحت لغة الدين والعبادة والسياسة والثقافة والاقتصاد ، ورغما عن أن أزياء الرجال والنساء صارت عمانية وكذلك العادات وآداب السلوك ، الا أن سكان المنطقة قد احتفظوا رغم ذلك بلغاتهم ورطانتهم البربرية •

ولم ينعصب العمانيون لأنفسهم أو لأبناء عمومتهم بل عملوا بتقاليد مذهبهم من تولية العمال الصالحين والمتفهمين سواء أكان عربيا أو بربريا أو غارسيا دون نظر الى قوميته فاكسبوا بذلك محبة السكان في تلك البلاد ، بل فضلهم جيرانهم من قبائل البربر الأخرى من !المصامدة وصنهاجة وزناتة وكنانة وهوارة على غيرهم من العرب فدانوا لهم بالولاء ودافعوا عنهم بصلابة وبلاء • واذا كانت الشيعة الفاطمية قد نشأت في المغرب في القرن العاشر الميلادي الا أن المغاربة لم يتحولوا الى المذهب الشيعي ولانجد اليوم في المغرب العربي أى أثر للشيعة في الوقت الذي لازال فيه ثلث سكان المغرب العربي الكبير ونصف السكان الذين هم من أصل بربرى على المذهب الأباضي •

وبينما انغمس سكان المغرب والأندلس سواء السنين أو الشيعة العرب وفيهم البربر في الفتن والحروب الأهلية حبا في السلطة وجريا وراء الثروة والقوة فان ممالك الأباضية في المغرب العربي الكبير لم تحاول أن توسع

من سلطانها أو أملاكها على حساب جيرانها المسلمين بل فضلت أن تتاجر مع بربر الصحراء الكبرى وسكان الودح ، ثم مدت تجارة قوافلها عبر الصحراء الكبرى الى قبائل السودان وعلى عكس ما فعلت ممالك المغرب وسلاطينهم من غير الأباضية من الذين أرسلوا الحملات الى بلدان أفريقيا فيما وراء الصحراء الكبرى فاستولوا على ثرواتها من الذهب والفضة والعاج والجلود واسترقوا أهلها وباعوهم في سوق النخاسة ، لقد فضلت ممالك الأباضية التعاون والتجارة الحرة عن طريق مقايضة معدن الملح بالذهب مع نشر العلم والدين بين القبائل الافريقية .

ولم يرد في كتب التاريخ مطلقا أى اتهام للأباضية انهم مارسوا تجارة العبيد في أقطار السودان ، بل قام علماءهم بارشاد حكام تلك البلاد وتشجيعهم على توحيد بلادهم وهكذا قامت سلطنات التكود ومالى وغيرهم نتيجة لجهود الأباضية في الوقت الذى عمل فيه ملوك المغرب الآخرون على تدمير هذه الممالك الاسلامية الافريقية واضعافها حتى أصبح يسيرا على الاستعمار الأوروبى أن يبتلعها ابتداءً من القرن الثامن عشر ، ولو بقى الأمر كما رغب الأباضيون لظلت تلك الممالك قوية حتى أواخر القرن التاسع عشر على أقل تقدير .

وحتى اليوم لازال سكان جبل نفوسة والزاوية الغربية في ليبيا وسكان سط الجديد في جنوب تونس والمزابيون في الهضاب الوسطى بالجزائر على المذهب الأباضى ، ويعد الأباضيون في ليبيا من أنشط السكان وأكثرهم تقى وورعا ، أما المزابيون في الجزائر فقد اشتهروا فيها دوما بغيرتهم على الاسلام حتى أنهم صارعوا الاستعمار الفرنسى لا صراعا دينيا برفض التبشير المسيحى فحسب ، ولا صراعا سياسيا برفض الجنسية الفرنسية التى عرضتها عليهم فرنسا ، بل قاوموا فرنسا اقتصاديا أيضا باحتكار التجارة في الجزائر ومقاومة الاستسلام الاقتصادى لفرنسا ولازالوا حتى اليوم

يكونون قطب الرحي في الاقتصاد الجزائري ، ولاشك ان السر في احتفاظ هؤلاء المسلمين بصدق سرائرهم وأمانة معاملاتهم الى ماورثوه من أجدادهم العمانيين النازحين الى تلك البلاد .

إذا امعنت النظر في أزياء الأباضيين السالفي الذخر بالمغرب من الجلايب التي يرتدونها الى العمائم لوجدتها عمانية الشكل ، فهم يختلفون في لبسهم عن جيرانهم الآخرين من سكان ليبيا وتونس والجزائر والمغرب ، كما وانهم يمتازون عن غيرهم من سكان المغرب العربي الكبير بحمل الخنجر الشبيه بالخنجر العماني . أما أزياء النساء فهي تشبه بدورها نظائرها في عمان ، وكذلك عاداتهم في الزواج والافراح والمآتم والأعياد ، ويمتازون بسمو الأخلاق والصدق والأمانة .

هذه الصفحات الموجزة توضح القليل من الكثير من بقايا التراث العماني في أقطار المغرب العربي الكبير : اقدمها كتchie اجلال لهؤلاء الجنود المجهولين من حملة الثقافة العربية الاسلامية الأصيلة من أبناء عمان انذين نسيت اسماءؤهم في زحمة التاريخ والذين أوقدوا أقدم شعلة للمعرفة في الصحراء الكبرى والمغرب العربي الكبير وأقطار السودان الغربي والذين كان لهم الفضل في وصول نور الحضارة والعرفان لذلك الجزء الكبير من العالم . لهؤلاء الجنود المجهولين أقدم هذه الصفحات القلائل مع الوعد بأن أوافيهم بالمزيد من البحث عن تراثهم الذي خلفوه في الركن المغربي من عالم الاسلام .

خامسًا :

عُمان في مواجهة البرتغال

دور العرب والفرس
في مكافحة الاستعمار البرتغالي في الخليج
(دراسة مقارنة)
للأستاذ الدكتور صلاح العفاد

قد يستتبط من العنوان الذى اخترناه لهذه الدراسة أن سكان الخليج كانوا ينقسمون أثناء الغزو البرتغالى الى قوميتين متميزتين : العربية والفارسية ، ولكننا لم نقصد الى ابراز هذه الحقيقة لسبب بسيط وهو أن الشعور بالانتماء القومى أمر طرأ على المشرق الإسلامى فى القرن العشرين فقط .

وعلى ذلك فان هذه الدراسة تستهدف توضيح الفرق بين الأسلوب الذى اتبعه العرب عامة ، والعمانيون بصفة خاصة حينما كافحوا البرتغاليين بصورة منفردة فى حين أن الفرس رغم قيام دولة قوية فى بلادهم كانت أوسع انتشارا من الدولة العمانية الا أنهم تصدوا للبرتغاليين مستندين الى محالفات أجنبية .

وفى ذلك العهد ، أى فى القرن السادس عشر . كان التداخل بين العرب والفرس أمرا شائعا على سواحل الخليج وجزره ، فثمت قبائل عربية استقرت على الساحل الشرقى ، كما أن الفرس كانوا يغزون من حين الى آخر السواحل الغربية ويصطحبون معهم جنودا يتحدثون العربية .

اذن فان اللغة المستخدمة كانت هى العامل المميز بين من يوصف بأنه عربى ، ومن يوصف بأنه فارسى ، وقد يسمى بالعجمى عند بعض العرب وربما كان الانقسام المذهبى بين الشيعة وغيرهم من سنة أو أباضية أقوى تأثيرا على الشعور بالانتماء من الانقسام اللغوى .

كان من المفروض أن تتغلب العاطفة الدينية ، وتطوى تحت لوائها العرب والفرس فى مواجهة الغزو البرتغالى الذى اتخذ صفة صليبية الى

جانب أهدافه الاقتصادية • وللأسف تغلبت النزعة القبلية أحيانا ، والنزعة الذاتية لدى الحكام المحليين لدرجة أن بعضهم تحالف أحيانا مع البرتغاليين ضد خصومهم ، كما أن الصراع المذهبي بين العثمانيين والصفويين ، أى بين السنة والشيعة فوت على المسلمين فرصة التصدى بكفاءة للغزو البرتغالى •

عوامل ضعف المقاومة في الخليج :

عندما وصل البرتغاليون الى منطقة الخليج عام ١٥٠٧ واجهوا في بداية الأمر دولة تجارية عظيمة الثراء . ولكنها قليلة الخبرة بالأمور الحربية ، تلك هي مملكة هرمز .

ولعل الشهرة الواسعة التي اكتسبتها هذه المملكة حول ما يتوفر اديها من ثروات هو الذي جذب البرتغاليين بعد وقت قصير من وصولهم الى الهند وقبل أن يستقروا في هذه البلاد . فقد علا شأن هرمز منذ قرنين قبل مجيء البرتغاليين ويرجع ذلك الى تدهور ميناء سيراف الذي كان يلعب في تجارة الخليج نفس الدور الذي لعبته مسقط في القرن التاسع عشر .

فبعد أن أخذت غارات المغول تدمر الحرث والنسل في فارس والعراق التجأ تجار سيراف الى هذه الجزيرة الصغيرة ، وحولوها الى حلقة تخدم طريق التجارة الرئيسى ليس فقط بين موانئ الخليج ، بل أيضا الطريق التجارى العالمى الذى كان يستخدمه البنادقة للاتصال بالشرق ، ومن هنا كان يهم البرتغاليين تدمير هذا الطريق حتى ينفردوا بتجارة الشرق عبر طريق رأس الرجاء الصالح .

ويعجب المرء حين يقرأ وصف الرحالة لجزيرة هرمز ، وكيف أنها كانت تضم مباني فخمة ، ويقيم بها أربعمائة تاجر . وقد رأى أحد الرحالة ، ربما مع شيء من المبالغة ، ثلاثمائة سفينة ترسو على سواحل تلك الجزيرة الصغيرة التى فراها الآن خالية من السكان تقريبا . ولا شك أن نقل المؤن والمياه كان يكلف الكثير ، ولكن أرباح التجارة كانت تغطي هذه التكاليف . وبفضل هذه الثروة امتدت سيطرة هرمز فشمملت البحرين وبعض مواقع على ساحل عمان والاحساء مثل القطيف .

على أن المصادر الفارسية تؤكد تبعية هرمز لحكام إيران خاصة في عهد الشاه اسماعيل صفوى ، والواقع أن الحكام المحليين في هرمز كانوا يعلنون تبعيتهم أو استقلالهم حسب مصالحهم . وقد ترك البرتغاليون لهؤلاء الحكام المحليين بعض السلطات في إدارة شؤون البلاد الداخلية فكانوا يعلنون تبعيتهم للشاه حينما تسوء علاقاتهم بالبرتغاليين أو يستجدون بالعثمانيين مما دفع البرتغاليين في نهاية الأمر إلى إدارة الجزيرة مباشرة ، وقد صاروا يتشبثون بها لأغراض استراتيجية ، لأن أهميتها التجارية تلاشت بحكم تحول طريق التجارة وتوسع البرتغاليين في معاملة أصحاب السفن العرب وعدم الترخيص لهم بالمرور إلا باذن خاص .

وتعد هرمز وتوابها مثلا على تداخل السكان العرب والفرس في جزر الخليج ، ويبدو أن معظم جنود الحامية الذين واجههم البرتغاليون كانوا من الفرس . أما الملاحون الذين كانوا يعملون على السفن التجارية فهم من العرب .

وتعود الأسرة الحاكمة بنسبها إلى قبائل عربية من اليمن أو عمان هاجرت إلى الجزيرة في القرن الثالث عشر الميلادي . ويبدو من أسماء بعض الملوك مثل توراه شاه الذي عاصر قدوم البرتغاليين أن الحكام تأثروا بالثقافة والتقاليد الفارسية .

وسواء أكانت هرمز تابعة للدولة الصفوية ، أم كانت مستقلة فإنها لم تكن مستعدة لمواجهة غزو بحرى ولم يكن التجار يخشون من الدول المحلية الكبيرة لأنها لم تملك أساطيل ذات شأن .

هكذا انصرفت الدولة الصفوية إلى فتوحات في الشمال وإلى حروب ضد العثمانيين ولم تول أمور الخليج اهتماما كبيرا ، فكان الشاه اسماعيل يترك غالبا المناطق الساحلية الجنوبية لحكام شبه مستقلين .

وقد حاول الشاه اسماعيل في بداية الأمر أن يحث حاكم هرمز على الثورة ضد البرتغاليين واعداء اياه بالمساعدة غير أن هذا الأخير أظهر خناب الشاه للبرتغاليين ثم ما لبث الشاه اسماعيل نفسه سنة ١٥١٠ م أن غير موقفه ، ولم يجد غضاضة من طلب التحالف مع البرتغاليين ضد العثمانيين . وانتهى الى توقيع اتفاق مع الغزاة يدل على تجاهل المصالح العليا للمسلمين في سبيل تحقيق أهدافه الخاصة ومما جاء في الاتفاقية :

١ — تساند البحرية البرتغالية القوات الايرانية في الاستيلاء على النهرين والقطيف .

٢ — يتعهد البرتغاليون بمساندة الشاه في القضاء على الحركات الانفصالية التي قامت في اقليم مكران .

٣ — قيام تحالف عسكري بين الطرفين ضد الدولة العثمانية .

٤ — إعادة توران شاه الى هرمز نائبا عن الملك البرتغالي عمانوئيل .

بعبارة أخرى سلم الشاه بتبعية هرمز للبرتغاليين . وستكرى مساعي حكام فارس في عهد الدولة الصفوية للاستفادة بالقوى الأوروبية سواء ضد العثمانيين أو لتحقيق أهداف خاصة في منطقة الخليج .

كانت الدولة العثمانية هي القوة الاسلامية الكبرى الثانية التي يمكن أن تتصدى للبرتغاليين غير أن موقع الدولة وتركيبها لم يجعل منها في وقت من الأوقات دولة خليجية باستثناء فترة قصيرة في السبعينات من القرن التاسع عشر .

وعندما وصل البرتغاليون الى الخليج كانت الدولة العثمانية منشغلة بالحروب في أوروبا ولم تستقر السلطة العثمانية في بغداد قبل سنة ١٥٣٤ .

على عهد السلطان سليمان القانوني ، وحتى بعد دخول بغداد ، تركت البصرة لحكامها المحليين وهم شيوخ قبائل عربية ، لم يكونوا على وعى كامل بالمطامع الأوروبية .

وهكذا فضل أحد حكام البصرة أن يطلب معونة البرتغاليين عن طريق قيادتهم في هرمز على أن يخضع للعثمانيين الذين قد يزيلون سلطته أصلاً .

وقد عرض على البرتغاليين تحقيق امتيازات تجارية ولما لم يستطع الوفاء بوعده ، جلب حملة ثأرية على شط العرب ، دمر البرتغاليون خلالها السفن التي كانت تعمل لحساب التجار العراقيين .

على أن ثمت عوامل مختلفة اجتذبت الدولة العثمانية الى أن تدلى بدلوها في مقاومة البرتغاليين حول منطقة الخليج . من ذلك ما يتصل بتطور العلاقات الدولية خلال تلك الحقبة . فمن المعروف أن الباب العالي كان قد دخل في صراع مرير مع شارل الخامس ملك أسبانيا وإمبراطور النمسا ، ولما كان الصفويون يبحثون عن حلفاء بأى ثمن فقد طلب الشاه طهماسب معونات فنية وإرسال مدربين لجيشه من الإمبراطور في مقابل التعاون معه ضد العثمانيين . وقد علم السلطان سليمان القانوني بمشروع هذا التحالف فتجددت الحروب مع فارس قرب منطقة الخليج .

عامل آخر يتمثل في توجيه سلطان كجرات بهادر شاه الى السلطان العثماني لكي يمد يد المساعدة له بحكم التضامن الاسلامي بعد أن تعرضت بلاده للغزو البرتغالي .

ولم يكن إرسال المساعدات أمراً سهلاً ، نظراً لبعد المسافة ، وعدم وجود قواعد عثمانية بحرية في البحر الأحمر أو الخليج .

ومما جاء في رسالة سلطان كجرات أنه سيضطر الى الاستسلام
لبرتغاليين ما لم يمدّه بقوات بحرية كبيرة تستطيع الصمود أمام القوات
الغازية •

وقد كلف الباب العالي سليمان باشا الخادم والى مصر بتدبير الحملة
البحرية المطلوبة • فاتخذ من ميناء السويس قاعدة لإنشاء الأسطول ،
وحشد عشرين ألفا من المصريين ليعملوا كبحارة بجانب سبعة آلاف من
الانكشارية • وفى طريقه استولى سليمان باشا على عدن سنة ١٥٣٨ ،
ولكن عندما اقترب من الهند كان البرتغاليون قد استولوا على كجرات وقتلوا
سلطانها • ولم يشأ العثمانيون المغامرة فى معركة بحرية بعيدة عن
قواعدهم •

قربت هذه الحوادث العثمانيين من البحار الشرقية دون أن يدخلوا
الى مياه الخليج • وفى الأربعينات من القرن السادس عشر أخذ بعض
الزعماء المسلمين من داخل الخليج يستغيثون بالعثمانيين من جور
البرتغاليين •

وكان حاكم هرمز المحلى المسمى بشرف الدين من بين من استنجدوا
بالدولة الاسلامية الكبرى • وقد كتب الى والى بغداد يغيره بمهاجمة
البرتغاليين فى هرمز على أساس أن الحامية البرتغالية قليلة العدد وأن معظم
الجنود من الهندوس وبالفعل كثيرا ما استخدم البرتغاليون هذه العناصر
المعادية للمسلمين ليضربوا بها الشعوب الاسلامية •

وفى سنة ١٥٤٦ ظهرت قوة عثمانية بحرية أمام مسقط وضربت
الحصون البرتغالية هناك الا أن هذه القوات كانت محدودة ولم تتمكن
من البقاء مدة طويلة •

وهكذا اقتصر التدخل العثماني على غارات طارئة استجابة لنجدة السكان هنا أو هناك من الشواطئ العربية • فبعد هرمز استنجد أهل القطيف بالعثمانيين ولما استجابوا لهم بهجوم خاطف انسحبوا بعدها بقليل فقد ثار البرتغاليون بتدمير الميناء ولم يكن الشاطئ العربي على مسافات بعيدة يتمتع بأى استقرار أو وجود دولة منظمة تستطيع الدفاع عنه •

توفرت لدى الدولة العثمانية الرغبة في مواجهة الغزو البرتغالي للخليج كما فعلت بالنسبة للغزو الأسباني لبلاد الاسلام في شمال أفريقيا • غير أن امكانات الدولة العثمانية البحرية في المحيط الهندي كانت أضعف من قدراتهم في حوض البحر المتوسط ، لذلك اقتصر نشاطهم على حملات مؤقتة لاستهداف الاستقرار ، بل أن بعض هذه الحملات كان يقودها مغامرون من البحارة الذين يديرون الحرب بطريقتهم الخاصة دون تعليمات محددة ، هكذا كان الحال بالنسبة للبحار الشهير بير بك أو الرئيس مراد وكلاهما اشتهر بغارات ضد البرتغاليين •

استهدفت أول حملة لبير بك سنة ١٥٥٠ م الثأر من تدمير البرتغاليين لميناء القطيف فأقلعت قوة من السويس ودارت حول سواحل شبه الجزيرة ، وكان همها أن تغفل من الرقابة البرتغالية حتى تصل الى أهدافها • وأستطاعت بالفعل أن تصل أمام شواطئ مسقط وأن تجبر القلعة البرتغالية على الاستسلام •

وبعد قليل أفرج بير بك عن سجين من الأسرى البرتغاليين مقابل خدية مما يدل على أن هؤلاء البحارة المغامرين كانوا يسعون للكسب المادي العاجل دون التقيد بسياسة الدولة التي يعملون باسمها ، ولعل هذا من أسباب اعدام بير بك في نهاية الأمر •

اتجهت الحملة العثمانية بعد ذلك الى هرمز وبعد حصار دام عشرين يوما شعر العثمانيون بأنهم تكبدوا خسائر غادحة فرفعوا الحصار واتجهوا الى جزيرة قشم المجاورة وما لبثوا أن انسحبوا منها عندما وردت الأنباء بأن حملة برتغالية هائلة أقبلت من جواذر في اتجاه الخليج •

اذن فقد كان العثمانيون أو على الأصح هؤلاء القادة البحريون يدركون تفاوت القوى البحرية في منطقة المحيط الهندي ولذلك تجنبوا المواجهة في هذه المناطق مع القوى البرتغالية الرئيسية وتكررت هذه المحاولات الفردية العثمانية سنة ١٥٥٣ ، ١٥٨١ وفي كل مرة كانت تصل الى مسقط تستطيع النزول فيها بتعاون السكان أحيانا واتخاذهم مواقف سلبية أحيانا أخرى وفي جميع الأحوال كانت تتسحب بعد قليل •

وكان العثمانيون يتخذون من السويس أحيانا قاعدة للانطلاق الى المحيط الهندي وأحيانا أخرى ينطلقون من البصرة عبر شط العرب • وقد أضحت هذه المدينة مقرا للمسلمية تابعة لولاية بغداد سنة ١٥٤٩ ولاشك أن وجود ادارة عثمانية في البصرة قد شجع أهل القطيف على الاستنجاد بالعثمانيين مرة أخرى حتى أن هؤلاء قرروا في بعض الوقت اقامة حامية ثابتة في الميناء العربي واتصلوا بقبائل الاحساء •

أدرك البرتغاليون خطورة الوجود العثماني على سواحل الخليج الشمالية ولذلك شنوا غارة مفاجئة على البصرة سنة ١٥٥٦ والحقوا بعض الأضرار بالميناء ولكنهم لم يستطيعوا الاستيلاء عليه •

ومن ثم يمكن القول انه كما عجز العثمانيون عن مواجهة البرتغاليين في القسم الجنوبي من الخليج • فقد أخفق هؤلاء أيضا في الامتداد نحو الشمال • وإذا بنا نشهد صورة مصغرة لما سيكون عليه الصراع بين العثمانيين والبريطانيين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر •

وبين هاتين القوتين البرتغالية والعثمانية دار صراع حول البحرين وكانت لدى العثمانيين فرصة للزول الى الجزر . غير أن حاكمها المحلي رغم كونه مسلما . ظل مواليا للقيادة البرتغالية في هرمز ربما لخلافات مذهبية مع الأتراك وقد شهد عام ١٥٥٩ بهدم المناسبة معارك بحرية كان النصر فيها سجالا بين القوتين وانتهت . في انسحاب العثمانيين التي تواضعهم في البصرة •

لقد ورث العثمانيون حكم مصر من المماليك ونجحوا في أن يؤدوا نفس الدور الذي قام به أسلافهم في الدفاع عن البحر الأحمر ضد الغزاة من انصارج بيد أنهم وقفوا عند هذا الحد . وحينما كانوا يلتفون حول شبه الجزيرة في اتجاه الخليج أو يواصلون السير جنوبا الى شرق أفريقيا في مياه المحيط الهندي غانهم كانوا يشعرون بتفوق البرتغاليين ابهرى ويرجع ذلك في تقديرنا الى أن البرتغاليين بنوا امبراطورية ممتدة في الهند وسيطروا على عدة مران غفلا عن الموارد الطبيعية والأخشاب التي يسرت بناء أساطيل قوية لهم في البحار الشرقية •

واذن فإن الهند وليست موانئ البرتغال هي التي كانت منطلقا وقاعدة للأساطيل البرتغالية وبذا كانت أقرب الى مياه الخليج من السويس •

أما البحيرة فلم تحلح لكي تكون قاعدة عثمانية منافسة لموانئ الهند • هذا غفلا عن أن سكان الخليج اغتقدوا الشعور بالوحدة أو التضامن الديني والعمومي ولذلك فإن عوامل انهيار البرتغاليين ستأتي من قوى خارجية أو من التدهور الذي أصاب الامبراطورية من الداخل •

من ذلك أن البرتغال فقد استقلاله وخس الى أسبانيا سنة ١٥٨٠ م ولو أن ملوك أسبانيا ظلوا يرعون مصالح الامبراطورية البرتغالية • كذلك اتصف البرتغاليون بروح التعصب والتسوة في معاملة السكان المحليين ولم يكتفوا بتنظيم التجارة مع تلك الشعوب •

وفي الخليج على سبيل المثال لم يعمد البرتغاليون الى استغلال مفاصل اللؤلؤ مباشرة بل استمر السكان يقومون بهذا العمل الشاق ويحصل البرتغاليون منهم ضرائب باهظة • وعلى وجه العموم استخدم البرتغاليون سواء في الأعمال المدنية أو العسكرية أعدادا كبيرة من العبيد والمرترقة فكان الملاباريون يشكلون نصف حامية هرمز •

كما أن الملك كان يحتكر أهم السلع لحسابه الخاص وبعد تدهر سلطة النظام الملكي في البرتغال ، تطلع قواد الحاميات الى أن يرثوا الاحتكار •

إذا كانت الدولة العثمانية قد أسهمت بدور ثانوى لمواجهة البرتغاليين بسبب بعد قواعدها البحرية ، والصفويون انصرفوا الى الحروب في الشمال وفي العراق ، فلماذا تراخى العرب أيضا خلال القرن السادس عشر ؟؟؟

من المعروف أن ساحل شبه الجزيرة الشرقى كان وما يزال قليل السكان ولم يوجد به في ذلك الوقت حتى ولو شكل بسيط لدولة منظمة ، يستثنى من ذلك منطقة عمان فهي أكثر سكانا وبها انتاج زراعى يوغر حياة الاستقرار كما أنها عرفت تنظيما سياسيا متقدما نسبيا يتمثل في نظام الامامة ندى الأباضية غير أن ذلك تغير عند قدوم البرتغاليين إلى دولة ملكية وراثية هي الدولة النبهانية •

وقد اسهب المؤرخون العمانيون مثل نور الدين السالمى في الحديث عن مظاهر الظلم والجور التى اتسم بها ملوك هذه الدولة ومن ثم لا تتمتع بشعبية تذكر •

والمتوقع في مثل تلك الظروف أن يقبل ملوك ضعاف التعاون مع الغزاة فاتفقت مصالحهم احيانا مع البرتغاليين خاصة وأن هؤلاء لم يعمدوا الى احتلال شامل للبلاد بل يتركون حاميات قليلة العدد في قلاع

حصينة ويفرضون الضرائب الباهظة ونظم التجارة التى تخدم مصالحهم بواسطة القوة ، ويتركون الحكام المحليين ينفذون لهم تلك الخطط . وهكذا ظل أحد النبهانيين يحكم مسقط فى ظل الحماية البرتغالية التى وضعت فى المدينة سنة ١٥٠٨ •

وحسب احدى الروايات فقد ذهب حاكم مسقط الى أبعد من ذلك ففى سنة ١٥٢١ اتفق حكام البحرين والقطيف وبعض زعماء القبائل العربية على مدامه الحاميات البرتغالية المبعثرة هنا وهناك على شبه الجزيرة ليلة ٣٠ نوفمبر من ذلك العام •

وكان مقدرا للخطأ أن تنجح لولا أن شذ حاكم مسقط . ومن الأرجح أن يكون وجود الغزو الأجنبى قد دفع بالعمانيين الى محاولة احياء الامامة الا أنهم لم يستطيعوا الاتفاق على زعيم دينى واحد وبويع أكثر من امام فى نفس الوقت وكان ميناء صحار مايزال فى يد الوطنيين يحاول أن يفلت من قيود الملاحه والتجارة التى فرضها البرتغاليون . وحدث أن استنجد حاكم الميناء سنة ١٥٧٣ بأحد النبهانيين لكى ينقذ الميناء من خطر الغزو البرتغالى الا أنه لم يستطع أن يفعل شيئا وسقطت صحار بدورها فى يد البرتغاليين الذين استولوا على عدة موان من الساحل العربى ، من جلفار (رأس الخيمة) شمالا حتى صور جنوبا •

فى هذه الأثناء قضى أحد المغامرين ويدعى عمر بن حمير على غلول الدولة النبهانية وزادت الانقسامات الداخلية فى عمان ، مما أفسح المجال للغزاة كى يفرضوا سيطرتهم العسكرية والاقتصادية ولاشك أن الوجود البرتغالى لم يكن قائما على الصراع العسكرى البحت مع الملوك أو الحكام المحليين وانما أثر تأثيرا مباشرا على مجموع الشعب الذى كان يستمد من التجارة والملاحه مصدرا رئيسيا لمعيشته ، لهذا لا يبدو غريبا أن يتحمس العمانيون ويتحدوا عندما ظهرت دعوة الامامة والجهاد على يد ناصر بن مرشد اليعربى فى القرن السابع عشر •

الدور الفارسي

اختلف الدور الفارسي في مناهضة البرتغاليين عن الأسلوب العربي وأهدافه ففي حين استهدف العرب أو على وجه الدقة العمانيون فكرة الجهاد ضد البرتغاليين ، أخذ الفرس اعتبارات أخرى إزاء هذا الموضوع فقد شرعوا في الارتباط بالسياسات الدولية الأوروبية كما أن الشركات الأوروبية نظرت الى فارس من زاوية المصالح التجارية فهي على خلاف المنطقة العربية شكلت سوقا استهلاكية لتصريف المنتجات الأوروبية ومما كانت تجلبه الشركات من منتجات الهند والشرق الأقصى كما كانت مصدرا للحرير .

وفيما يخص العلاقات الدولية فيلاحظ أن كلا من العالم الاسلامي والمسيحي كان منقسما على نفسه ، وكانت الأطراف المتصارعة مستعدة للتحالف مع أطراف المعسكر الآخر دون مراعاة لفكرة التضامن الديني . فاذا كانت الدولة العثمانية في صراع مع أسبانيا ، فمعنى ذلك أن الصفويين يرون فيهم حليفا صالحا لهم .

ومن المعروف أن أسبانيا صارت مسئولة عن المستعمرات البرتغالية منذ سنة ١٥٨٠ ، عندما ضم البرتغال الى العرش الأسباني . وقد مارست عليها السيادة العليا الا أن ذلك لم يعن وضعها تحت الادارة المباشرة فقد أبقى على التركيب العسكري والمدني للمستعمرات البرتغالية دون تغيير ، وانصببت مسئولية العرش الاسباني على الجوانب الدبلوماسية فقط ويلاحظ أن الشاه عباس كان يميز أحيانا بين فكرة التحالف مع الأسبان وبين معاملته للقواعد البرتغالية على حدود بلاده ، فيشدد الخناق على هذه القواعد وفي نفس الوقت تستمر اتصالاته مع بلاط مدريد .

يعتبر الشاه عباس من أعظم ملوك الدولة الصفوية وقد ساعدته طائفة

من الجند تعرف بالقازلباش على ارتقاء العرش سنة ١٥٨٧ ولكنه فضل أن يتخلص منهم حتى لا يكون أسيرا لأصحاب الفضل عليه واعتمد على الأرمن المسيحيين ليكونوا الحرس الخاص له ، بينما يرسل المسلمين للحروب الخارجية وبذا يأمن الانقلابات في الداخل ويستفيد من العاطفة الإسلامية في حروبه ضد الكفار •

وقد نقل عباس مقر حكمه الى أصفهان ومن شأن ذلك أن تزيد اهتمامات الدولة بمنطقة الخليج القريبة •

وفي تقديرنا أن هذا التحول نحو الجنوب يمثل مرحلة هامة في تطور سياسة الصفويين نحو الخليج •

ويبدو أنه توغرت لدى حكومة ايران على عهد الشاه عباس صورة واضحة الى حد ما عما يجري في أوروبا ومما ساعد على ذلك قدوم مغامرين انجليزين هما الأخوان شيرلى ، وقد توثقت علاقة احدهما بالشاه الذي اختاره سفيرا لدى بلاط مدريد ، ذلك هو روبرت شيرلى •

وهناك فترة طويلة تفصل ما بين أول حملة فارسية ضد البرتغاليين حينما استولت على البحرين سنة ١٦٠١ م وبين الحروب الشاقة الطويلة التي أدت الى سقوط جمبرون ثم هرمز في سنة ١٦٢٢ م ويمكن القول ان الاستيلاء على البحرين تم بمساعدة ظروف محلية طارئة ولم يتطلب معارك طاحنة كتلك التي دارت في جمبرون وهرمز ، ذلك أن حاكم البحرين المحلي يعمل لحساب البرتغاليين والذي كان يدعى ركن الدين مسعود كان على علاقة صداقة خاصة ببوردي خان حاكم اقليم فارس من قبل الشاه • فاقتنص عباس هذه الفرصة لاجراء اتصالات مع ركن الدين مسعود الذى وافق على نزول قوات فارسية سرا الى الجزيرة وبهذه الطريقة نزل الفرس الى البحرين دون أن يحتاجوا الى مواجهة بحرية مع البرتغاليين وما أن

استقر الفرس هناك حتى عمدوا الى قتل ركن الدين مسعود واعلان ضم
الجزر الى حكومة الشاه .

ولاشك أن فقدان البحرين كان خسارة كبيرة للبرتغاليين في
الخليج إذ كانوا يحصلون منها رسوما عالية علي استخراج اللؤلؤ كما
ان الجزر تضم أراضى صالحة للزراعة استخدمت لتزويد هرمز بالمؤن .
وقد اعتبر البرتغاليون أن البحرين جزءاً من ممتلكاتهم على أساس أنهم
ورثوا هرمز وان البحرين تابعة تقليدياً لهذه المملكة ولذلك سيطالبون
باستردادها خلال الاتصالات الدبلوماسية التي ستجرى بعد ذلك مع
فارس .

حاول الشاه عباس قبل اجراء سلسلة من الاتصالات مع بلاط
مدريد أن يستعدى أوروبا على المستعمرات البرتغالية في الخليج فأوفد بعثة
خاصة تحمل تقارير عن مساوئ ادارة البرتغاليين لهذه المستعمرات وكيف
أنهم يضرون بمصالح التجارة العالمية .

ولم تسفر بعثة حسين بك عن أى نتيجة تذكر لذلك لم تجر اتصالات
هامية الا بعد سقوط البحرين واهتمام البلاط الأسباني باسترجاعها .
فقد كانت حكومة مدريد تظن أن الفرس في حاجة ملحة للتحالف مع أسبانيا
في صراعهم مع العثمانيين لذلك كانت شروطهم دائماً متشددة ، ومطالبهم
الاقتصادية كبيرة بحيث يتعجب المرء امام قبول الشاه مبدئياً لهذه
الشروط .

وحينما وصل المبعوث الأسباني دى جوفيا لمقابلة الشاه في مازندران،
كان الفرس قد ضربوا حصاراً حول القلعة البرتغالية في جمبرون ، فتضمنت
العروض الأسبانية الشروط التالية :

أولاً : رفع الحصار المضروب حول جمبرون .

ثانيا : اعادة جزر البحرين للبرتغاليين •

ثالثا : أن يكون للامبراطورية الأسبانية البرتغالية حق إحتكار الحرير
الفارسي فلا يجوز بيعه لأية جنسية أخرى •

رابعا : عقد تحالف بين مدريد وأصفهان ضد العثمانيين •

رضى الشاه بهذه التنازلات مبدئيا ورفع الحصار بالفعل عن جمبرون
وصدرت الأوامر للقائد الفارسي في البحرين ليسلم الجزر للبرتغاليين
وقد كبر عليه أن ينفذ هذا الأمر وبرر موقفه بأنه لم يلحظ في أوامر الشاه
حزما كافيا وبالفعل لم يلح الشاه في تنفيذ هذا الأمر واغفله تماما •

انتهاز قلب الثاني ملك أسبانيا فرصة احراز انتصار فارس على
العثمانيين فأوغد دى جوفيا في سفارة ثانية سنة ١٦٠٨ م الى فارس بقصد
تهنئة الشاه بهذا النصر •

وقد شك المبعوث الأسباني من أن حاكم البحرين لم يلتزم بأوامر
الشاه في تسليم الجزر للبرتغاليين ثم كرر المطالب الاقتصادية المشار
اليها آنفا طالبا احتكار جميع السلع التي تصدرها فارس •

رد الشاه عباس على هذه المطالب بارسال وفد فارسي الى أسبانيا
حتى يستطلع امكانات التحالف ، ولابد أنه شعر بأن التضحيات التي تطلبها
أسبانيا تزيد كثيرا على قيمة التحالف المحتمل فالأسبان لا يستطيعون ان
يقدموا مساعدات فعالة مباشرة لأنهم يوجهون اهتماماتهم الرئيسية الى
مستعمراتهم في العالم الجديد ويتركون للبرتغاليين مهمة الشؤون العسكرية
في البحار الشرقية •

والخلاصة أن فقدان الثقة استمر طوال هذه الاتصالات حتى أن الشاه

لم يقابل مبعوثيه بعد عودتهم من مدريد وكان قد صمم منذ سنة ١٦١٥ على تغيير سياسته ازاء البرتغاليين في الخليج •

ولما كان الفرس يشعرون بتخلفهم عن البرتغاليين في مجال الحروب البحرية ، فقد آثروا البدء بتحرير ميناء جمبرون من القلعة البرتغالية المشرفة عليه فأمر الشاه حاكم لار بضرب حصار عليها واستطاع امام قلى خان قائد القوات الفارسية الاستيلاء عليها سنة ١٦١٥ م وأمر بهدمها واتمامة قلعة أخرى الى الداخل بعيدة عن مرمى المدافع البرتغالية • ولاشك أن سقوط جمبرون قد ترك هرمز دون قاعدة تستند اليها في الحصول على الامدادات •

تحرير هرمز :

اعتبرت جزيرة هرمز تالية في أهميتها لمدينة جوا الهندية عاصمة الامبراطورية البرتغالية في الشرق • والواقع أن هرمز استمدت كما رأينا أسباب ازدهارها من كونها محطة لتجارة العبور بين الشرق والغرب • أو على الأقل بين الدول المجاورة ، لذلك فانها تفقد ميزاتها اذا كان المسئولون فيها على علاقات سيئة مع جميع الشعوب المجاورة (الفرس والعرب وسكان الولايات العثمانية) وهكذا كان الحال خاصة بعد ان انقطعت الاتصالات بين الدولة الصفوية وبين العرش الأسباني بل ان أسبانيا نظرا لحروبها المستمرة أصدرت الأوامر بمنع التجارة بين هرمز وبين الولايات العثمانية ولاشك أن تجار العراق قد تضرروا من هذه المقاطعة على الأقل لأنهم كانوا يستخدمون مضيق هرمز للعبور الى الهند اذا لم يتبادلوا السلع في نفس الجزيرة •

على أن حكام هرمز من البرتغاليين لم يكونوا يلتزمون دائما بأوامر انظر فكانوا يرسلون قوافل بحرية الى البصرة ولما ساءت علاقاتهم بالعرب والفرس كثرت المشاحنات البحرية مما أضر بالتجارة عموما في الخليج • والظاهر أن البرتغاليين مارسوا أعمال القرصنة قبل ان يمارسها العرب ولم يتوقف البرتغاليون طوال هذه الفترة عن محاولاتهم لاسترداد البحرين عن طريق القوة حتى قيل أن خطة الفرس في حصار جمبرون انما كانت تستهدف تخفيف الضغط على البحرين فتشتت القوات البرتغالية ما بين الدفاع عن جمبرون وما بين تدبير الخطط للهجوم على البحرين •

فلما سقطت جمبرون ، وهي تبعد نحو ستة عشر كيلو مترا عن هرمز ، فقدت الجزيرة مصادر تموينها من الغذاء والمياه ، وقل استخدامها لنقل تجارة العبور لأن قسما كبيرا من هذه التجارة كان يرد من جمبرون •

والواقع أن اضطراب الملاحة في الخليج حتى من قبل نشوب

انصراع البرتغالى الفارسى جعل التجار يفكرون فى طريق بديل عن الخليج ،
وشرع بعضهم فعلا فى استخدام الطريق البرى بين الهند وفارس وهو
الطريق الذى يمر بمدينة قندهار الأفغانية .

وقد لفت استيلا ، أحد التجار الانجليز ، نظر شركة الهند الشرقية
الى هذا الطريق ، ومن جهة أخرى فان شيوع استخدام طريق رأس
انرجاء الصالح كمحطة لتجارة العبور بين أوروبا والشرق قلل من أهمية
هرمز ، ويتضح من ذلك كله كيف أن هرمز فقدت ميزتها التجارية بالتدريج
على عهد الحكم البرتغالى . وإذا كان البرتغاليون قد تشبثوا بها فذلك راجع
انى أسباب تتعلق بالهوية ، وبمصالح القواد الذاتية ولأن البرتغاليين بعد
أن أساؤا معاملة أهالى الخليج على مختلف جنسياتهم أدركوا أن مصيرا
مظلما سوف ينتظرهم اذا ما سقطوا فى يد أعدائهم ويمكن القول بأن
عوامل التدهور كانت تنخر فى عظام البرتغاليين فى الخليج من الداخل
بسبب أساليبهم الوحشية فى معاملة السكان من جهة وطريقتهم فى ادارة
التجارة والملاحة من جهة أخرى ، بل أن علاقاتهم بدولتهم كانت أبعد
ما تكون عن مراعاة الولاء والمصلحة العامة لحكوماتهم .

لقد انتهز القواد المحليون ضعف حكومة لشبونة وتبعيتها للأسباب
لكى يديروا المستعمرات لحسابهم الخاص وكونوا ثروات ضخمة وامتلك
بعضهم أساطيل خاصة . ولما كانت مدة ولايتهم لا تزيد عن ثلاث سنين
حسب العرف السائد فى ذلك الوقت فان كل حاكم كان يجتهد فى أن يجمع
أكبر قدر من الثروة خلال هذه المدة القصيرة فلا غرو بعد ذلك أن يحاول
الذين يتخلعون الى هذه الوظائف الوصول اليها بأية وسيلة ، وكان
اسلوب الرشوة هو أيسر تلك الوسائل .

وحسب ما رواه أحد حكام هرمز سنة ١٥٥١ م وكان يدعى الفارودى
نورنها ، أن سلفه جمع أثناء عمله فى حكم الجزيرة ١٤٠ ألف بردوسه
من العملة البرتغالية . أما هو فقد جمع ضعف هذا المبلغ .

وعندما تكونت شركة الهند الشرقية البريطانية ، ترددت فترة في استخدام موانئ الخليج لتصريف بضائعها بسبب اضطراب الملاحة ووجود البرتغاليين في هرمز لما وصلت التقارير عن أهمية تجارة فارس •

اختارت شركة الهند الشرقية ميناء جاسك على الطرف الجنوبي من الساحل الفارسي لتقييم فيه وكالتها ومعنى ذلك أن الشركة الانجليزية أرادت أن تبعد عن مضيق هرمز حيث يوجد المعقل البرتغالي الكبير ، ويبدو أن حكومة مدريد ما كادت تسمع عن بدء النشاط التجارى الانجليزى في فارس حتى احتجت على ذلك مستندة الى مشاريع التحالف التى لم تتم بين البلدين •

ومما يسترعى الانتباه أن السفير الفارسى في مدريد «روبرت شيرلى» أيد وجهة النظر الأسبانية مما يدل على عدم ولائه للدولة التى يمثلها ، فليس غريبا بعد ذلك الا يستمع الشاه الى احتجاج حكومة مدريد ولا الى توصيات سفيره هناك فقد ورد في رده على هذه الاحتجاجات قوله اذا كنتم تريدون اخراج الانجليز من الخليج فعليكم ان تفعلوا ذلك بأنفسكم •

رغم تعرض السفن الانجليزية لمضايقات الأسطول البرتغالى في الخليج ، فقد تواصلت أعمال الوكالة الانجليزية في جاسك ، ودفع التجار الانجليز مبالغ أعلى في شراء الحرير الفارسى ، مما جعل التجار المحليين يقبلون على التعامل معهم ، ولم يلبث الهولنديون أن ظهروا أيضا على مسرح التجارة الفارسية • حينئذ شرعت حكومة مدريد في التفكير في اتخاذ موقف متصلب •

غفى سنة ١٦١٨ بعث فيليب الثالث ملك أسبانيا بتعليماته الى «جوا» لاتخاذ الاستعدادات اللازمة لمواجهة محتملة مع فارس •

وفي نفس الوقت حاول ملك أسبانيا مواصلة الحوار مع الشاه على

أساس الحلول الدبلوماسية وإزالة الخلافات بالتراضي ، بيد أن هذه الحلول في نظر الشاه كانت تنطوي على الشعور بالتعالى • فالمطالب الأسبانية مازالت تردد مبدأ إعادة البحرين وجمبرون للحكم البرتغالى • وإذا كان الفرس قد ترددوا من قبل في إعادة البحرين فقد صارت الاستجابة لمثل هذه المطالب أبعد عن التحقيق بعد تحرير جمبرون •

والظاهر أن ملك أسبانيا كان مازال يعتقد أن الصراع بين الفرس والعثمانيين سيدفع الشاه الى التساهل ، لذلك جدد فكرة التحالف بين البلدين وطلب الى حكومة أصفهان ان تؤيد مرابطة أسطول برتغالى عند باب المندب لمنع مرور التجارة بين مصر والولايات العثمانية من جهة والبحار الشرقية من جهة أخرى ويدل هذا المطلب على عدم وضوح رؤية الأسبان للأوضاع في جنوب شبه الجزيرة العربية فلم يكن للفرس أية قوة أو سلطة في خليج عدن تجعل موافقتهم أو عدمها أمرا ضروريا لتحقيق مطالب الأسبان •

ومن بين الاقتراحات التى قدمها غيليب الثالث الى الشاه سنة ١٦١٨م ما يتعلق باحتكار بلاده لتجارة الحرير • (فينبغى على التجار الايرانيين سواء كانوا مسلمين أم مسيحيين أن ينقلوا كل ما يصدرونه من حرير الى هرمز أو جوا • فإذا نقلوا بضائعهم الى مكان آخر ، فسوف نتخذ لاجراءات الضرورية لمنعهم من ذلك) •

نسبت رسالة الملك الأسبانى تلك الاقتراحات الى روبرت شيرلى ، والراجح أن يكون ذلك صحيحا ، لأن ذلك السفير لم يتأخر في ابلاغ الشاه بأن الأسطول الأسبانى قادم الى الخليج لمساندة البرتغاليين ، ويحثه على تجنب الصدام مع الاسبان ، وعدم الاعتماد على الانجليز لأنهم لا يصلحون لمخالفة الفرس بسبب ما بينهم وبين العثمانيين من صلات •

غضب الشاه لهذا الأسلوب ، ولم يكن يفكر بعد في تحالف مع

الانجليز وانما استاء من التهديد ، ورد بلهجة عنيفة قائلا أنه لن يتخلى عن شبر واحد من بلاده وأن البحرين اذا كانت تابعة لهرمز فان هرمز نفسها تابعة لفارس ، وأردف قائلا « أما المساعدة الإسبانية ضد العثمانيين فليسنا بحاجة اليها لأننا عقدنا الصلح مع الباب العالي » •

تترك الأسطول الأسباني من أوروبا سنة ١٦١٩ تحت قيادة روى غريير ومقصده المعلن هو اقفال باب المندب في وجه السفن العثمانية • أما الحقيقة فهي أولا : تخويف الشاه عباس من اقيام بأى عمل عدائى ضد البرتغاليين في الخليج • والقضاء على التجارة الانجليزية هناك قبل أن تثبت أقدامها في فارس • تدل على ذلك التعليمات التى حملها روى غراير في رحلته • فهي تقضى بأن يكرر المطالب الأسبانية على الشاه بما في ذلك حق احتكار الحرير الفارسى فاذا نجح في مهمته فيمكنه بعد ذلك أن يتوجه الى البحر الأحمر لتنفيذ خطة اغلاق باب المندب • أما اذا رفض الشاه ، فعلى القائد الأسباني أن يتدخل لاسترداد جمبرون والبحرين ، ومساندة الحامية البرتغالية في هرمز باثشاء موقع جديد في جزيرة قشم •

مر روى غراير بمدينة « جوا » قبل أن يتوجه الى الخليج ، وحينما وصل الى هرمز ، حدث انشقاق في القيادة البرتغالية الأسبانية حول الخطط التى يجب اتباعها نحو فارس فممثلوا الطوائف التبشيرية نزعوا الى الحرب ، ربما لأنهم كانوا يشعرون بالغضب لاختفاقهم في أعمال التبشير في بلاد اسلامية كفارس ، على عكس النجاح الجزئى الذى حققوه في المناطق الهندوسية •

وكلن الآباء الكرمليون والأوغسطينيون هم الذين يحاولون ممارسة النشاط التبشيرى في فارس والعراق وبعض مناطق الخليج •

ومن المفارقات أن يكون القواد العسكريون أميل الى الصلح ، ورجال الدين هم دعاة الحرب •

أما القائد الأسباني فقد حدد موقفه على ضوء المنافسات الأوروبية واعتبر ظهور السفن الانجليزية في الخليج واستمرار تجارتها مع فارس خطرا كبيرا يهدد المصالح البرتغالية وبقاء هرمز بيد الامبراطورية وبه ن سقوط هذا المقل سيكون له أثر بعيد على الممتلكات البرتغالية بأسرها في الشرق •

لاحت نذر الحرب بين الاسبانيين من جهة والانجليز من جهة أخرى فوق مياه الخليج قبل أن يدخل الفرس كطرف في هذا النزاع الأوربي ذلك أن الشاه فضل سياسة الحذر والانتظار حتى يرى نتيجة القتال ثم يحدد موقفه بعد ذلك •

وفي نهاية سنة ١٦٢٠ دارت معركة بحرية بمحاذاة ميناء جاسك حيث توجد الوكالة الانجليزية ، وكان البرتغاليون قد منعوا سفينتين انجليزيتين من الدخول الى الميناء فوجد المبرر لكي يشن الانجليز على خصومهم هجوما بحريا ، ورغم تفوق البرتغاليين من حيث عدد السفن الحربية ، فقد الحق الانجليز بهم خسارة فادحة فيما يمكن تسميته بمعركة جاسك ، ويرجع الفضل في ذلك الى أن السفن الانجليزية التجارية كانت مسلحة تسليحا جيدا •

أصبح مندوب شركة الهند الشرقية في فارس بعد الانتصار في هذه المعركة يتطلع الى ما هو أبعد من الأهداف التجارية البحتة ولو أنه باعتباره ممثلا لشركة كان يضرب على نعمة المصالح التجارية فهو يقرر لدى مركز الشركة الرئيسي في سوربات بالهند بأن ازدهار التجارة الانجليزية في فارس يتطلب طرد البرتغاليين من هرمز أو حتى احتلال البريطانيين لهذه الجزيرة •

أما الشاه عباس فلم يتحول مباشرة الى فكرة التحالف مع الانجليز اثر انتصارهم في جاسك فهو حين اجتمع بمندوبي شركة الهند الشرقية

في ذلك الوقت ، اقتصر مباحثاته على الشؤون التجارية ، ولم يتطرق الى موضوع التحالف العسكري . والذي دفع بالشاه الى فكرة التحالف مع الانجليز كان اجراء أسبانيا اتخذه روى غراير بعد معركة جاسك الا وهو احتلال جزيرة قشم ، وذلك لتعويض جمبرون التي كانت تمد هرمز بالمياه والمؤن .

اعتبر الشاه هذا الاحتلال عملا عدائيا ، لأنه بعد أن تطلع الى تصفية الوجود البرتغالي من الأراضي التابعة له . لم يعد من المعقول أن يتقبل احتلال منطقة جديدة من ممتلكاته مثل قشم فعلى أثر ذلك الحدث فاتح الشاه « موتكس » مندوب شركة الهند الشرقية في أمر التحالف ، واعد الانجليز بمزيد من الإمتيازات التجارية . وحث المندوب على أن يطلب من ادارة الشركة وضع قوة بحرية انجليزية ترابط في الخليج بصفة دائمة .

ويبدو أن الشاه عباس أراد أن يكسب الوقت الى أن يعقد التحالف مع الانجليز بصورة رسمية فبينما كانت الاتصالات جارية مع شركة الهند الشرقية ، استقبل الشاه بعض الاساقفة الاغسطونيين ، ووضح لهم كيف أن احتلال قشم يعد عملا عدائيا ، الا أن ذلك لا يعنى حتمية انحراب فمن الممكن التباحث حول الصلح مع القيادة في هرمز . وقد حمل أحد الاساقفة رسالة الشاه واستغل ظروف هذه الوساطة لكي يوغر صدر روى غراير على الفرس .

وعلى العكس أراد القواد البرتغاليون الذين يعيشون في هرمز منذ زمن بعيد الاستجابة لدواعي الصلح ، موضحين أن احتلال قشم لا يستهدف الاعتداء على فارس وانما تتخذ الجزيرة كنقطة للتموين فقط ومما لاشك فيه أن القادة العسكريين لم يشاءوا التضحية بمصالحهم ، وأعمالهم التجارية في مقابل مغامرة حربية غير مضمونة العواقب غير أن رسالتهم الى الشاه جاءت متأخرة .

وهناك عوامل مختلفة حسمت في نهاية الأمر موقف الشاه عباس باتخاذ قرار الحرب ضد الأسبان والبرتغاليين والاستيلاء على هرمز ، من ذلك الغارات التي أخذ المغامرون البرتغاليون يشنونها على السواحل الفارسية فيقتلون السكان وينهبون الثروات ثم يعودون الى معقلهم في هرمز ، ومنها أيضا رؤية الشاه للعرب في ساحل عمان يستولون على حصن برتغالي سنة ١٦٢٠ ، وقد كان تعاون السكان على الشاطيء المواجه عنصرا هاما في خطة الهجوم على هرمز لأن الجزيرة صارت تستجلب جزءا من حاجياتها من المياه من الشاطيء العربي القريب .

ولعل أهم عامل في قرار الشاه لعقد التحالف مع الانجليز هو أن الفرس لم تتوفر لديهم قوة بحرية قادرة على احتلال الجزيرة فضلا عن الوصول اليها ، واذا كانت البحرين قد سقطت في يد الفرس سنة ١٦٠١ فان ذلك تم بالتعاون مع الحاكم المحلي ، ولم تكن حكومة مدريد حينذاك قد أخذت على عاتقها الدفاع عن الممتلكات البرتغالية في الخليج كما فعلت عند ارسال حملة روى فراير لحماية هرمز . وتطلب الأمر أن يستخدم الشاه الضغط على ممثلى شركة الهند الشرقية حتى يقنعهم بالتحالف خبير لهم أن الامتيازات التي تمت ، انما تحققت بعد مفاوضات شاقة واذا لم تقدم الشركة معونتها ، فهو لن يسحب هذه الامتيازات فخط بل سيغلق طريق القوافل البرى أيضا .

وفي سوروات تردد المسؤولون عن الشركة حول التورط في الحرب وما ستكلفه من نفقات . صحيح أن الشركة تملك امتياز اعلان الحرب وعقد الصلح في بلاد الشرق ولكنها قبل كل شيء مؤسسة تجارية ولا تتوسع في نفقات الحرب الا عند الضرورة .

وكان مونكس مثل الوكلاء المحليين أكثر حماسة لعقد التحالف الانجليزى الفارسى . فذكر أن الضرورة تقتضى فعلا محاربة البرتغاليين الذين يهاجمون السفن الانجليزية في الخليج .

أما رئاسة الشركة في لندن فلم توافق على هذه المغامرة الحربية ونظرت الى المسألة من زاوية العلاقات الأوروبية ، غفى تلك الفترة كان الهدوء يسود العلاقات بين أسبانيا وانجلترا • وحينما وصل رأى انريثاسة الى سورات كان التحالف قد تم وخرج الأسطول الانجليزي في اتجاه الخليج •

تم عقد التحالف الانجليزي الفارسي في يناير سنة ١٦٢٢ وفي أثناء المباحثات حول هذا الموضوع ، قدم الانجليز غالبا بأن يكون لهم حق تحصيل الضرائب التي كانت تدفعها هرمز لاقليم « لار » الفارسي فيما مضى • كما أرادوا أن يكون لهم حق تسلم القلعة •

وتم الاتفاق على الشروط الآتية :

١ — عندما يتم احتلال هرمز ، تقسم الغنائم بالتساوى بين الطرفين المتحالفين •

٢ — يشترك الطرفان في احتلال القلعة البرتغالية •

٣ — تقسم العوائد بالتساوى بين الطرفين ، وتعفى البضائع الانجليزية الى الأبد من الرسوم الجمركية عند دخولها هرمز •

٤ — بعد انتهاء الحرب يسلم الأسرى المسلمون للفرس والمسيحيون للانجليز وسيطلب الفرس استثناء القائد الأسباني من هذا الشرط ولكن الانجليز لن يسمحوا بذلك •

٥ — تدفع فارس نفقات تموين السفن ، ومرتبات الجند وثمان البارود المستهلك •

كلف الشاه امام قلى خان ، حاكم اقليم « لار » بقيادة القوات الفارسية في الهجوم على هرمز • فتعاون مع الأسطول الانجليزي في العبور

الى الجزيرة واتجهت الحملة أولا الى جزيرة قشم ، وكانت تضم عددا كبيرا من البحارة العرب الذين ينتمون الى القبائل النازلة على الساحل الفارسى ، فاحتلتها دون أن تتحمل خسائر تقريبا .

ثم أعيد تجمع قوات الحلفاء ، واستطاعت النزول الى ساحل هرمز دون صعوبة وذلك فى أبريل سنة ١٦٢٢ م .

أما القلعة فقد كان من الصعب اقتحامها فدارت حولها معارك حامية ولوحظ أن بعض المسلمين حاربوا مع البرتغاليين ، داخل القلعة ، وسيعدم جميع هؤلاء المرتزقة ومن ضمنهم حاكم محلى كان البرتغاليون يستخدمونه فى بعض الأمور الثانوية .

وعندما سقطت القلعة ، وجدت بها ثروات هائلة كان قد كدسها البرتغاليون ، ففى أحد المخازن فقط احصى نحو مليونى كورونة .

وقد تسلم الفرس القلعة وما فيها من معدات حربية حسب التعديل الذى ادخل على اتفاقية التحالف . وستظهر بعض المدافع البرتغالية فى الحملة التى سيشنها الفرس على العثمانيين فى العراق بعد سنة واحدة من سقوط هرمز . أما الغنائم فقد قسمت بين الطرفين المتحالفين بما يتراوح بين عشرين وخمسة وعشرين ألف جنيه .

تقلص الدور الفارسي :

لعل أهم أنجاز حققه الفرس في عملية تحرير الخليج هو الاستيلاء على جزيرة هرمز وانتزاعها من البرتغاليين ، ثم تقلص الدور الفارسي بعد ذلك لتنتقل حركة التحرير إلى العرب العمانيين .

وقد كان لسقوط هرمز نتائج متشعبة على المستوى الدولي والمحلي فعلى المستوى الدولي أدركت الامبراطورية البرتغالية أنها لا تستطيع الاعتماد على اسبانيا ، وعندما يسترد البرتغال استقلاله سنة ١٦٤٠ سيدخل في مرحلة تحالف مع بريطانيا ، وبالمثل لم تعر الحكومة البريطانية أهمية للعملية العسكرية التي تمت بالتحالف مع الفرس ، بل فرضت غرامة على شركة الهند الشرقية مقدارها عشرون ألف جنيه لتورطها في مغامرة حربية أثرت على علاقاتها بأسبانيا ، ولم تعد جزيرة هرمز مفيدة للانجليز . لا من الناحية العسكرية ولا من الناحية التجارية ، فلم يقبل الشاه انشاء وكالات أو قلاع على أرض الجزيرة ، بل هدم القلعة البرتغالية وترك ٣٠٠ جندي إيراني للدفاع عن الجزيرة ضد أية محاولة قد يقوم بها البرتغاليون لاستعادتها .

غير أنه على المدى البعيد حقق الانجليز مكاسب تجارية هامة ، فقد حل ميناء بندر عباس محل هرمز كمركز لتجارة العبور ، وحصل الانجليز هناك على امتيازات عديدة ونمت تجارتهم باطراد .

ولا شك أن موقع هذا الميناء أفضل من جاسك التي استخدمها الانجليز في بداية الأمر عند افتتاح تجارتهم مع فارس .

وعلى المستوى المحلي اكتسب الشاه عباس ثقة بقواته فلم يشأ التوقف عند الاستيلاء على هرمز ، بل حاول ملاحقة البرتغاليين في عمان ،

مذكرا بأن العرب وقفوا مع الفرس في تحرير هرمز ، وبالتالي فإن تدخل الفرس لتحرير بعض الموانئ العمانية من البرتغاليين نوع من رد النجميل .

وكانت الخطة الأولى تقضى باستمرار التعاون مع الانجليز في هذه المهمة وذلك طبقا لتحالف يناير سنة ١٦٢٢ م فقد اشتمل على نص تعهد الانجليز بمقتضاه بتطهير مياه الخليج من الأسطول البرتغالي على أن تدفع ايران نصف تكاليف تلك الاجراءات ، وبناء عليه طلب امام قلى خان مساندة الانجليز في البحر ريثما يقوم الفرس بالحملة على صحار وخورفكان .

ولم يشأ الانجليز أن يرفضوا صراحة هذا المطلب فوضعوا شروطا صعبة للتعاون بحيث يتعذر على الفرس قبولها . وهكذا طالبوا بالاستيلاء على هرمز والمرابطة في قلعتها وتقسيم عوائد الجمارك في الجزيرة بالتساوى وترابط أربع سفن انجليزية أمام سواحلها بصورة دائمة .

ومجمل القول هو أنه لم يكن من المعقول أن يستمر التعاون العسكى بين الانجليز والفرس في الخليج ، على حين أن شركة الهند الشرقية عوقبت على تعجلها في حملة هرمز .

وقد حاول البرتغاليون بعد ذلك أن يعوضوا ضعفهم في البحر بتقوية مواقعهم المنتشرة على سواحل عمان ، الا أن هذه المواقع بدون عمق داخلى ووسط شعب معاد ، لم تكن قادرة على البقاء طويلا أو تعويض الموقع الاستراتيجى الهام في الجزر .

وبمناسبة المعركة البحرية المشار اليها أراد البرتغاليون اصلاح السفن المعطوبة في مسقط ، الا أنه تبين أن الميناء لا يحتوى على المعدات اللازمة لهذه العمليات .

ومن الأساليب الجديدة التى حاول البرتغاليون التعويض بها عن فقدان هرمز ، ففتح باب الاتصال مع حاكم البصرة المستقل من أسرة افراسياب التى حكمت المنطقة منذ سنة ١٦١٢ م فأتصل روى غراير بعلى باشا الافراسيابى سنة ١٦٢٣ عن طريق طائفة الآباء الكرملين .

وقد تردد الحاكم فى بداية الأمر ، ثم رأى أن مصلحته الشخصية تتفق وفتح باب الاتصالات مع البرتغاليين لأنه بات بعد الغزو الفارسى سنة ١٦٢٣ يجد صعوبة فى المحافظة على مركزه أمام القوتين الاسلاميتين الكبيرتين ، ولذلك وافق على فتح شط العرب للسفن البرتغالية ، ولاحظ الرحالة تردد هذه السفن على البصرة وشرع البرتغاليون فى استخدام الطريق البرى عبر العراق فالحبحر المتوسط الى أوروبا لنقل البضائع .

ولما توسع البرتغاليون فى استخدام طريق القوافل البرى بين البصرة وحلب لنقل التجارة الى أوروبا ، أخذ المندوبون التجاريون من الانجليز والهولنديين ينظرون بقلق إلى هذه المنافسة التجارية .

ويبدو أنهم بالغوا فى تقاريرهم الى حكوماتهم فى أهمية الطريق البرى .

وعلى أية حال فان البرتغاليين لم يتمكنوا من استخدامه لفترة طويلة ، فبعد تصاعد حركة الجهاد العمانى ، لم تعد الملاحة البرتغالية آمنة فى الخليج .

ومن جهة أخرى حاول الشاه عباس أن يعرقل استخدام البرتغاليين للطريق البرى بأن حرض شيوخ القبائل الضاربة حول هذا الطريق لكى تمنع مرور القوافل ، غير أن هؤلاء الشيوخ غلبوا مصلحتهم الذاتية وهى تحصيل الأتاوات مع مرور القوافل .

فلما ينش الشاه من هذه الطريقة ، اتجه مرة أخرى الى شركة

الهند الشرقية طالبا مساعداتها العسكرية في الاستيلاء على البصرة فاعتذر ممثلوا الشركة على أساس أن التعليمات تقضى بعدم تجاوز منطقة هرمز ، ولأن تدخلها في البصرة بالتحالف مع الفرس يسيء إلى العلاقات الانجليزية العثمانية ومهما اكتسب حاكم البصرة من مظاهر الاستقلال فإن المدينة تبقى خاضعة رسميا للباب العالي •

وعندما تغيرت علاقة البرتغاليين بالفرس بتوقيع معاهدة الصلح سنة ١٦٢٥ م تعهد الأولون بسحب سفنهم من البصرة ومع أنهم نفذوا هذا التعهد إلا أن محاولات الفرس المتجددة للاستيلاء على البصرة باءت بالفشل • وتوقفت هذه المحاولات بعد وفاة الشاه عباس •

ويمكن القول أن من مظاهر تقلص الدور الفارسي في تحرير الخليج بعد سقوط هرمز ، انغماس الشاه عباس من جديد في الحرب ضد العثمانيين •

ومن المعروف أن الشاه الكبير احتل في سنواته الأخيرة ولاية بغداد بين عامي ١٦٢٣ ، ١٦٢٩ وانصرف خلال هذه الفترة إلى اضطهاد أهل السنة في الولاية تاركا وراء ظهره مهمة الصراع ضد البرتغاليين •

واستفاد الاغراسياب من هذا الوضع لكي يفتح لهؤلاء الغزاة مجالا جديدا للعمل ، وبعد استرداد العثمانيين للعراق قضى الشاه عباس نحبه ، ولم يتح للدولة الصفوية شخصية تضارع الشاه الكبير في قدرته على مواجهة البرتغاليين فضلا عن استقرار النظام في الداخل •

الدور العربى

إذا تحدثنا عن الدور العربى فى مناهضة السيطرة البرتغالية فإن الأمر يكاد يقتصر على ما حققته الدولة اليعربية .

وعلى امتداد ساحل شبه الجزيرة لم تظهر قوى عربية تستحق الذكر فكان السكان إذا اشتد عليهم الضغط استجدوا بالعثمانيين أحيانا ، أو استسلموا للغزاة أحيانا أخرى ، وانقلبت هذه الأوضاع رأسا على عقب حينما حقق الامام ناصر بن مرشد وحدة عمان تحت زعامته ، والسؤال الذى يرد على الأزهان فى هذه المناسبة هو : هل تحقق توحيد عمان عن طريق تجمع زعماء القبائل وقبولهم بالطاعة لشخص واحد ؟ أم أنها تحققت نتيجة حركة احياء دينى ، وهو العامل المؤثر فى قيام الوحدات فى شبه جزيرة العرب .

فالحركة السلفية هى التى وحدت نجد ، والامامة الأباضية هى التى حققت وحدة عمان .

وفى تقديرنا أن العامل الدينى كان هو الأساس فى حركة الوحدة العمانية .

وقد اقترن فى ذلك الوقت بعامل اضافى ، وهو الدعوة للجهاد لتحرير المسلمين من الاحتلال البرتغالى المسيحى .

كما أن العامل الاقتصادى لعب دوره فى حركة توحيد عمان ، وهو يتمثل فى الأضرار البالغة التى لحقت بالتجارة والملاحة العمانية من جراء وجود البرتغاليين فى الموانئ الهامة وتدخلهم فى حرية الملاحة العربية .

ومن المعروف أن العمانيين منذ العصور الوسطى يستمدون قسطا

عظيما من ثروتهم من الملاحة والاتجار مع شرق أفريقيا والهند ، وحتى
جزر الهند الشرقية •

وتتضح أهمية هذا العامل الاقتصادي من صياغة الشروط التي سنتم
بين العمانيين والبرتغاليين في المراحل الأولى من حرب التحرير ، فحين
لم يكن يتم الاستيلاء على ميناء مسقط كان يكتفى مؤقتا بالنص على عدم
الاضرار بالتجارة والملاحة العربية كما سيرد ذكره بعد قليل •

أما القبائل فلم تدرك دائما قيمة الوحدة وأهميتها في حركة تحرير
البلاد ويلاحظ عند ذكر تفاصيل المعارك أن النزعة الذاتية تغلبت على بعض
زعماء القبائل ، فرفضوا الولاء للامامة بل استعانوا بالبرتغاليين
للمحافظة على مراكزهم •

والذين بايعوا الامام ناصر بن مرشد سنة ١٦٢٤ هم أهل الحل
والعقد ، أو النخبة اذا ما استخدمنا لغة العصر ، وهذه النخبة غالبا من المثقفين
ثقافة دينية ، والذين يجمعون أحيانا شرف النسب الى وقار العلم ، وهي
على كل حال فئة محدودة ، ومن ثم صادف الامام ناصر صعوبة في عملية
توحيد عمان ، وأمضى فيها وقتا قبل أن يشرع في محاربة البرتغاليين •

ولم تكن ظروف الجهاد اذن سهلة عندما بدأ الصراع بين اليعاربة
وبين الغزاة ، هذا الصراع الذي امتد على طول ساحل عمان وشمال مناطق
تقع الآن في دولة الامارات العربية المتحدة •

ومن الناحية الدبلوماسية حارب العمانيون في ظروف أصعب من
الفرس فهم لم يتحالفوا مع أية قوة خارجية ، وبينما وجدنا العرب يتعاونون
مع الفرس أثناء عملية تحرير هرمز ، نلاحظ أن حركة التحرير العمانية تمت
أثناء مصالحة بين البرتغاليين والفرس ، وقد سمح للبرتغاليين بمقتضاء
بإقامة وكالة على الساحل الفارسي بل ان جماعات فارسية تعاونت مع

البرتغاليين في بعض مراحل الصراع كما فعل ناصر الدين الفارسي قسائد قلعة «صور» المجاورة للقلعة في جلفار ، كذلك عاصر اليعاربة عهد استرداد البرتغال لاستقلالها عن أسبانيا ، وتقارب حكومة لشبونة مع حكومة لندن • ولم يتوقف اليعاربة عن مناهضتهم للبرتغاليين عند منطقة الخليج بل تابعوهم الى الهند وانتزعوا منهم جزءا كبيرا من ممتلكاتهم في شرق أفريقيا •

بدأت الاشتباكات بين قوات ناصر بن مرشد وبين البرتغاليين من خلال منازعات قبلية فقد اتجه حاكم «سمائل» مانع بن سنان العميري الى القيادة البرتغالية في صحار ، طالبا مساندتها ضد الزعامة الأباضية الصاعدة ، فأرسل الامام ناصر بن مرشد أحد قواده لقمع الفتنة وهو مسعود بن رمضان فالحق بالبرتغاليين خسائر فادحة وعلى أثرها وافق البرتغاليون على صلح ينطوي على شروط توحى بقرب نهايتهم في عمان من ذلك :

- ١ — يتنازل المسيحيون عن كل الأراضي والمباني لهم حول صحار •
- ٢ — يتعهد البرتغاليون بدفع جزية سنوية للامام •
- ٣ — يعامل البرتغاليون المسلمين معاملة حسنة في مسقط ومطرح •

ويدل ذلك الشرط على اهتمام الامام بأحوال السكان سواء أكانوا تابعين له أم خاضعين لقوة أخرى •

شجع هذا الانتصار ناصر بن مرشد على متابعة الجهاد ويلاحظ أنه لم يضع خطة معينة لانتزاع الحصون البرتغالية المتناثرة من جلفار حتى صور ، وانما كان يقيم في عاصمته «نزوى» فإذا وجد أن هناك تجمعات قبلية في موقع ما تساند الامامة ولديها استعداد للجهاد بادر الى تلك الجهة لمحاصرة القلاع والحصون البرتغالية •

ويمكن القول أن حرب العمانيين في هذه الفترة كانت هي معارك
الحصون والقلاع •

ولا شك أنها كانت مهمة عسيرة لأن البرتغاليين كانوا يبنون الأبراج
العالية ويثبتون فوقها المدافع الثقيلة والتي كانت بعيدة المرمى بمقياس ذلك
العصر ، وتتطلب أحيانا بناء حصون عربية في مواجهة تحصينات العدو •

وكانت الخطوة التالية بعد المعارك التي دارت قرب صحار ومسقط
هي مهاجمة جلفار حيث أقام البرتغاليون قلعة حصينة في « دبا » على
مقربة من حصن « صور » الذي يعسكر فيه ناصر الدين الفارسي ،
وقد سقط الحصن الأخير أولا وبعد حصار محكم لدبا ، وقد وافق العرب على
ترك البرتغاليين يرحلون الى مسقط في مقابل تخليهم عن الحصن ، ويعتبر
الاستيلاء على صحار سنة ١٦٣٣ م أكثر أهمية في تاريخ حرب التحرير
العمانية •

وكان ميناء صحار قد سقط في وقت متأخر في يد البرتغاليين سنة ١٦١٦
ونشبت معركة صحار نتيجة طلب تقدم به أحد شيوخ القبائل الى القيادة
البرتغالية لتسانده ضد التبعية للإمام • وكان على ناصر بن مرشد
أن يكسب ولاء قبائل أخرى مجاورة ، بل انه استطاع أن ينفذ الى أهالي
صحار وبذا انحصر البرتغاليون في قلعتهم كالعادة ولجأوا الى قذف المدفعية
مما أحدث خسائر بين صفوف العمانيين •

ورأى الامام بعد أن طال الحصار أن يخفف الضغط عن رجاله وذلك
بفتح جبهة ثانية عند ضواحي مسقط مثل مطرح وروى ، وتعلل بأن
البرتغاليين امتنعوا عن دفع الجزية •

وقد هادت هذه الخطة من جهتين :

الأولى : ان قلعة صحار اضطرت الى التسليم •

الثانية : ان القيادة البرتغالية في مسقط ثبتت اتفاقية الصلح السابقة بما فيها دفع الجزية وأضافت اليها تراجعاً جديداً في المجال العسكري وهو تسليم الحصون البرتغالية الواقعة خارج أسوار مسقط •

ويستخلص من قبول البرتغاليين دفع الجزية للإمامة ، كيف أنهم قد صاروا في مركز مهين بعد أن كانوا لا يرضون. الا بأن يكونوا متبوعين •

اتجهت حركة الجهاد الى الموانئ الصغيرة في الجنوب فتمكن العمانيون من انتزاع صور وقريات في سنة ١٦٤٠ ولا ريب أن هذه الانتصارات تؤثر على السكان المسلمين في مسقط فهؤلاء الذين تحملوا تعسف الحكم البرتغالي أكثر من مائة سنة انفتح أمامهم باب الأمل للتحرر من الحكم الأجنبي • هكذا كتب بعض المسلمين الذين يعملون لدى البرتغاليين في جمرک مسقط الى الامام يستحثونه على مهاجمة المدينة ومؤكدين ولاءهم له ، كما أغروه بأن الحامية البرتغالية تضاعف عددها ، وبناء عليه أرسل الامام حملة تمكنت من الاستيلاء على حصن « روى » أما بقية القلاع فقد تعذر اقتحامها ، ولذلك قفل الامام راجعاً الى « نزوى » ولم يكن لديه جيش نظامي ، فتنجمع القبائل عند نشوب المعركة ، ثم تتفرق عندما يعود الامام الى عاصمته •

وفي سنواته الأخيرة ١٦٦٠ ناصر بن مرشد محاولاته لتخليص البلاد من آخر أثر من آثار الوجود البرتغالي الا أن المنية واوقته سنة ١٦٤٩ قبل أن يحقق حلمه في تحرير مسقط •

ومع ذلك فقد حقق خلال هذه المحاولات الأخيرة خطوات الى الامام وازداد البرتغاليون انكماشاً بفقدانهم حصن « مطرح » وتهديمه ، وغرست عليهم شروط جديدة فتمهدوا بعدم التعرض للملاحاة العمانية ، فلا يلبثون —

كما كانوا يفعلون في الماضي — أن تحصل السفن العمانية على تصريح منهم الا في حالة ما اذا كانت السفينة تدخل أو تخرج من ميناء مسقط •

كذلك اعفى المسلمون في مسقط من جميع الضرائب والرسوم على البضائع الواردة والصادرة لحسابهم • وبعد عهد الاحتكار فرض على البرتغاليين في هذه السنة الأخيرة من وجودهم نظام المدينة الحرة بالنسبة لمسقط وحظر عليهم أيضا بناء تحصينات جديدة •

عندما أبلغت لشبونة بهذه الشروط اعتبرت قائد الحامية الذي وقعها خائناً ، واستدعته الى العاصمة حيث أجرى تحقيق معه ، وعين قائد آخر كلف بالتخلص من هذه الشروط ويبدو أن المسؤولين في لشبونة لم يكونوا على دراية بحقيقة الأوضاع في مسقط والخليج • فكان من بين التعليمات التي حملها القائد الجديد عدم السماح للعُمانيين بالاقامة في مسقط عدا سكانها الأصليين •

كانت القلاع البرتغالية في مسقط تلفظ أنفاسها الأخيرة حينما تمت البيعة لسلطان بن سيف اماما • فحاز فخر تحرير عمان من آخر المعازل البرتغالية ولو أن معظم الانجاز قد تم في عهد سلفه فجاء سلطان بن سيف والثمره ناضجة فدخل العمانيون مسقط سنة ١٦٥٠ م •

وسلطان بن سيف هو ابن عم ناصر بن مرشد ، اختير على أساس الكفاءة وليس على أساس توارث الحكم ابنا عن أب • وقد ساد أسلوب الاختيار على عهد اليعاربة ، وان كان هذا الاختيار مقيدا بأسرة معينة •

وتعزو الروايات المحلية حادث الاستيلاء على مسقط الى قصة شخصية مؤداها أن قائد الحامية البرتغالية أراد أن يرغم مساعده الهندي ويدعى نيراتن على تزويج ابنته منه ، وأمام التهديد تظاهر نيراتن بالقبول وانتظر الفرصة المواتية للخروج من المأزق وكان الحصار العماني

مضروبا حول القلعة • فتفتق ذهن نيراتن عن حيلة ونصح القائد البرتغالي بتفريغ المياه والبارود لاستبداله بماء وبارود جديد ، وبينما كانت المدافع مجردة من التّخيرة أرسل الى القيادة العمانية يبلغها بأن الظروف مهيأة للهجوم المباغت •

ويستخلص من تلك القصة أن سلطان بن سيف قد اقتحم المدينة بفضل خديعة هذا المساعد الهندي •

ومهما يكن فان مصير مسقط كان محتوما ، وقد دارت معركة حامية قبل سقوط المدينة ، ولم يبق بعدها على قيد الحياة سوى ستين برتغاليا اعتنقوا الاسلام وذابوا بعد ذلك في المجتمع العماني •

وثمت دلالة أخرى لهذه القصة وهي أن العناصر المختلفة التي تعايشت في المستعمرات البرتغالية لم تنصهر مع الغزاة حتى وان اعتنقت الكاثوليكية ديناً واصطنعت البرتغالية لغة ، فقد بقيت روح الاستعلاء مهيمنة على الغزاة ولذا لم يكن ولاء العناصر الآسيوية والأفريقية مضموناً •

لم تدرك حكومة لشبونة عمق التغيرات الاجتماعية والسياسية التي شهدتها عمان باحياء نظام الامامة وقيام الدولة اليعربية وربما اعتقد البرتغاليون أن وفاة ناصر بن مرشد ستعود بعمان الى حالة من التفكك ولذلك دبوا خطة لاسترجاع مسقط سنة ١٦٥٢ م ، ولم يكن ثمت دواع اقتصادية لمثل هذه المحاولة لأن مسقط صارت عبئاً على الامبراطورية منذ أن حرم البرتغاليون من تحصيل الجمارك والرسوم على التجار العمانيين والملاحه العربية ، لذلك يمكن القول ان محاولة استرجاع مسقط لم تزد عن كونها تشبثاً بأهذاب ماضٍ تليد ولى •

وعلى أية حال لم تكن هناك فرصة لنجاح الحملة التي خرجت من جوا وعادت ادراجها سنة ١٦٥٢ م ولم يبق للبرتغاليين في منطقة الخليج

سوى أثر بسيط هو عبارة عن وكالة تجارية في بلدة كنج على الساحل
الفارسي ، قد احتفظوا بها بفضل علاقتهم الطيبة مع الحكومات الفارسية
أحيانا ونتيجة الفوضى التي تعرضت لها فارس على فترات منقطعة أحيانا

وقد تطورت العلاقات البرتغالية الفارسية لدرجة التواطؤ على
خطة تستهدف الهجوم على مسقط سنة ١٦٩٦ م •

ويبدو أن الفرس نظروا باستياء الى تصاعد قوة عمان في الخليج
فاتجهوا الى طلب مساعدة بريطانية ولما لاحظوا أن بريطانيا تلتزم الحياد
تحولوا الى فكرة التعاون مع البرتغاليين •

وعندما بلغت أنباء هذا التحالف سيف بن سلطان لم يشأ أن
ينتظر الهجوم على مسقط ، بل بادر هو بارسال قواته البحرية الى شواطئ
الهند حيث ضربت ميناء منجالو وبينما كانت الامبراطورية تتقلص أمام
غيرها من القوى الأوروبية قامت حكومة لشبونة بمحاولة لحياء وجودها
في الخليج ، وذلك بالعمل على إقامة حصن في كنج ، غير أن هذه الحصون
كانت تتطلب حماية بحرية ، ولذلك اخفقت المحاولة ومالبثت وكالة كنج ان
اندثرت بدورها سنة ١٧٢٢ م •

امتداد الدور العربى

إذا كان انجاز ناصر بن مرشد يتمثل فى تطهير عمان من غلول البرتغاليين ، فإن خلفاءه انطلقوا الى ما وراء الحدود ووسعوا دائرة الصراع ضد البرتغاليين لتشمل الخليج والهند وشرق أفريقيا •

وما من ريب فى أن هذه المواجهة العربية لم يجابهه البرتغاليون مثلها من أية قوة محلية فى منطقة المحيط الهندى •

ومع أنه كان يتوفر للفرس قوة بشرية أعظم وتقدم نسبى فى انتاج وسائل للتبادل التجارى فانهم لم يفعلوا شيئاً بعد تحرير شواطئهم وبعض جزر الخليج •

ويرجع الفضل فى امتداد الدور العربى لهذه الميادين البعيدة الى تقدم العمانيين فى فن الملاحة ولو أنهم لم يطوروا أساليب بناء السفن فلم تتغير أنواع المراكب المشيدة محليا كثيرا عن الأنواع المعروفة فى العصر العباسى : بيد أن دولة اليعاربة حرصت على امتلاك قطع بحرية متطورة تقارب ما كان يمتلكه الأوروبيون ، وقد آلت اليها بعض هذه القطع من غنائم الحرب • ومن بينها سفن برتغالية أسرت أثناء معركة هرمز ، مما يدل على مشاركة العمانيين فى هذه المعركة •

كذلك كان أئمة عمان يوصون على بناء السفن الكبيرة فى بعض الموانئ الهندية التابعة لأمرأء مسلمين ، ثم قبلت شركة الهند الشرقية بناء بعض هذه السفن فى سورات لصالح اليعاربة •

وحرص المسئولون العمانيون على اخفاء مصادر تزويدهم بالسفن حتى يتمكنوا من اقناع مختلف الأطراف بتقديم الخدمات لهم • وهكذا صار الاسطول عمانى يضم عدة مراكب كبيرة قيل ان بعضها حمل ثمانين مدقعا ،

ولابد ان يكون هذا الاستعداد الحربى قد كلف كثيرا من النفقات ويبدو أن دولة اليعاربة غطت هذه النفقات عن طريق الغارات التى نظمت على المواقع البرتغالية وفيها وكالات ومخازن تجارية تحتوى على غنائم عظيمة .

أضحت جزر الخليج هدفا من أهداف دولة اليعاربة فى تطلعاتها الى ما وراء الحدود . وفى هذا المجال اصطدم اليعاربة بالدولة الصفوية التى تعاونت مع البرتغاليين ، والواقع أن هذه الجزر لم تكتسب فى ذلك الوقت سمعة قومية محددة ، وتداخل العرب مع الفرس فى معظم الحالات ، وقد تكررت هجمات العمانيين على هرمز والبحرين ، ولم ينجحوا الا فى احتلال قشم .

وكان طبيعيا أن تتأثر التجارة الفارسية والبرتغالية على وجه الخصوص من جراء تصاعد قوة الأسطول العمانى حتى قيل أن التجار البرتغاليين أخذوا يهادرون كنج على التوالى ، ثم اتفق الفرس مع البرتغاليين على دعوة الانجليز لمساعدتهم فتردد هؤلاء بين عدة عوامل ، فمن جهة كانوا يخشون من أن يطلب الفرس مساعدة الهولنديين ففتتاح الفرصة لكى يتفوقوا عليهم فى المنافسة التجارية . ومن جهة أخرى لم تكن شركة الهند الشرقية راغبة فى الاصطدام مع اليعاربة ولذلك انتهى الأمر بتفضيل الانجليز الحياذ فى هذا الصراع .

لم يمنع هذا الحياذ البرتغاليين من ترويج الشائعات بأن الانجليز يساعدون العمانيين سرا ، وربما حملهم هذا الاعتقاد مما شاهدوه من تطور الأسطول العمانى بسرعة فائقة .

ومن الراجح أن يكون بعض الانجليز والهنود التابعين لشركة الهند الشرقية قد عملوا بحارة فوق المراكب العمانية خاصة فى حملات شرق أفريقية ولو صحت هذه الحقيقة فمن المؤكد أن عدد هؤلاء البحارة ظل محدودا .

ومما ينفي وجود اتصال وثيق بين اليعاربة والانجليز تلك النعمة المعادية التي غلبت على مراسلات وكيل شركة الهند الشرقية في بندر عباس ، فقد تحدث عن نمو الأسطول العماني وكأنه خطر يهدد المصالح الانجليزية .

ومن جهة أخرى ظهرت روح التضامن بين الأوربيين في مناسبات عديدة ، ورغم الاختلاف والتنافس في الهند فقد حدث أن التجأ بحارة برتغاليون الى بومباي فرارا من غارة عمانية فممنحتهم السلطات البريطانية الحماية اللازمة .

ولم تخل العلاقات بين اليعاربة والانجليز من بعض الأزمات وخاصة في أوائل القرن الثامن عشر حينما اتسع نشاط الأسطول العماني في المحيط الهندي ، فقد سجلت حوادث استيلاء العمانيين على سفن انجليزية مثل السفينة « لندن » سنة ١٦٩٧ وسفينة بنغالية تابعة لشركة الهند سنة ١٧٠٥ م ومن المحتمل أن يكون سبب هذه الحوادث هو عدم القدرة على التمييز بين الجنسيات الأوربية المختلفة ، ومن الجائر أيضا أن الحكومات في ذلك الوقت لم تكن تملك السيطرة التامة على ربابنة السفن فكان هؤلاء يتصرفون من تلقاء أنفسهم عندما تلوح لهم الغنائم يسيرة المنال .

امتنع الانجليز اذن عن تقديم يد المعونة للفرس ضد العمانيين وكان الهولنديون منصرفين الى الشؤون التجارية البحتة والامبراطورية البرتغالية تعاني من الشيفوخة ، ومن ثم فكر الصفويون في حليف حديث العهد بالهند وأعنى بذلك فرنسا .

ولا بد أن ملوك فارس سمعوا عن عظمتها في عهد لويس الرابع عشر ، فأوفدوا سفارة الى باريس في أوائل القرن الثامن عشرة وتوصل

الطرفان الى عقد معاهدة ، اشتملت في أحد بنودها على التعاون من أجل احتلال مسقط .

ولا نعتقد أن فرنسا أخذت هذا التحالف مأخذ الجد ، فلم يكن لها مصلحة في مثل هذه المغامرة البعيدة ، فضلا عن أن التجار الفرنسيين الذين يتعاملون مع الفرس كانوا يستخدمون الطريق البرى عبر ولاية بغداد فموانئ الشام .

امتد الصراع ضد البرتغاليين الى شواطئ الهند حيث تتناثر جيوب برتغالية بدون عمق داخلى الا أن هذه الجيوب كانت مكدسة بالثروات المنهوبة أو التي اجتذبت اليها الأنظار باعتبارها مركزا تجاريا .

كان العمانيون يشنون الغارات المفاجئة على هذه الجيوب مدفوعين أحيانا بدافع الثأر وأحيانا تحت اغراء الحصول على الغنائم الوفيرة باسم الجهاد . ولم يفكر العمانيون في احتلال هذه المواقع باستثناء حالة واحدة حينما تركوا حامية في جزيرة سلسيت الواقعة الى شمال بومباي .

ومن أشهر الغارات التي عادت بغنائم وفيرة تلك التي وجهت الى ديو سنة ١٦٧٠ فقد استخدمت هذه الغنائم لبناء قلعة ضخمة في نزوى استمر العمل فيها لمدة اثني عشر عاما .

تخلل هذا الصراع معارك بحرية عديدة ، كان العمانيون يعتمدون فيها على خفة الحركة أما المعارك التي التقت فيها الأساطيل في حرب مكشوفة فإن النصر كان حليفا للبرتغاليين في معظم الأحوال ، ذلك أن السفن الحربية الكبيرة كانت متوفرة في يد البرتغاليين الذين كان لهم التفوق في صناعتها ، ومن أشهر هذه الوقائع معركة رأس الحد قرب شواطئ عمان .

وقد بلغت البحرية العمانية ذروتها على عهد سيف بن سلطان اليعربى (١٦٩٢ - ١٧١١ م) وصار بوسعه أن يقسم القطع البحرية الى أسطولين احدهما يعمل بين الخليج والهند ، والآخر خصص لتتبع البرتغاليين فى شرق أفريقيا ، ويختلف أسلوب العمل والأهداف بالنسبة لهذين الميدانين فالهدف فى الهند هو الثأر من البرتغاليين والأسلوب هو الغارة المفاجئة والعودة بالأسلاب والغنائم ، أما الهدف فى شرق أفريقيا فهو مد يد المساعدة للمسلمين الذين اخضعوا للحكم البرتغالى وتوثيق الروابط بين هذه البلاد وعمان وتحويلها الى نوع من التبعية حيثما أمكن لسلطة الامامة .

وكان المسلمون من عرب وسواحلية واغريقين يثنون من أسلوب البرتغاليين فى حكمهم وقسوتهم ووحشيتهم فى معاملة السكان بالإضافة الى ما عرف عنهم من تعصب دينى بغىض ، ولذلك ما أن سمع السكان بسقوط مرمر حتى تطلّعوا الى الدولة الفارسية التى لم تستطع أن تفعل لهم شيئا .

استداع اذن البرتغاليون رغم عوامل ضعف الامبراطورية أن يدعّموا سلحتهم فى شرق أفريقيا خلال هذه الحقبة فأعادوا بناء حصن يسوع فى ممبسة سنة ١٦٣٩ وحرّموا على الأمراء المسلمين تلقى مهاجرين جددًا من شبه الجزيرة العربية بل ان البرتغاليين عمدوا الى الادارة المباشرة فى بعض المناطق على نفس الأسلوب الذى كان متبعًا فى موزمبيق .

ولا شك أن تطهير عمان من الوجود البرتغالى أتاح فرصة لليعاربة لكى يستجيبوا لنداء مسلمى شرق أفريقيا ، ورغم الامدادات المتوالية التى كانت ترسلها لشبونة فقد حاول سلطان بن سيف الاستيلاء على ممبسة سنة ١٦٦٠ ونزلت قواته بالمدينة وحاصرت قلعتها نحو سنة الا أنه اضطر الى العودة بعد ذلك الى عمان بسبب قلاقل داخلية .

ويلاحظ أن خصومة البرتغاليين انصبت بصفة خاصة على الأمراء

الذين ينتمون الى أصول عمانية ، ففي سنة ١٦٧٨ حمل حاكم بانا الى جوا حيث أخذ عليه تعهد بعدم السماح للعمانيين بدخول الامارة .

وكان البرتغاليون مستعدين لترك الحكام المحليين من سواحيلية واغريقيين يمارسون سلطاتهم بشرط أن يقطعوا صلاتهم بحكومة مسقط .

ولعل أعظم انجاز حققه العمانيون في شرق أفريقيا هو حصار قلعة يسوع والاستيلاء عليها سنة ١٦٩٨ على عهد سيف بن سلطان ، وعلى خلاف المعتاد تميز هذا الحصار بطول النفس على الرغم من النجذات المتوالية التي انهالت من جوا فقد صمد العمانيون مدة ٣٣ شهرا من مارس ١٦٩٦ م حتى ديسمبر ١٦٩٨ حينما غنى المدافعون عن القلعة بالطاعون نتيجة إحكام الحصار .

وبالاستيلاء على ممبسة تمكن اليعاربة من المحافظة على السمة الاسلامية للقسم الشمالي من ساحل أفريقيا الشرقي .

استغل البرتغاليون الانشغالات الداخلية التي أصابت الدولة اليعربية لكي يحاولوا استرداد مواقعهم في شرق أفريقيا فاستطاعوا احتلال ممبسة لمدة سنتين غير أن تأثير العمانيين لم يتوقف على الأسرة الحاكمة فقد كان يحسب حسابهم في شتى المناسبات .

ففي سنة ١٦٢٨ على سبيل المثال طلب البرتغاليون من حليفهم حسب ابن فاطمة حاكم زنجبار التدخل لقمع ثورة في جزيرة بمبا المجاورة فامتنع عن تلبية هذا الطلب خوفا من ثأر العمانيين .

واذا لم تكن الدولة اليعربية قد ثبتت سيطرتها المباشرة على شرق أفريقيا ، فانها على الأقل جددت صلات القرابة وتداخل العنصر العربي مع

العناصر المحلية ، وبذرت نواة أسر حاكمة عربية اشتهرت في تاريخ شرق أفريقيا مثل أسرة المزروعى ومهدت السبيل فيما بعد لأسرة البوسعيد لكي تخضع شرق أفريقيا لسيادتها في ظل الراية العمانية كما أن تدخل اليعاربة في شرق أفريقيا انقذها من احتمال محو شخصيتها العربية الاسلامية بواسطة الحكم البرتغالى الذى فرض لغته وثقافته على الجزء الجنوبى من هذا الساحل وأعنى به موزمبيق .

مصادر يمكن الرجوع اليها

- ١ — جورج فاضلو حوراني : العرب والملاحة في المحيط الهندي — ترجمة يعقوب بكر القاهرة ١٩٥٨ •
- ٢ — حميد بن محمد بن رزيق : الفتوح المبين في سيرة السادة البوسعيديين القاهرة ١٩٧٧ •
- ٣ — سعيد بن علي المغيرة : جبهة الأخبار في تاريخ زنجبار القاهرة ١٩٧٩ •
- ٤ — صلاح العقاد : (١) التيارات السياسية في الخليج — القاهرة ١٩٧٤ •
(٢) زنجبار — القاهرة ١٩٦٠ •
- ٥ — عائشة السيار : دولة اليعاربة (عمان وشرق افريقيا) (١٦٢٤ — ١٧٤١) بيروت ١٩٧٥ •
- ٦ — عبد الأمير محمد أمين : القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر — بغداد ١٩٦٦ م •
- ٧ — محمود علي الداود : (١) تاريخ العلاقات البرتغالية في الخليج العربي (١٥٠٧ — ١٦٥٠) بغداد ١٩٦٠
(٢) تاريخ العلاقات الهولندية في الخليج (١٦٣٠ — ١٧٦٠) بغداد ١٩٦١ •
- ٨ — نور الدين السالمي : تحفة الأعيان بسيرة آل عمان — القاهرة بدون تاريخ •

جاءاً :

الصناعات المحلية في عمان

اشتهرت عمان بمجموعة من الصناعات تعد مفخرة للإنسان العماني الذي سكب فيها دقته ومهارته ، وأثبت بها أنه موهوب وأنه حريص على سمعة بلاده ، اذ أدرك أن هذه الصناعات عنوان الذكاء والمهارة •

ومن أهم الصناعات التي عرفتها عمان صناعة السفن ، ولعمان فيها شهرة عالمية ارتبطت بالطرق البحرية التي أشرفت عليها عمان ردها من الزمان •

وهناك كذلك صناعة المنسوجات ، وقد انتجت هذه الصناعة تحفا رقيقة القدر من الصوف والقطن وغيرهما •

ولعمان كذلك شهرة عظيمة في الصناعات المعدنية سواء في ذلك الصناعات الفضية أو النحاسية أو الحديدية ، وقد حقق العمانيون في ذلك أروع درجات الابداع •

ومثل هذا يقال عن صناعة الجلود والسعف والحصر والفخار والهك ، وفي كل منها حقق الإنسان العربي حذقا ودقة ومهارة تظهر في اللمسات الأخيرة وفي الزخرفة بالاضلفة الى القوة والمتانة •

وفي الصفحات التالية سنذكر بعض التفاصيل عن أهم هذه الصناعات :

السفن

عرفت عمان صناعة السفن منذ أقدم الأزمنة ، فالروايات القديمة تحدثنا عن أول اتصال بين الجزء الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة العربية وبلاد ما بين النهرين في عهد السومريين القدماء فقد أطلق على عمان في ذلك الوقت اسم مجان التي تعنى أرض السفن أو ميناء السفن .

وقد أحضر « جوديه » أمير لجش الخشب من عمان لصناعة السفن ، وإلى جانب شهرة أهل عمان في صناعة السفن فقد نشطوا كملاحين مهرة حيث وصلوا إلى سواحل الخليج والمحيط الهندي وجنوب شرق آسيا وشرق أفريقيا واستوطنت جاليات منهم هذه المناطق منذ العهود الإسلامية الأولى ، فقد سجلت لنا المدونات التاريخية عن أول رحلة بحرية عمانية للصين قام بها أبو عبيدة عبد الله بن القاسم الذي وصل إلى مدينة كانتون التي يسميها العرب الأوائل « خانقو » كما وصل أهل عمان إلى قنبلو « مدغشقر » وسفالة « موزمبيق » وسرنديب « سيلان » وغيرها من المدن التجارية القديمة .

ولاريب بأن شهرة عمان في صناعة السفن والملاحة ظلت بعد ذلك بفترة طويلة كسابق عهدها وازدهارها ، فقد ذكر الملاح العماني المشهور أحمد بن ماجد الذي عاش في القرن الخامس عشر الميلادي بأن بناء السفن يرجع إلى عهد نوح وقال أيضا ان سيدنا نوح قد بنى سفينته على شكل النجوم الخمسة التي تؤلف برج الدب الكبير .

ومما لا شك فيه أن لفظة سفينة أو انفلك بصورة خاصة تعبر عن سفينة نوح الوارد ذكرها في قصة الطوفان .

هذا وقد اشتهرت بعض المدن العمانية الساحلية بصناعة السفن مثل صحار وصور ومطرح ، ولكن صناعة السفن التي كانت مزدهرة في هذه المدن في السابق قد انقرضت أو كادت تختفي تماما في الوقت الحاضر ، وبعد أن كانت هناك صناعة السفن الكبيرة الحجم حلت محلها صناعة السفن الصغيرة مثل قوارب الصيد التقليدية القديمة (الشائبة) أو سفينة « الشويمى » أو « الشوعى » أما الغنجة والبوم والسنبوك والبدن والجالبوت والبتيل والشاجوف فهي لا تصنع في الوقت الحاضر في هذه المدن الثلاث .

ومما لاشك فيه بأن العمانيين كانوا في سابق الأزمنة يتبعون في صنع سفنهم التقاليد السائدة في صناعتها في المحيط الهندي . اذ كانت السفن في ذلك الوقت تخرز بالألياف وتشد ولا تسمر بالمسامير الحديدية . أما الأخشاب المستخدمة في الصناعة فهي الساج والفينى والعينى والفسن الذى كان يجلب من الهند لصناعة هذه السفن ، وكان بعض العمانيين في الماضى يذهبون في بعض الأحيان إلى الهند ليصنعوا سفنهم فيها نظرا لتوفر هذه الأخشاب هناك أما بعض السفن فتصنع في عمان نفسها وفي كلتا الحالتين كان أهل عمان هم الذين يصنعون هذه السفن . وتذكر المصادر التاريخية أن في عمان من يقصد الجزر التي تنتج جوز الهند ومعهم آلات النجارة وغيرها فيقطعون من خشب النارجيل ما أرادوا فإذا جف الخشب يستعملون منه مركبا وينحتون منه ادقالا وينسجون من خوصه شراعا ومن لبقة خرابات وهي القلوس فإذا فرغوا من جميعه شحنت المراكب بالنارجيل فقصدها عمان للبيع .

أما خشب الساج الذى تصنع منه السفينة التقليدية فهو يتميز بصلابته ومتانته ومقاومته للعوامل والتأثيرات الجوية والبحرية القاسية ، ولكن يؤخذ على هذه السفينة عيوب أخرى مثل سرعة التدهاى والغرق في المياه عندما تبدأ في الهبوط .

وفي وقتنا الحاضر تصنع السفن من الألواح الخشبية التي تثبت بمسامير حديدية بدلا من الحبال ، فالصانع العماني يبدأ أولا بوضع المهراب والميلين الخلفي والأمامي والشريرات الثلاث والاضلاع حتى نهاية بناء السفينة بتثبيت الدقل والحبال والأشرعة •

ولا يزال الأهالي يستخدمون نفس الأدوات القديمة لصناعة السفن مثل القدوم والمنقر والمقذح والقوس •

وفي الحقيقة أن لبناء السفينة الجديدة طقوس تتبع فمع بداية العمل تذبح ضحية « ماعز » وعند الاقتراب من نهاية البناء تقام احتفالات الرقص الشعبي لأبناء الحرفة الواحدة ويشترك فيه الرجال والنساء وتقوم النسوة بعمل بقلادة حبال قطنية تسلم للرجال لتثيبتها بين المسامير منعا لتسرب المياه داخل السفينة •

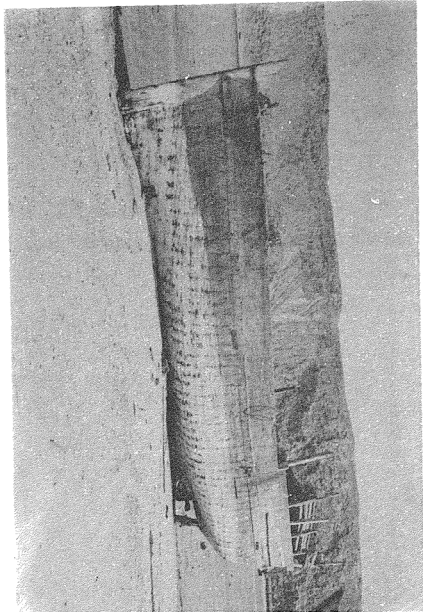
ومما لاشك فيه أن أغلب السفن العمانية الكبيرة تحمل ثلاثة أشرعة باستثناء التشالة والهوري والشاشة اذ تعتبر هذه السفن الصغيرة لصيد الأسماك التي تسير بمجاديف •

أما أنواع السفن العمانية فهي تعرف من أشكالها وخاصة مقدمتها فمقدمة الغنجة شبيهة برأس طير النورس البحري ، وسفينة البوم مقدمتها أطول من مقدمة السنبوك •

وقد لاحظنا في مدينة « صور » وجود بعض السفن العمانية القديمة التي كانت تستعمل في الماضي وعلى هذه السفن نقوش وزخارف غنية بديعة الصنع وخاصة تلك المحفورة على الخشب كالزهور بالاضافة الى آيات قرآنية كريمة •

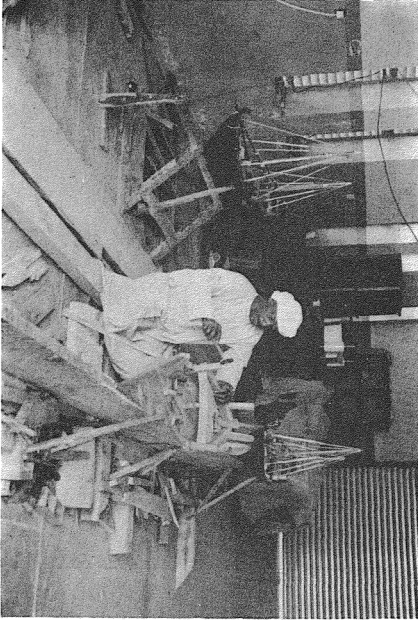
وتخليدا لذكرى شهرة أهل عمان في الملاحة وبناء السفن منذ أقدم الأزمنة فقد وافق صاحب الجلالة لاسلطان قابوس بن سعيد المعظم حفظه الله وأبقاه على مشروع السفينة العمانية « السندباد » على نفقة جلالتة الخاصة حيث تم بناء السفينة في مدينة « صور » على الطريقة التقليدية القديمة في بناء السفن أى بتثبيت الخشب بواسطة حبال جوز الهند ، وقامت برحلتها الى كانتون على نمط الرحلات السابقة •

وفيما يلي بعض نماذج من السفن العمانية :



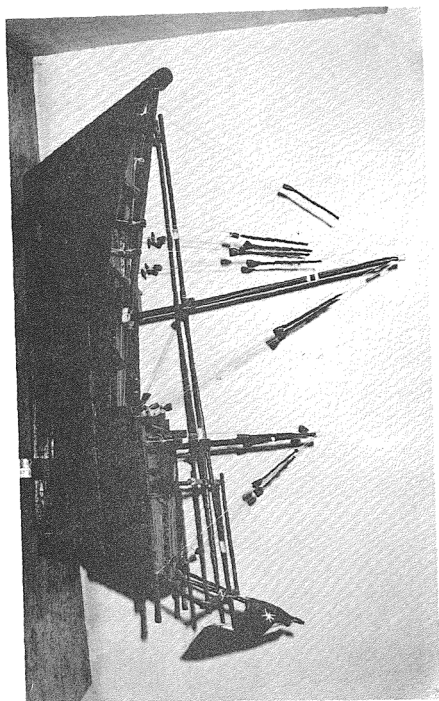
شکل (۱) نمونه لاریک صانی قلم

شكل (٢) العمال والصناع المهرة يقومون بصناعة سفينة في
دقة وبراعة



صناعة السفن في عمان

شكل (٣) نموذج مركب الجالوط

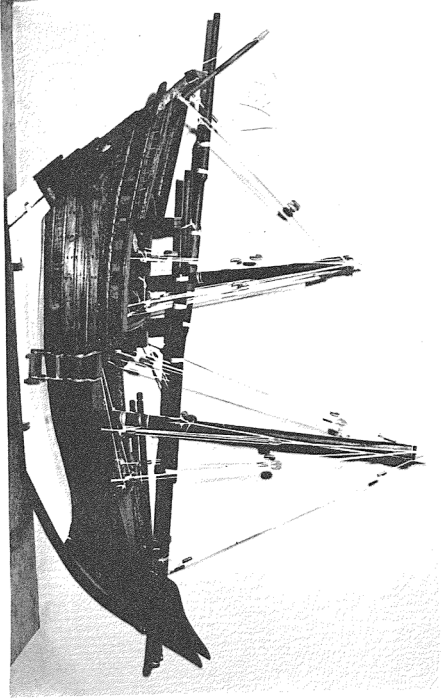




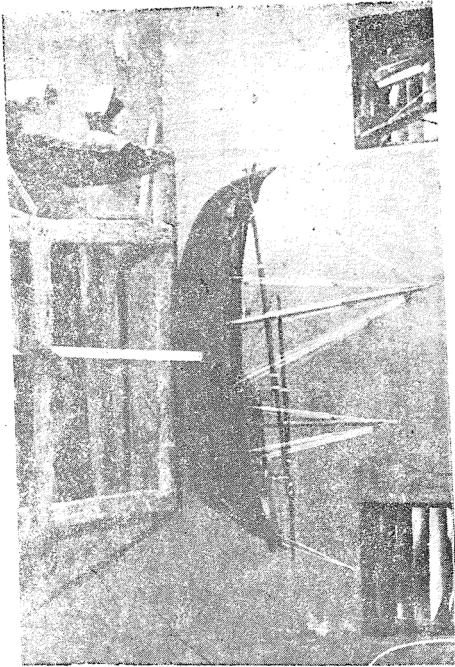
شكل (٤) نموذج لركب صماني يظهر فيه الدقة والمهارة في الصنع وجمال التماسق



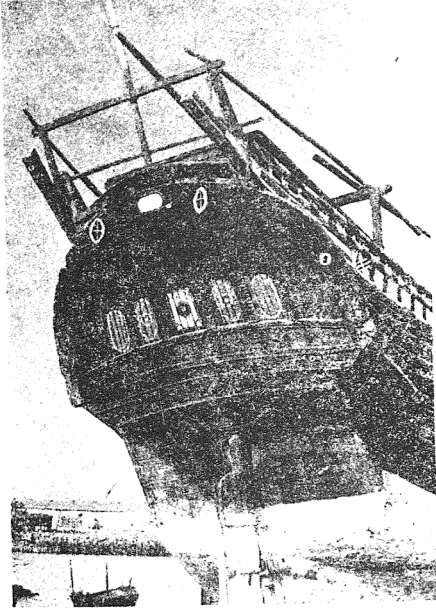
شكل (٥) نموذج جميل لركب عمانى يظهر فيه الدقة والتناسق والمهارة فى صناعة السفن العمانية



شكل (٦) نموذج مركب السنيوك (مركب اللؤلؤ)

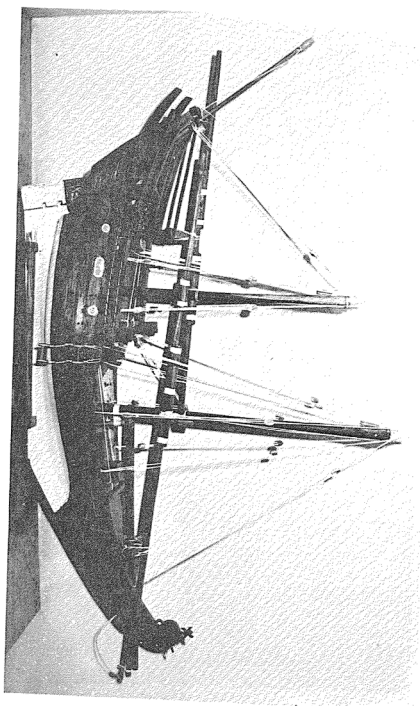


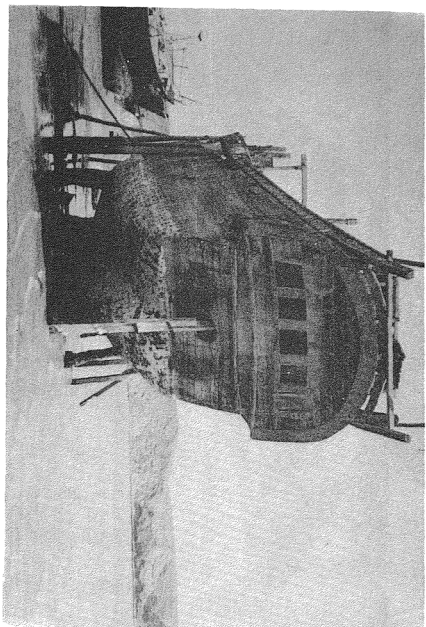
شكل (٧) نموذج مضفر لركب السنبوك



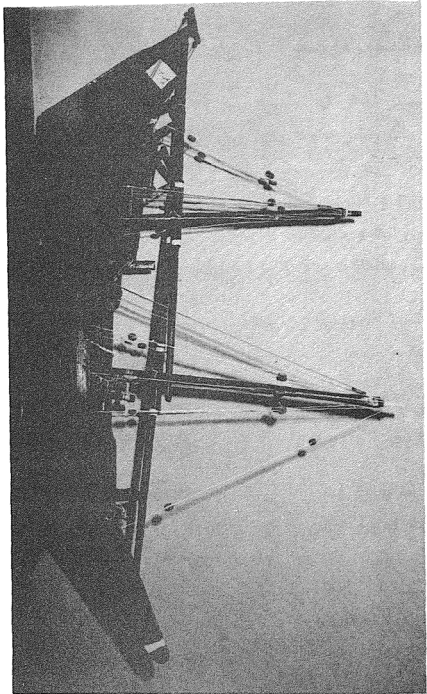
شكل (٨) سفينة الفنجة في ميناء مطرح

نمط (٩) نموذج آبر السفينة الفجينة





شكل (١٠) نموذج آخر لسفنينة الفنجية راسية على الشاطئ



شكل (١١) نموذج مضفر المركب البوم

صناعة الغزل والنسيج

صناعة الصوف من شعر الماعز :

يعتبر الماعز في عمان مصدرا هاما من مصادر غذاء البدوى ، والى جانب ذلك يعتبر صوفه من أجود الأصواف اذ يحركه الصانع العماني مع صوف الأغنام لاشباع احتياجاته المعيشية فيصنع منه الضياف « سكن البدوى » والمفارش لفرشها حيث يقيم . كما تستخدم كفرش للدواب مثل السيح والخروج والبده والمحاوى الى جانب الأربطة كالمحاقب والخطم والغرض والقلويد . في حين يستخدمها البدوى كاللباس مثل المنسول .

أما الثسويميات « الوطايا » فيستخدمها سكان الجبل الأخضر وهى مصنوعة من شعر الماعز وتلبس أسفل الجزء الأمامى من القدم .

ومما لاشك فيه بأن عملية صناعة الصوف في عمان تمر بعدة مراحل اذ تبدأ بجز الصوف وغسله ونفضه وتلوينه ثم صناعته على النول اليدوى

فمع بداية شهر أبريل يتم جز الصوف واعداده للصناعة وتتم عملية الصناعة في بيوت من سعف النخيل ، ولايزال الأهالى يستخدمون نفس الأنوال اليدوية التقليدية القديمة التى كان يستخدمها الآباء والأجداد ، وبخاصة في بلدة سيح القمح بواى السرين ، وبلدة دن بالمنطقة الداخلية من البلاد .

ففى سيح القمح نرى المرأة العمانية تقوم بهذه الصناعة التى تعتبر جزءا مكملأ لحياة الرعى . فبعد جز الصوف يتم غسله ، وغزله فى خيوط رفيعة بواسطة مغزل يدوى ثم تسدى الخيوط المغزولة طوليا حسب طلب الصنعة المراد انجازها . والنول اليدوى هنا عبارة عن قسمين خشبيين على

شكل العصي الأولى لصناعة الحرفة حولها • والأخرى لتجميع الخيوط المغزولة وتصنع هنا بعض الصناعات الصوفية الخفيفة مثل الخطم ، والمرة ، الغرض وصدار الجمال والربق بالإضافة الى المكاحل وتقوم الصانعة عند الانتهاء من الصناعة بترتين أطراف هذه الصناعات بألوان زاهية وعلى الخصوص باللون الأحمر •

أما النول التقليدي اليدوي لصناعة المفارش والسيح والخروج والبده والمحاوي فيعتبر أكثر تعقيدا من النول المذكور أعلاه وأقل تعقيدا من الكارجه التي تصنع الوزره •

وتتم الصناعة هنا بتسدية الخيوط المغزولة على النول بعد تلوينها بشجر المهتدى الموجود في البلاد الذي يعطى اللون الأصفر ، وشجر الفوا الذي يعطى اللون الأحمر وغيرها من الألوان الطبيعية الأخرى للشعر مثل اللونين الأبيض والأسود • وذلك بتمديدتها بين مسداتين حيث تمر بالحافة والنير والحف • ويقوم الصناع بعد التسدية بالصناعة التي تتم بجلب الخيوط المغزولة بواسطة الحف الذي يقوم بمصرها — أى رصها بعضها مع البعض وذلك بعد رفع خيوط الصوف بالتناوب وتمريها من الجهة اليمنى الى اليسرى فوق وتحت حتى الانتهاء من العمل •

والملاحظ لهذه الصناعات مثل المفارش نجد أن الصانع العماني عرف صناعة الزخارف الفنية بألوانها الزاهية بأشكال مختلفة ، فهناك المستطيلات والمربعات والمثلثات المتقابلة كما أدخل حديثا صناعة شعار السلطنة الذي يرمز الى قوة عمان وعزتها •

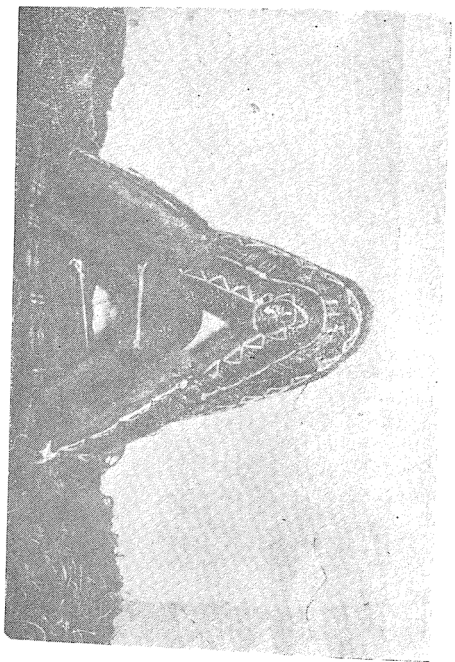
بالإضافة الى أشكال أخرى تمثل واقع البيئة العمانية مثل المشط والمقص وهي تمثل الاحتياجات الهامة للمرأة البدوية •

ولا ريب بأن هذه الصناعات الحرفية بدأ الاهتمام بها أخيرا اذ توجد

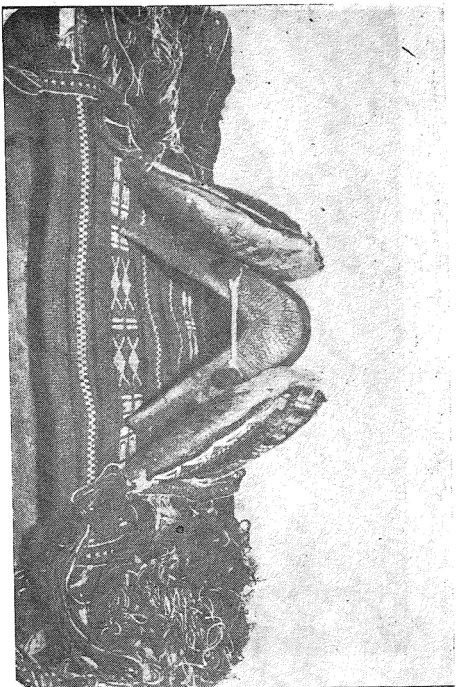
هناك جهود من قبل حكومة السلطنة لاهياء هذه الصناعات الى سابق
عهدنا باعتبارها أحد مصادر الرزق لقطاع من المواطنين العمانيين •
وقد اتخذ هذا الدعم أشكالاً مختلفة ، فبعد انشاء وزارة التراث القومي
والثقافة بدىء باقامة المعارض لبيع الصناعات الحرفية وذلك بشراء هذه
الصناعات من الحرفيين العمانيين وبيعها فى معارضها حيث توجد فى الوقت
الحاضر ثلاث معارض أنشئت لهذا الغرض فى كل من بيت السيد نادر
وفندق انتركونتينتال وفندق الفلج •

وهناك دراسة تجرى لاقامة مجمعات للصناعات الحرفية فى العديد من
قرى السلطنة وتأمل الوزارة البدء بمجمع لهذه الصناعات فى غنجا فى المستقبل
القريب بهدف احياء هذه الصناعات فى أماكنها الأصلية وتثبيت المواطنين
العمانيين فى قراهم وإيجاد مصدر من مصادر الرزق لهم •

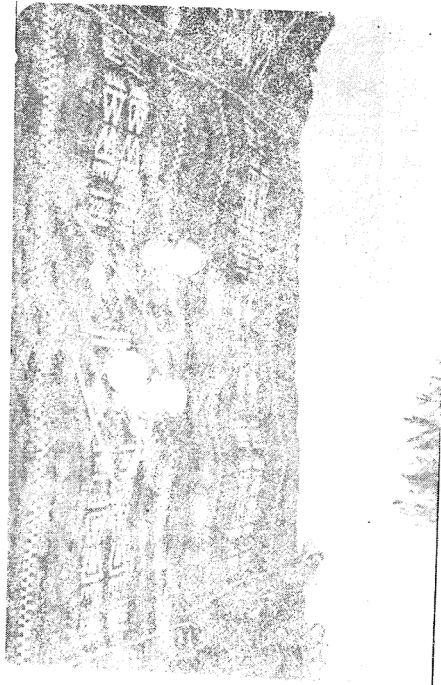
وفيما يلى صور لبعض المنسوجات العمانية :



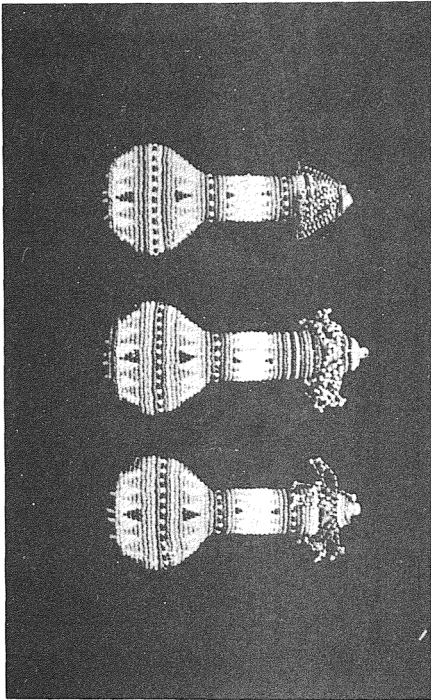
شکل (۱) نموذج لشداد الجمل مع محتوياته



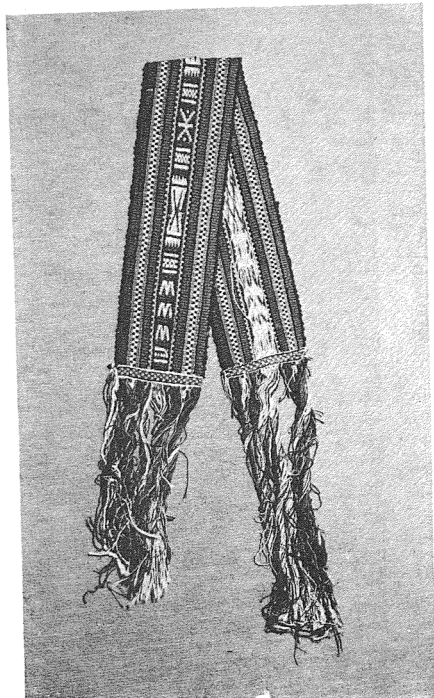
شكل (٢) نموذج آخر لشداد الجبل وهو مجموعة كاملة (شداد ومهاد
ومحوى ويمتاز بصناعاته البدو وأهل عبري)



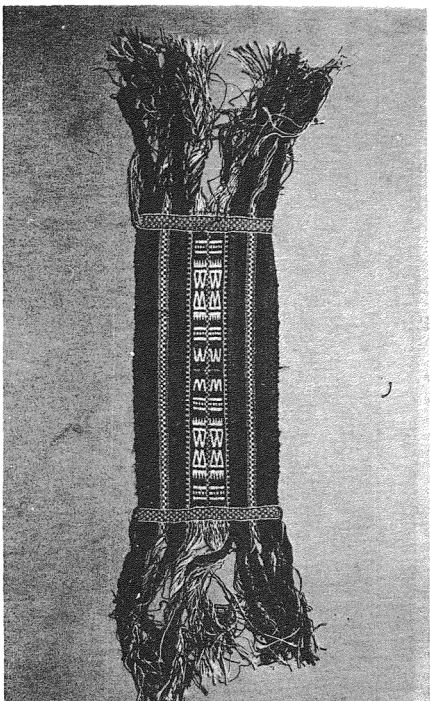
شكل (٣) المكحلة الذهبية ويستعملها النساء والرجال للكحل
وهي موضوعة على قطعة جميلة من النسيج الملون بأشكال هندسية بديعة



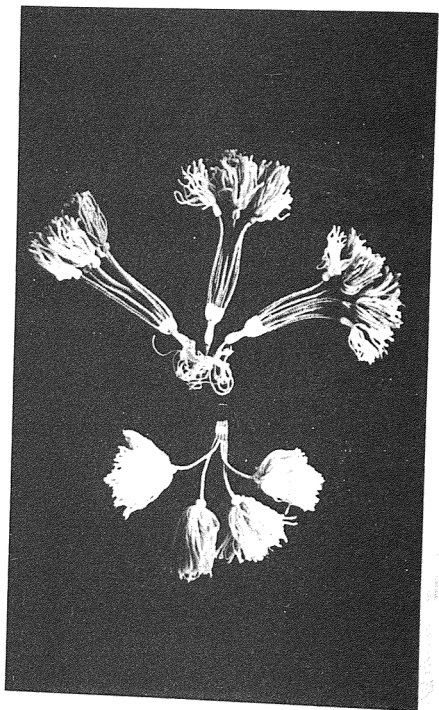
شكل (٤) الكحلة الطغارية وهي مصنوعة من الخز و الألوان المتناسقة
و موضوعة على قطعة نسيج ملونة وزينة بأشكال هندسية جميلة متناسقة



شكل (٥) الحوى وهو نسيج زخرفى جميل يستعمل
فوق ظهر الإبل



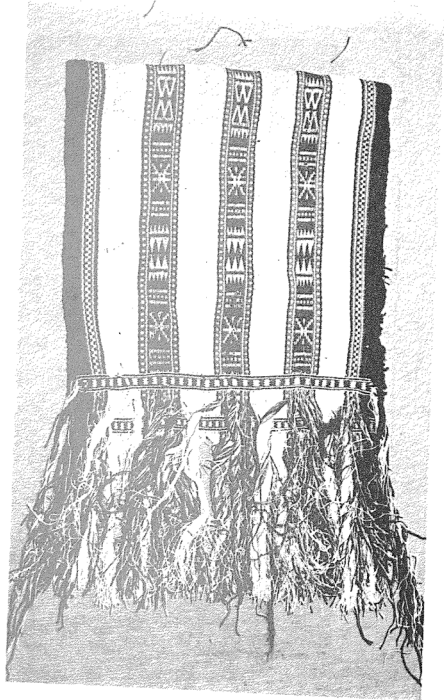
شكل (٦) البداة وهو نسيج مشابه للحمى ولكنه أقصر طولا وأكثر عرضا من الحمى ويستعمل للشداد الإبل



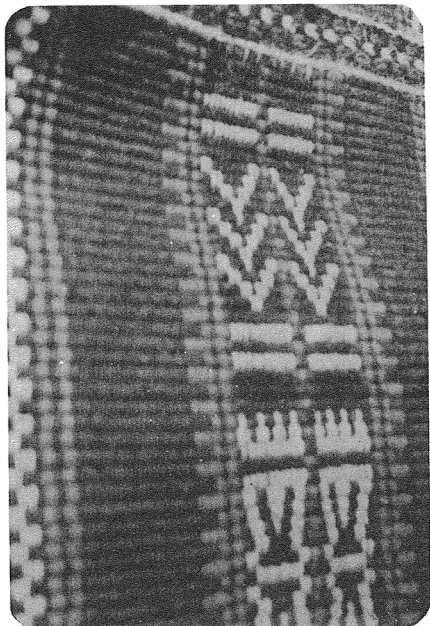
مكحل (٧) مكحل مزينة بأشرطة جلدية تصنع بوادي السرين (سيح القحمة)



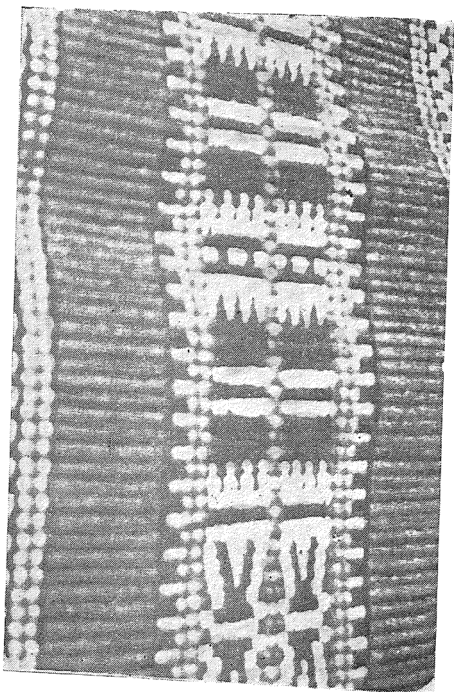
شكل (٨) مَكْحَلَةٌ مَرْيَمَةُ بَأْشَرُطَةٍ قَطْنِيَّةٍ تُصَنِّعُ بَوَادِي السَّرِينِ وَ سَبِيحُ الْقَمْحَةِ



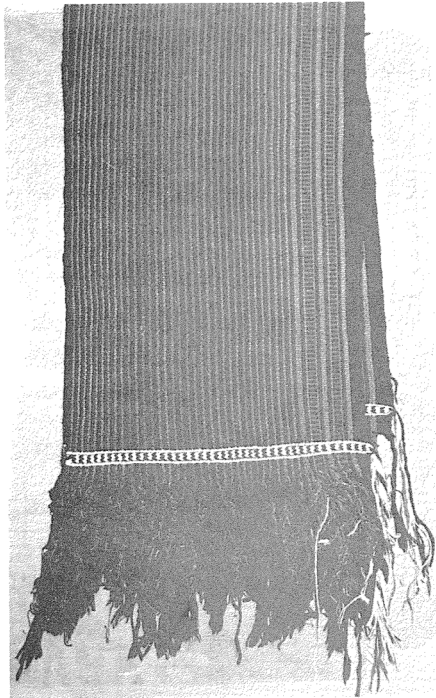
شكل (٩) فرش مصنوع من شعر الماعز ويستخدم لفرشه أثناء الرحلات
وخامسة: لطاية التوم وقد قيل عن مهارة الصانع العماني بن العمانيين قد
زاوجوا بين اليد والعين



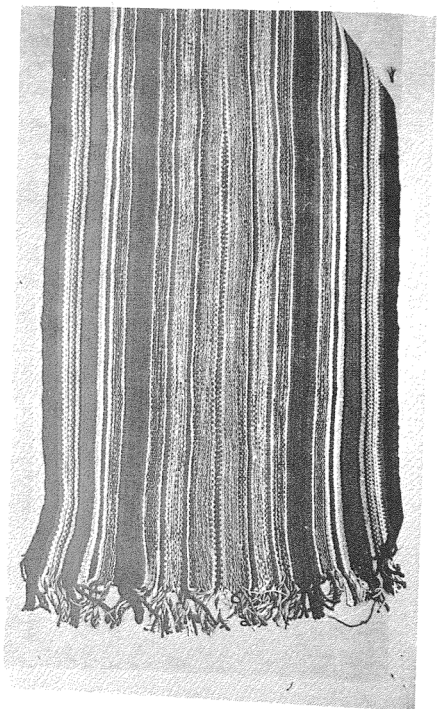
شكل (١٠) مجموعة من النقوش المتنوعة على الفرش وقد صنع في دن
بالقرب من جبل الكور ويلاحظ وجود أشكال هندسية مختلفة على الجوانب
تسمى مهاريش



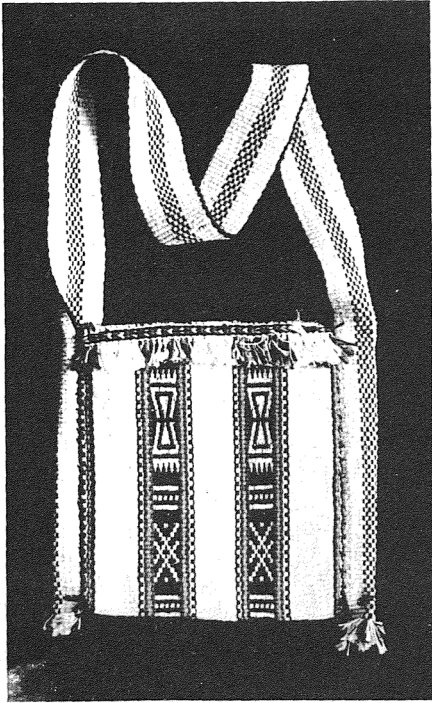
شكل (١١) مجموعة أخرى من النقوش المصنوعة على فرش صنع في دن
 بالقرب من جبل الكور ويلاحظ وجود أشكال هندسية مختلفة وقد ظهر فيها
 خطوط عرقيّة تسمى محاريب



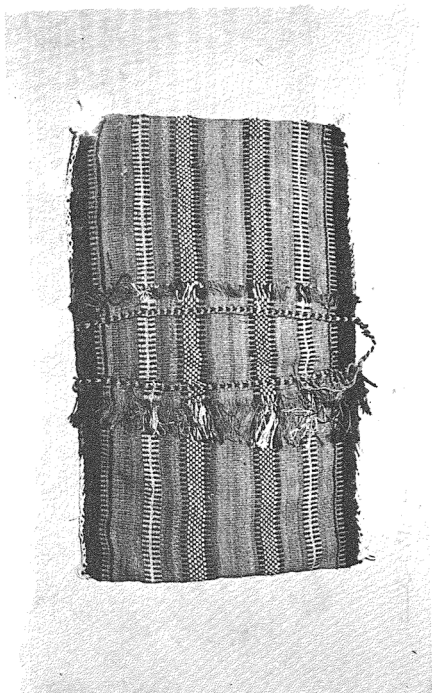
شكل (١٢) نموذج آخر من التوش المصنوعة على الفرش صنع دن بالقرب
من جبل الكور ويلاحظ وجود أشكال هندسية مختلفة وقد ظهر فيها خطوط
عرقية تسمى معاريف



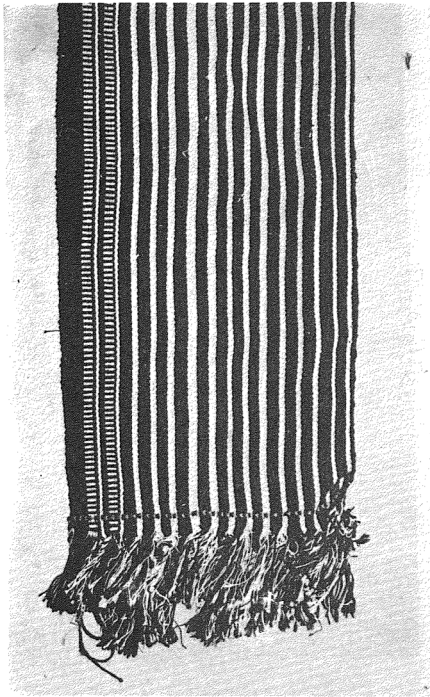
نمط (١٣) نموذج من النورث المختلفة على قطعة من النسيج وقد طُور
في الصورة رسم شعار السلطنة (الخنجر والسيقان المتقاطعان)



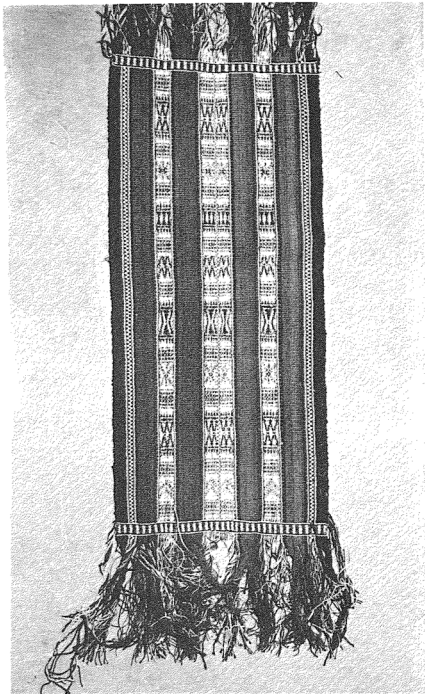
شكل (١٤) حقيبة يد نسائية



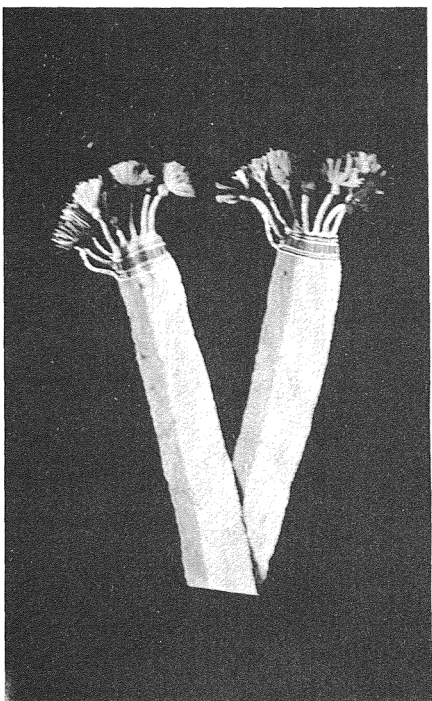
شكل (١٥) خراج



شكل (١٦) نسيج مصنوع من صوف الماعز ويستعمل لفرشه على
الجمال والحصان في أثناء الرحلات أو التبتل من مكان لآخر



شكل (١٧) بداد ويمنع من شمس الماعز ويوضع على ظهور الجمال
والحمر أثناء التنقل و الرحلات للزينة



شكل (١٨) محوى ويصنع من شعر الماعز ويوضع على شداد الجمل حيث
تتلى أطرافه من الجانبين ويستخدم المحوى للزينة

زراعة القطن وغزله ونسجه

ومما لاشك فيه بأن الانسان العماني عرف منذ أقدم الأرمنة زراعة القطن ، حيث كان يوجد اكتفاء ذاتي في البلاد ، أما في الوقت الحاضر فأصبح من المحاصيل النادرة زراعته وتشير الكثير من كتب الرحالة والمؤرخين الى ذكر القطن بأنه من المحاصيل التي كانت موجودة في عمان •

والقطن كما هو معروف من أصل نباتي وقد تعلم العماني منذ القدم زراعته بعد استقراره في المدن فكان أكثر المحصولات جودة وحتى عهد قريب كان يوجد منه نوع نادر يسمى الخطرج الذي اشتهرت به داخلية عمان وعلى وجه الخصوص الجيلة ومنح وسمائل وغيرها من القرى •

وقد نجح العماني في جعل القطن خيوطا استعمالها في نسج ملابسه وذلك بعد أن تمر بعدة مراحل منذ اقتطاف الثمرة وحتى غزل الخيط •

وقبل النسيج يندى الغزل المجلوب من السوق بالماء ويدق بملكد ثم يخمر لمدة يوم واحد ويخلط بالطحين في اناء فخارى أو لوح من الصخر ، وللحصول على خيوط رفيعة صالحة للنسيج تغزل هذه المواد الخاصة بواسطة مغزل خشبي يتكون من عدة قطع تسمى دالوب تلف عليه الخيوط المغزولة وتترك حتى تجف من الماء ، وفي بعض الأحيان تتم عملية صباغة خيوط الغزل قبل لفها على الدوار ، وتوجد هناك العديد من الدواليب الصغيرة التي يلف حولها الغزل والتي تقوم بدورها في تحويل الخيوط المغزولة الى الدالوب الكبير •

وبعد اتمام عملية غزل المواد الخام تصبح جاهزة للنسيج وهنا يأتي دور النول اليدوي التقليدي المصنوع من خشب السدر والقرط ، ويباشر النساج عمله حيث يجلس في حفرة خاصة وأمامه النول ووراء النول

تنتشر الخيوط المغزولة على مسافة عشرين قدما تقريبا والمعروف ان هذه الحفرة تسمح للنساج أن يدخل رجله حتى وسط جسمه ثم ينضّب النول فوق هذه الحفرة بوضع يسهل على الحائك أن يصل خيوط النسيج المراد نسجها •

ويقوم الصانع بنسج الخيوط اسداء في الطول والحاما « مصر » في العرض حتى نهاية العمل •

أما النول اليدوى المستخدم في مناطق عديدة من البلاد فهو النوع الأفقى ، الذى عرف لدى الحضارات القديمة الفرعونية ، والسومرية ، والآشورية ، والبابلية وغيرها من حضارات البلاد المجاورة •

ويتكون النول من ٢٣ جزء ، وتسمى الكارجة اذا كانت مفردا أما في حالة وجود العديد من الأنوال في مكان واحد فيطلق عليها مجتمعة عرصه ، وقد شاهدنا احداها في بلدة الأخضر بالمنطقة الشرقية القريبة من سمد الشان •

أما النول العمودى فهو نادر وقد أدخلته حديثا وزارة التراث القومى والثقافة في المصنع التابع لها في سمائل •

وكما هو الحال بالنسبة لصناعة حصر الرسل فان صناعة النسيج توجد في بيوت خاصة تعرف باسم الكارجة أو بيت النسيج وتقع ضمن قطاعات سكنية خاصة •

ويذكر الأهالى أن صناعة النسيج كانت صناعة منزلية أكثر تطورا يقوم بها الصانع لسد احتياجات الرجل والمرأة على حد سواء من الثياب •

ويعتبر الشريك « معلم الصنعة » أولى درجات الحرفة ثم المعاقب « المعاون » وأخيرا الشاغرد - الذى يندى خيوط الغزل بالماء ويعمل على الدالوب والمعروف أنه لا يوجد هناك رئيس أعلى للمصانع الذى يطلق عليه شيخ مشايخ الصنعة والذى يعاونه نقيب كما هو الحال فى بعض البلاد الاسلامية •

وفى مجال التدريب يقضى المتدرب على صناعة النسيج فترة للتمرين من ٦ أشهر الى سنة كاملة تحت اشراف صانع ماهر حتى يصبح المتمرن فى عداد النساجين كما يشترط أن يتحلى النسايج بالصبر وحدة البصر والمتابرة فى العمل وهى صفات أساسية للنجاح فى هذا العمل وفى حالة الترقى من رتبة الى أخرى فان ذلك يتبعه مراسيم وطقوس خاصة كانت تقام فى احتفالات عامة يحضرها سائر أبناء الحرفة الواحدة •

صناعة النسيج (من القطن)

اشتهرت عمان بصناعة النسيج منذ ظهور الاسلام في شبه الجزيرة العربية ، فكانت تصدره الى العديد من الجهات ، ومن الأقاليم التي كانت تصدر اليها المنسوجات العمانية هي : الحجاز غيروي ابن سعد ان النبي (ص) « كان له برده ... وازار من نسيج عمان طوله أربع أزرع وشبر في ذراعين وشبر ، فكان يلبسها في الجمعة ويوم العيد ثم يطويان » ويروي أيضا أن الرسول (ص) أعطى فروة بن مسيك المرادى حله من نسيج عمان .

وقد كانت صحار من أهم مراكز النسيج في عمان التي اشتهرت منسوجاتها وانتشرت وكانت تسمى الصحارية ، فيذكر الواقدي في غزوة الحديبية عام ٦ هـ أن رسول الله (ص) خرج من المدينة يوم الاثنين ... فاغتسل في بيته ولبس ثوبين من نسيج صحار .

ويذكر ابن هشام ان النبي (ص) .. كفن في ثلاثة أثواب ثوبين صحاريين وبرده أدرج فيها ادراجا « وقد ترك النبي (ص) بعد وفاته ثيابا منها ثوبان صحاريان وقميص صحارى أما سعد بن معاذ فقد كفن بثلاثة أثواب صحارية .

ويتضح مما تقدم أن المنسوجات الصحارية كانت تنتج بكميات كبيرة تكفى للتصدير ، وأنها كانت تصدر الى الحجاز ومن المحتمل الى بلاد أخرى .

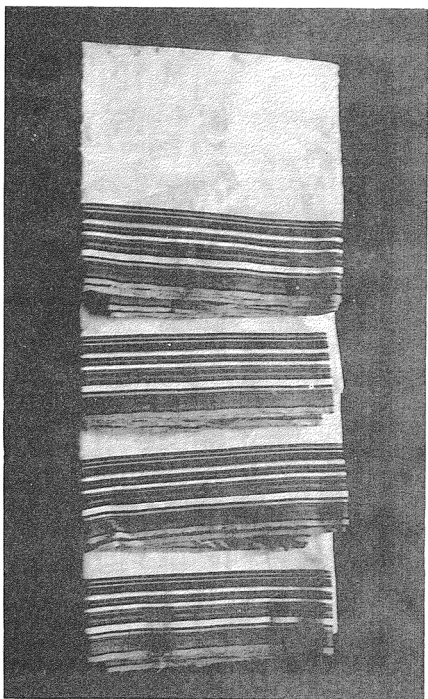
ومازالت صحار معروفة الى اليوم بصياكة الأقمشة الصوفية والقطنية وصناعة الوزرة والمعائم والعباءات .

ويذكر ياقوت الحموي مركزا للنسيج في نزوى التي كانت تنتج نوعا من الثياب وصفها بأنها منمقة بالحرير جيدة غائقة لا يعمل في شيء من بلاد العرب مثلها وميازر من ذلك الصنف يبالغ أثمانها وقد رآها ياقوت واستحسنها •

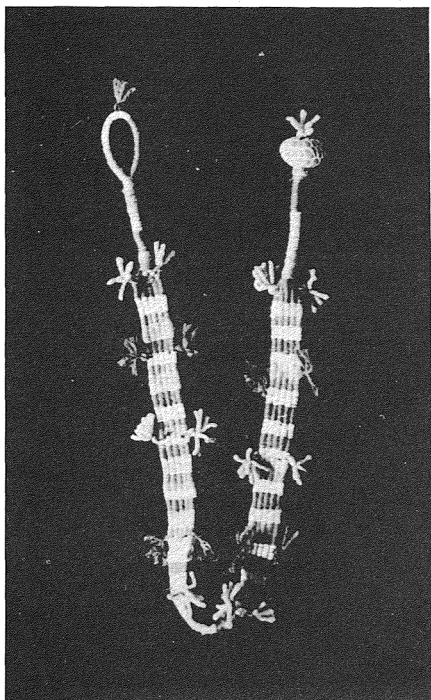
ومما لاشك فيه بأن المنسوجات الآتية الذكر مشهورة في التجارة والاستعمال وهي موجودة في قرى أخرى من البلاد مثل : الأخضر ، وبهلا ، وعبرى ، وبركا ، وصور ، المصنعة ، وسمائل وغيرها من القرى العديدة وهذه المنسوجات تسد في الوقت الحاضر بعض الاحتياجات في عمان بعد أن كان هناك غائضا يصدر إلى العديد من دول العالم الخارجى •



شكل (١٩) صناعات الفزل والنسيج (قطانية)



شكل (٢٠) صناعات القزل والنسيج (تطاينية)



شكل (٢٢) صناعات الفزل والنسيج
(صناعات تخطيطية)

الصناعات المعدنية

كثرت الصناعات المعدنية في عمان ، وشملت الصناعات الفضية والنحاسية والحديدية .

ومن الفضة صنع الإنسان العماني ألوانا من الحلى ومجموعات كثيرة من أدوات المائدة والزينة .

• وصنع من النحاس أباريق القهوة والمباخر بدقة تسترعى الأنظار .

أما الصناعات الحديدية فجديرة بكلمة أوسع لارتباط هذه الصناعات بحياة الانسان العماني في البادية والحضر .

فمنذ أقدم الأزمنة دفعت الحاجة الانسان الى استعمال المعادن في الحروب والزراعة فصنع من الحديد الحراب والرماح والسيوف والخناجر والدروع . كما أعد للمزارع الأدوات التي تستعمل في حرث الأرض مثل المسحاة والمحراث ، وغيرها من الأدوات التي تستخدم في الحقل .

وقد اشتهر بهذه الصناعات الحديدية أهل المدن العمانية « الحضر » أما البدو فلبساطه حياتهم لا يمارسون صناعة الحديد وإنما يطلبون هذه الصناعة من أهل المدن عندما يتسعون بالحاجة اليها .

ومما لاشك فيه بأن البدو يهتمون العاملین بهذه الصناعات ويعدونهم أقل منهم درجة .

ويستعين الحداد بأدوات لطرق الحديد وتغيير شكله على النحو المطلوب فهناك السندان الذى يطرق عليه الحديد بعد اخراجه من النار ويتم طرق الحديد بواسطة مطرقة ليأخذ الشكل المطلوب .

ومن الأدوات الأخرى التي تستعمل في صناعة الحديد الكور وهي كلمة تعرف أيضا عند العبرانيين وقد وردت اللفظة في التوراة • والكور هو مجمرة الحديد ، مبنية بالطين والحجارة وتوقد فيها النار ويسلط عليها الملهاب « المنفاخ » الذي هو عبارة عن قربة جلدية ينفخ فيها الحديد بواسطة يده ويستعملها لاثارة النار وإيقادها لكي ترتفع درجة حرارتها فتؤثر في الحديد وتجعله ليئا قابلا للتشكيل •

ومن الملاحظ أن أماكن صناعة الحديد في نزوى منفصلة عن المنازل ، أما صناعة النحاس فأصبحت بداخل منازل الصناع بعد أن كانت في محلات خاصة ، وفي قديم الأزمنة يقال بأن الحديد هو السجان أى لأنه يمنع من الخروج •

والى جانب صناعة الأدوات الزراعية والحربية يصنع أيضا من الحديد الأدوات المنزلية التي تدخل في المطبخ ولا يزال يحتفظ بيت السيد نادر في مسقط بمقدحة حديدية قديمة كان يستخدمها البدوى في الماضى وهي عبارة عن أداة لايجاد النار حيث يقدر بها حجر يوضع عليه مادة قابلة للاشتعال ولأخذ النار مثل الصوف فيورى منها النار •

وهناك أيضا بعض الصناعات الحديدية الأخرى التي تدخل في لباس الرجل مثل الابزيم الذى يربط في نهاية الحزاق وهو عبارة عن حلقة لها لسان يحفل في الحزق ثم تمض عليها حلقتها ••

الصناعات المعدنية (الفضية)

تعتبر صناعة الفضة من أقدم الصناعات في التاريخ ، فقد عرف المصريون الفضة منذ عهد الفراعنة واتخذوها أداة من أدوات الزينة وصنعوا منها المكاحل والعقود والأقراط وغير ذلك .

وعرفت صناعة الفضة في آسيا الصغرى أيضا منذ نحو خمسة آلاف سنة ، وانتقلت هذه الصناعة من عيلام في الشرق الى سومر في العراق .

وكان انتاج الفضة في فارس وفي غربى مدينة مشهد وأصفهان بالذات ، انتاجا كبيرا ، وكانت بلاد الفرس عامة أكثر بلاد آسيا احتفالا بصناعة الفضة ، ومن المحتمل أن تكون هذه الصناعة قد انتقلت من ايران الى عمان في تلك العصور القديمة من التاريخ .

وكانت صناعة الذهب والفضة في تنافس ملحوظ منذ عرفت هاتان المادتان اللتان كانت التجارة فيهما خاما أو مصنعة ، وكان الذهب مرتبطا في أذهان القوم بالشمس ، وكانت الفضة مرتبطة في أذهانهم بالقمر ، وكان معظم الناس يفضلون الفضة اذ كانوا يعتقدون أن الحلى الفضية تحمى الانسان من العين الشريرة .

ثم أخذت الحضارة في التطور ، ونضجت الأفكار وانصرف الناس عن التفكير في الخرافات المنتشرة آنذاك والتي كانت ترغم أن الفضة تحمى الانسان من الحسد ، ثم أخذوا الفضة على أنها مادة مجزية اذا بيعت ، ووسيلة للترف في البيوت ، ولانزال نرى في عمان الى اليوم قطع الخشب والنوى وأغطية القناني والعظام والقرون مثبتة في أنواع من القطع الفضية .

وعلى أى حال فإن صناعة الفضة تعتبر من أهم الصناعات التى تشتهر بها عمان ، ومن العسير تحديد أسماء الأوانى والطحى الفضية التى تشتهر عمان بصناعتها نظرا لكثرتها ، وإلى أن أسماء هذه الطحى والأوانى تختلف من منطقة عمانية إلى منطقة أخرى .

فالتسمية التى يطلقها أهل مسقط على آنية أو قطعة من الطحى قد يوجد لها تسمية أخرى فى نزوى مثلا وهكذا دواليك .

وان الباحث ليوافقه صعوبة فى محاولته الوصول إلى معرفة أصل أية طحى أو آنية ، وربما يحصل المرء على اجابات عدة ومختلفة عن أسماء وأصول الطحى والأوانى العمانية والمدن المشهورة بها إذ أن معظم الأدوات الفضية متشابهة فى مدن عمان ، ومن أهم هذه المدن ، بهلا ، وعبرى ، ومطرح ، وصلالة ، ومسقط ، وصور ، والرسناق .

والأدوات والأوانى الفضية التى تنتجها عمان كثيرة ، وتتميز بزخارف مختلفة ، وخاصة تلك الأدوات والأوانى التى تصنع من الفضة الخالصة .

وانك لتجد أنواع البنادق التى تتحلى بالنقوش الفضية فى أعقابها أو على مواسيرها ، ثم ترى محافظ البارود الخشبية المصنوعة على شكل قرون الحيوانات وأطرافها محلاة بنقوش فضية .

ومن الأدوات الفضية المستعملة فى عمان علب لحفظ النقود ، والبيبات ، وخلاطات الأسنان ، وأدوات وابر التطريز ، وهى كلها محلاة بنقوش وزخارف غاية فى الذوق والابداع ، وتعتبر فى الوقت نفسه عن مهارة الصانع العماني فى تشكيل الأدوات والأوانى ، وإضفاء لمسات من الذوق والجمال عليها .

ومن الأدوات الفضية واسعة الانتشار في عمان المكامل الفضية التي يحفظ فيها الكحل الذي يستعمله كثير من الرجال والنساء على السواء ، ويتزين النسوة بالقلائد الفضية كثيرة الخرز ، والعقود ذات النقوش الهندسية البديعة التي تمثل أوراق الشجر والأزهار ، وهذه العقود في الواقع رجع المصدي للحلى التي كانت منتشرة في مصر على عهد الفراعنة منذ خمسة آلاف سنة .

وتغلف المصاحف أحيانا بجيوب من الفضة أو توضع في علب من الفضة عليها نقوش غاية في الدقة والابداع ، كما ترى في مدن عمان حليا للرأس جميلة تزين بها رؤوس النساء .

أما صناعة الخناجر والنصال والسيوف في عمان فهي أول ما يلتفت نظر الوافد على السلطنة ، فالخناجر يرتديها العمانيون ، وهي تستعمل خاصة في المناسبات الرسمية وهي تلبس فوق (الدشداشة) ، والخنجر العماني أكثر الخناجر وجاهة في منطقة الخليج ، ومقبضه مزخرف وتغطيه شبكة من أسلاك الفضة التي تكسو قرابه أيضا ، ويكون القراب أحيانا من الفضة الخالصة .

وفي عمان أنواع ممتازة من السيوف التي تستخدم في مواقع النزال ، ولهذه السيوف مقابض من الفضة ، وجراب السيف يكون عادة من الجلد ومزخرف بالفضة ، ولكن هذه السيوف لا تظهر الا في الاحتفالات الرسمية ، ولا يقتنيها الا الأغنياء من القوم .

وأبرز ما يلاحظه الزائر من الأدوات الفضية في عمان ، أباريق القهوة والمباخر ورشاشات ماء الورد ، وهي أدوات واسعة الانتشار والاستعمال في كافة المدن والمناطق العمانية ، ويستعملها السراة في بيوتهم وفي مكادهم ، فبعد تناول القهوة من الأباريق الفضية ، يقدم للضيف ماء الورد في

رشاشات من الفضة فيتناوله في يديه ثم في وجهه ، وبعد ذلك تدور المياخز الفضية في أرجاء الحجرة ، فيستنشق الضيوف دخانها المعطر المتصاعد من خشب العود أو اللبان •

وتشتهر عمان بصناعة الأساور والخلخال ، وهي في كثير من الحالات من الفضة الخالصة ، وهذه صناعة يشتهر بها أيضا كثير من بلاد الشرق العربي ، غير أن خلخال عمان وأسورته يتميزان بالدقة وبروز النقوش الفضية التي يمكن رؤيتها بوضوح •

ويكون (الخخال) العماني أحيانا أكثر سمكا من أى خلخال مصنوع في المنطقة العربية ، ويسمى هذا الخخال « نطل » وتختص بصنعه مدينة نزوى ، وإن كان يصنع في مدن عمانية أخرى أهمها الرستاق ، كما أنهم يسمونه في بعض مدن عمان « حجل » أو « خلخال » وترتديه الفتاة بعد بلوغ سن الرشد ، وتستمر في ارتدائه حتى فترة الزواج حيث يصبح جزء من المهر •

ويتفنن العمانيون في صنع السوار تفننهم في صنع الخخال ، ويطلقون على هذا السوار اسم « بنجرى » ولعله لفظ من الألفاظ الأوردية التي يتحدث بها في الهند ، ويرتدى أهالي مسقط ومطرح نوعا محفورا من الأساور قطره نحو ثلاثة أرباع البوصة ، ويكون هذا النوع مرصعا بالقصوص غالبا ، وهو كثير الاستعمال في مسقط ومطرح وساحل الباطنة •

وفي عمان نجد صناعة الأقراط والخواتم تغرق أسواق الزينة الفضية ، وأكثر أنواع الأقراط شهرة ما يسمى منها « الشغاب » وأحد أجزاء هذه الحلية أملس بينما الأجزاء الأخرى مضلعة ، ويضم القرط عادة قلادة أو قلادتين من الفضة تتدليان منه ، وتعتبر هذه الأقراط رمزا لكمال الأنوثة ، ومن المألوف أن تلبس الفتيات عددا من الأقراط في آن واحد من خلال ثقوب متراسة في الأذن ، إلا أن البعض منهن ترتدينها في مقدمة الرأس •

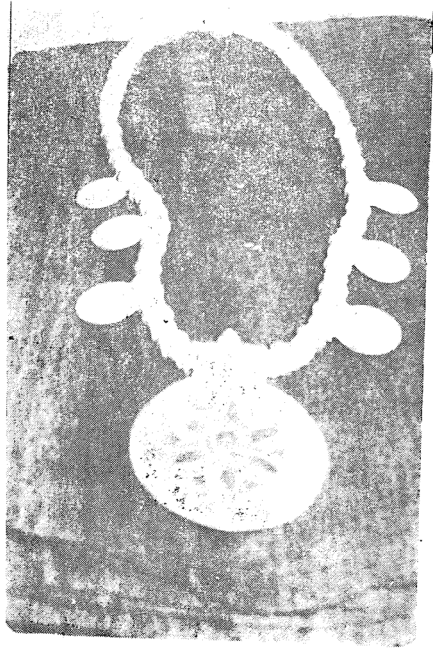
أما عن الخواتم فإنها تلبس في كل أصابع اليد وأصابع القدم على السواء ، وبالرغم من أنه لا يوجد عادة تقديم « دبل » أو خواتم زواج في عمان إلا أنه يتم تقديم ما لا يقل عن عشرة خواتم عند عقد الزواج .

ويهتم العامة في عمان بأن يكون لكل اصبع خاتم ، فإخواتم التي تسمى « الشواهد » فتخصص للاصبع الأول وتحتوى على زخارف ونقوش في الواجهة وتستدق عند الأطراف ، أما خاتم الاصبع الثانية فيسمى خاتم « بوفصوص » ويتكون عادة من قطعة مستديرة منقوشة ، أما خاتم الاصبع الثالثة فيسمى خاتم « أبوست المربع » وعليه زخارف مربعة الشكل ، وخاتم الاصبع الرابعة يسمى « خيسة » وقد يزين بفص أو بحجر ملون أو زجاج وشكله يشبه شكل ورقة التوت المصنوعة من الخرز الفضى ، أما اصبع الابهام فيحلى أحيانا بحجر صغير في وسطه ، وكلها من الفضة الخالصة .

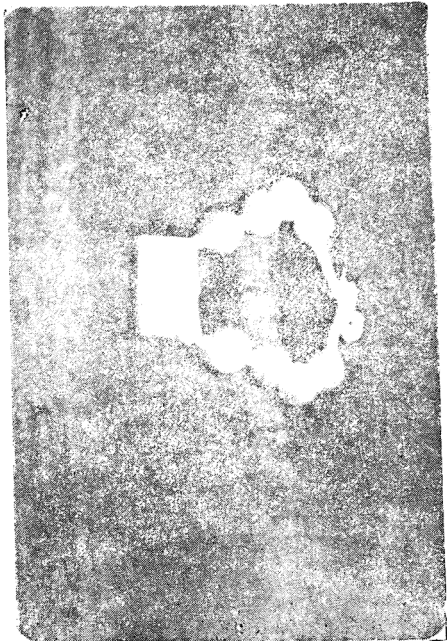
* * *

هذه لمحة سريعة عن صناعة الفضيّات في عمان ، وتجدر الإشارة في ختام هذه السطور الى أن صناعة الفضة تختلف من مكان الى آخر في هذه البلاد ، وهي شديدة التشابه في المدن التي تصنعها ، وان كان الخلاف واضحا جدا بين هذه الصناعة في معظم مدن عمان وبين صناعتها في المنطقة الجنوبية من البلاد .

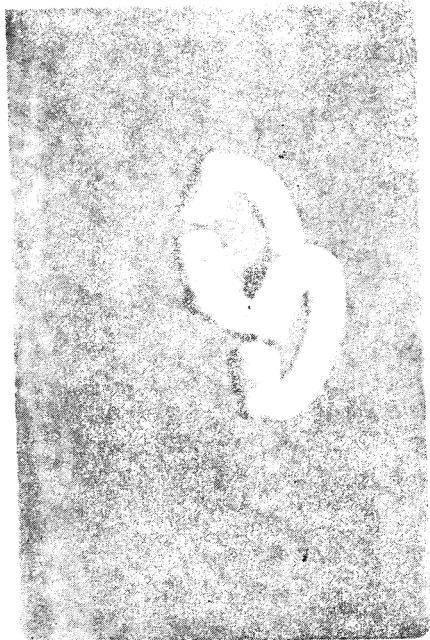
وتبين الرسوم والصور التي نسجلها في نهاية هذه الدراسة المختصرة الجمال والروعة في هذه الصناعة التي تتميز بها سلطنة عمان .



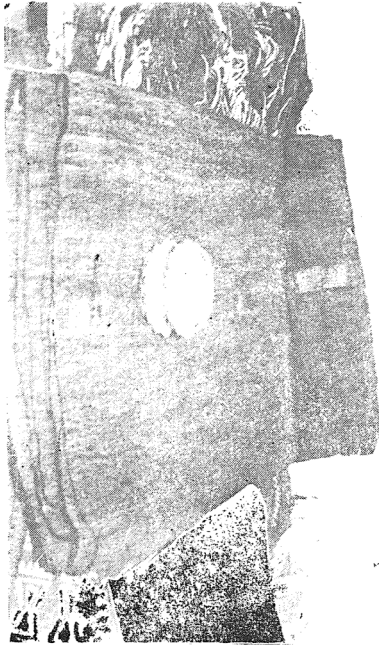
شكل (١) حرز للصدر مصنوع من قطع النقود القديمة (حرز ماري تريبز)



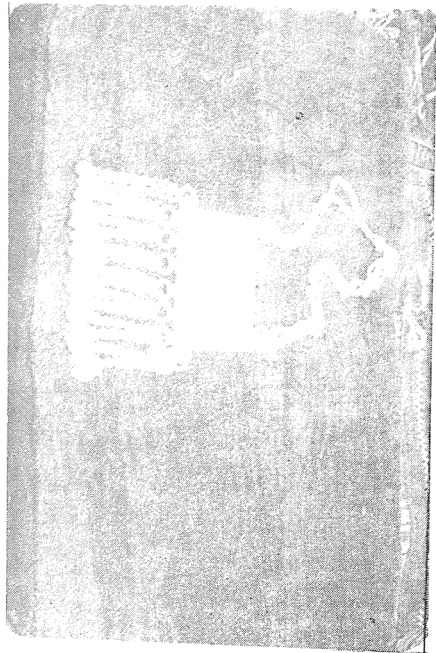
شسکل (٢) حرز صغیر للمصر وبتییز بالشکل الکروی الجمیل



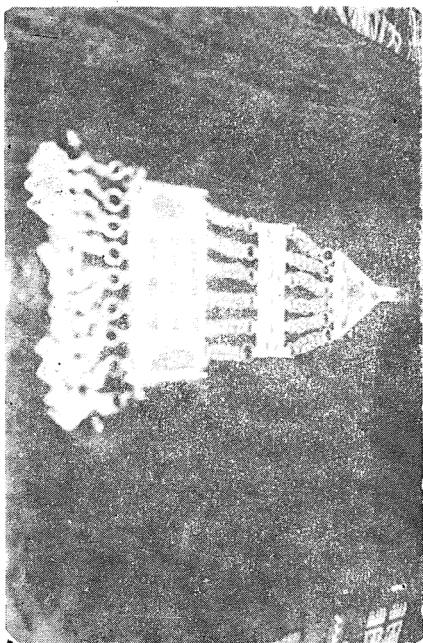
شكل (٣) إحدى القطع الغشبية (البريم) ولبسته الإطغال في أرجاسيم



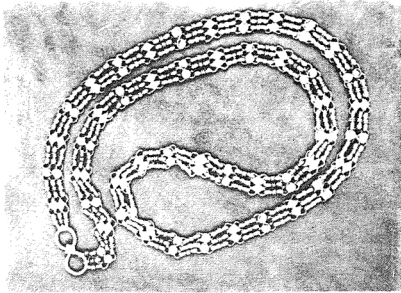
شكل (٤) البناجرى النضى ويوجد منه أشكال وأنواع عديدة



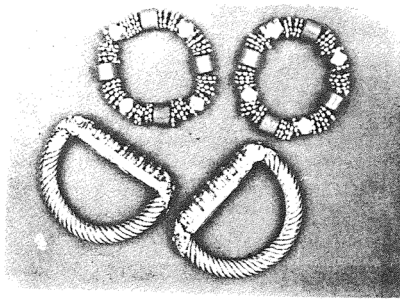
شكل (٥) حرز قرآن تابعه النساء على الصدر



شکل (۶) حوز قرآن تبلیه النساء علی ظهورهن



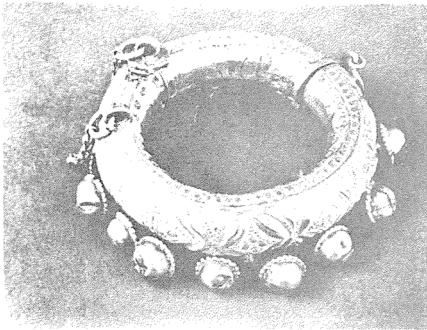
شكل (٧) حلية المثلوث ، وتحليها مجموعات من خرز المرجان



شكل (٨) زوجان من الاساور والحلية المسماة المحدية على شكل حرف D في الانجليزية



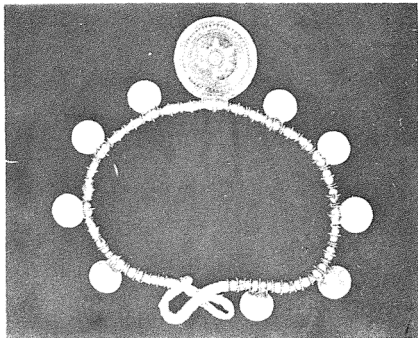
شكل (٩) مجموعة من الخلاخيل التى تشتهر بصناعتها منطقة الباطنة



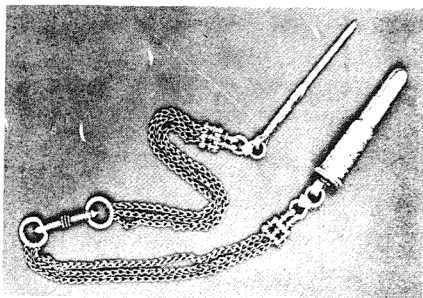
شكل (١٠) نموذج آخر من الخلاخيل من أعمال منطقة الباطنة



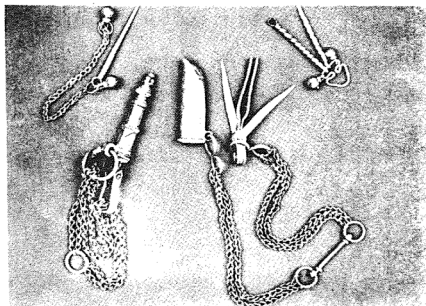
شكل (١١) ريال مارياتريزا



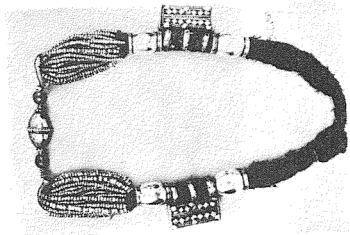
شكل (١٢) قلادة مدلى منها الريال النمساوى



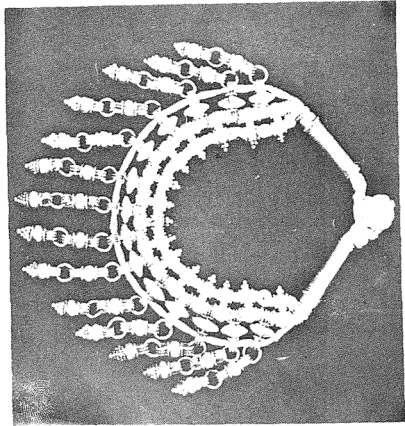
شكل (١٣) نماذج من المكاحل والنتافات



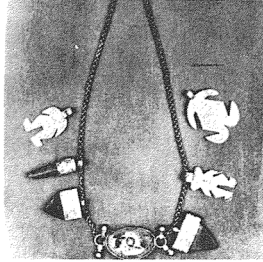
شكل (١٤) نماذج مختلفة من المكاحل والنتافات



شكل (١١) عقد من صنع المنطقة الداخلية
مخيط بجبل وبه تعويذتين على كل
جانب في تتوش هندية
بديعة وتشتهر بها منطقة نزوى



شكل (١٥) ثلاثة عمالية من ثلاثة صفوف
مخاطة بجبل من النزل وهي من
صنع منطقة الباطنة



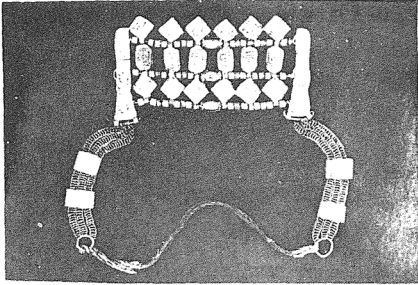
شكل (١٧) عقد مربوط بطلاسم من صنع الداخلة والرسم على اليمين يلبس كحرز وبه تميمة عبارة عن قطعة من لوح الكتابة عليه صورة وردة مدينة عبري



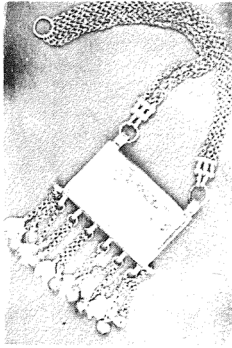
شكل (١٨) طوق وبه نقوش كثيرة على هيئة اشكال هندسية جميلة



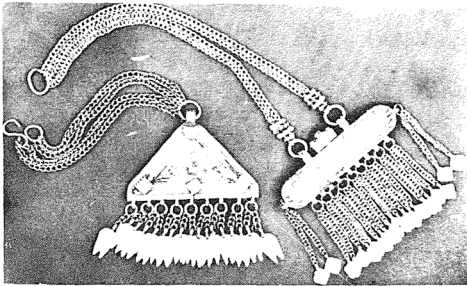
شكل (١٩) عقد بسيط يتكون من خرز فضي مجوف لعله من صنع الباطنة



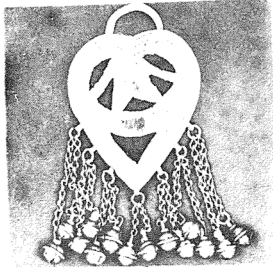
شكل (٢٠) وجد هذا العقد في منطقة بركة الموز ويعتقد أنه من صنع مدينة نزوى وقد غرست القطع المربعة والمستطيلة بشكل أفقى وكلها من الفضة المملية بالذهب ومخيطة بأسلاك فضية وموصولة بخيوط من الفضة وخرز المرجان



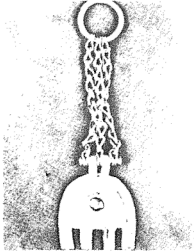
شكل (٢١) حرز أو غلاف مصحف وهو من صنع نزوى ويفتح من جهة واحدة والسلاسل التي في القاعدة تحدث أجراً لها صوت جميل وتستعمل للزينة



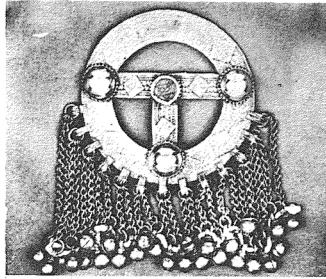
شكل (٢٢) في يسار الشكل عقد من صنع نزوى وعلى وسط المثلث الفضي صور أوراق من الذهب والمربعات الفضية قد حفر في القاعدة — وفي الجهة اليمنى حرز من صنع نزوى كذلك وتبدو عليه نقوش على شكل وردة



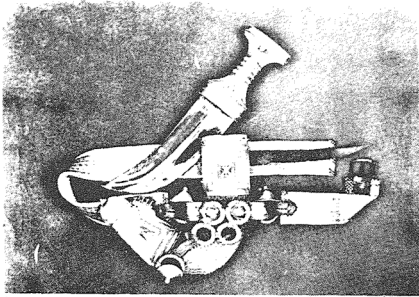
شكل (٢٣) نوع آخر من حلى الرأس ذات الاجراس وربما تنتمى الى مدينة
الريستاق



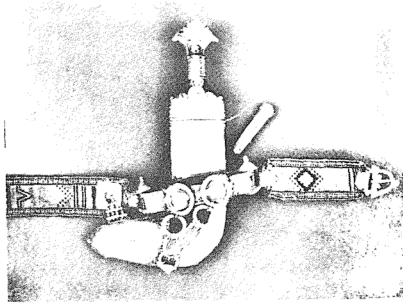
شكل (٢٤) حلقتان للشعر وقد صممتا للاستعمال فوق الجبهة اما مثبتتان بسلسلة
حاملة للأقراط او مديبة في طرحة الرأس



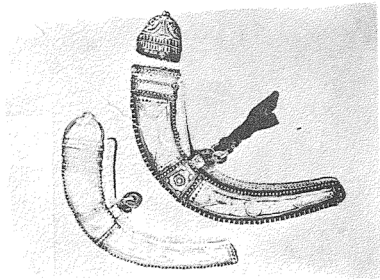
شكل (٢٥) حلبة لشعر الرأس (من المنطقة الداخلة) وهي محلاه ببريعات ذهبية ورقية الشكل وفي الوسط ختم أحمر من البلاستيك وتستعمل خلف الرأس في منطقة بهلا وجبرين



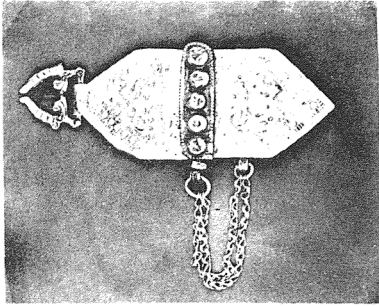
شكل (٢٦) خنجر تقليدي عليه نقوش رائعة ويظهر النصل عاريا وهو من منطقة الشرقية والمقبض كله مغطى بالذهب كما توجد كتابة خلف الخنجر



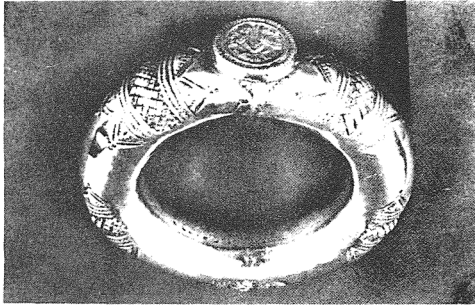
شكل (٢٧) نموذج للخنجر الذي يرتديه افراد أسرة البوسعيد الحاكمة في عمان . وهو نوع مميز في الخناجر العمانية في تصميمه ونقوشه وعلى الأخص المقبض والحزام فهو مثبت بعقته الخنجر بسلسلة معقدة



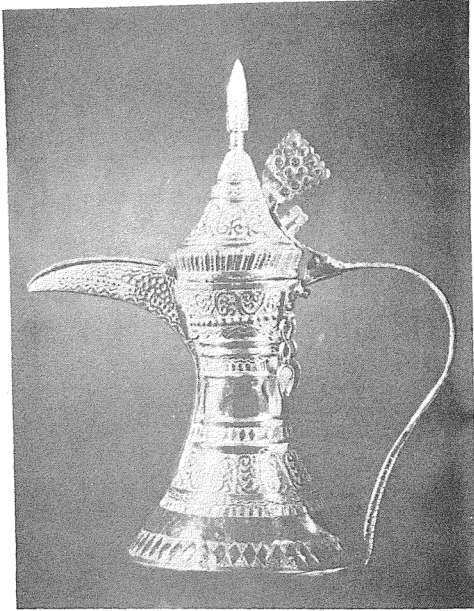
شكل (٢٨) صور لما يسمونه في عمان بالتلاحيق وهو نوع من القراب مصنوع من الفضة ويتكون من عظام القرن وهذا النوع من صنع مدينة صور



شكل (٢٩) أبزيم مزخرف من صنع احدى مدن داخلية عمان ولعلها الرستاق وحزام منجد ومنسوج يثبت بشريط خلف الابزيم كما تخطط قطعة من الجلد على الطرف الآخر من الحزام والابزيمات يرتديها الصبيان العمانيين



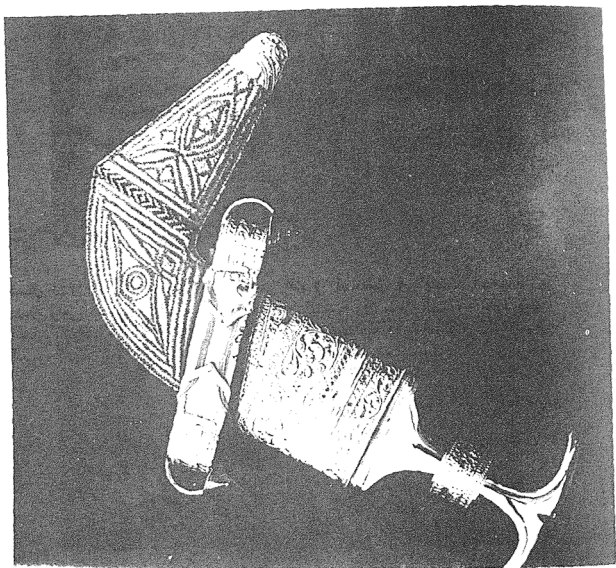
شكل (٣٠) ان الختم على هذا السوار يدل على الدقة وهو من صنع مدينة الرستاق وهذا النوع من الاساور يوجد في جميع أنحاء البلاد اما الختم فهو علامة على منشأ الحلية



شكل (٣١) الدلة العمانية (أبريق القهوة) التي تشتهر عمان بصنعها وهى من أعرق فنون الصناعات اليدوية كما أنها تصنع من النحاس أو الفضة حسب المستويات وتظهر عليها النقوش المنحنية والبارزة وروعة الفن الصناعى العماني .



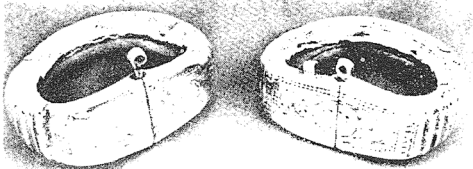
شكل (٣٢) المبخرة العمانية النموذجية المصنوعة من الفضة وتبرز عليها النقوش والزخرفة معبرة عن ذوق الصانع العماني ودرجة تحكمه في تشكيل الفضيات وتوسيتها بالنقوش الجميلة والأشكال الجذابة .



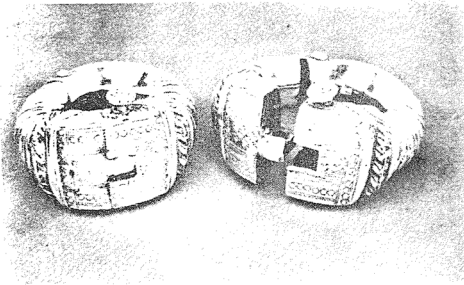
شكل (٣٢) الخنجر المصنوع من أشهر الصناعات القديمة في عمان



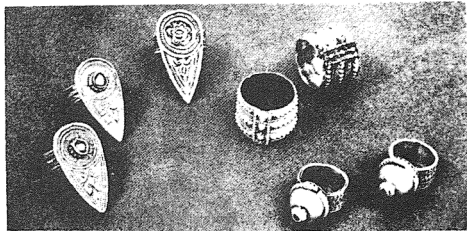
شكل (٣٤) السوار في اعلا الصورة من النوع المستعمل في المنطقة الداخلة من عمان وهى تصنع من الذهب في الغالب او الفضة وفي يمين الصورة نموذج من أساور مزينة بصور يحيط به صفان من النقوش مع فتحة ، اما السوار على شمال الصورة فهو من صنع مدينة عبرى وهو مستدير من الخلف واسع من الامام ومفرطح قليلا .



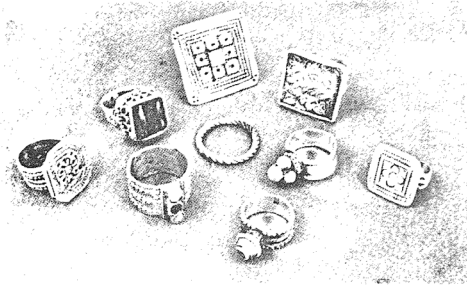
شكل (٣٥) خلخال ثقيل من صنع نزوى وتشاهد فيه الفتحة التى يتم اغلاقها بمسمار فضى



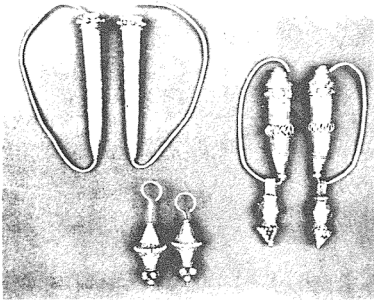
شكل (٣٦) خلخالان من صنع نزوى أو مدينة صور وهما محلّيان بالفصوص والنقوش الجميلة



شكل (٣٧) انواع مختلفة من الخواتم العمانية المخروطية الشكل تستعمل على التوالى للاصبع الاول وللإبهام وللأصبع الرابع والأصبع الأوسط وهى محلاة بالخرز والنقوش المحفورة

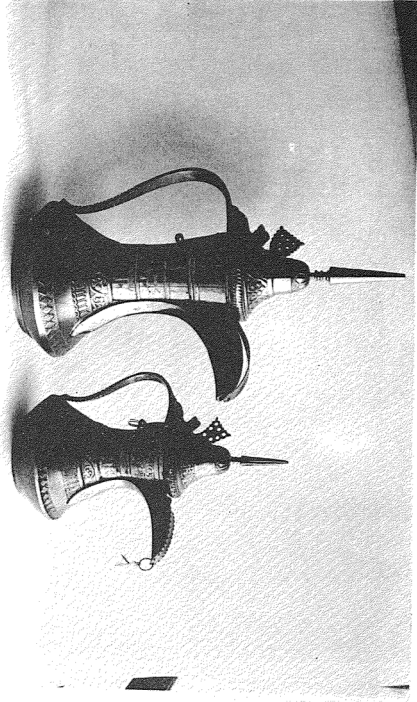


شكل (٢٨) مجموعة أخرى من خواتم الإبهام والأصابع الأخرى والتي تخصص لبعض المناسبات بعضها عليه تلبيسة من العظم وبعضها الآخر عليه نقوش جميلة مختلفة بارزة ومحفورة وهي من صنع مدينة نزوى وعبري



شكل (٢٩) ثلاثة نماذج من اقراط ظفار وهي منطقة الجنوب من عمان ومندامة الظاهرة والقلادة التي على شكل هرم مقلوب يتكون من حبيبات من نقوش الفضة الجميلة المتناسقة

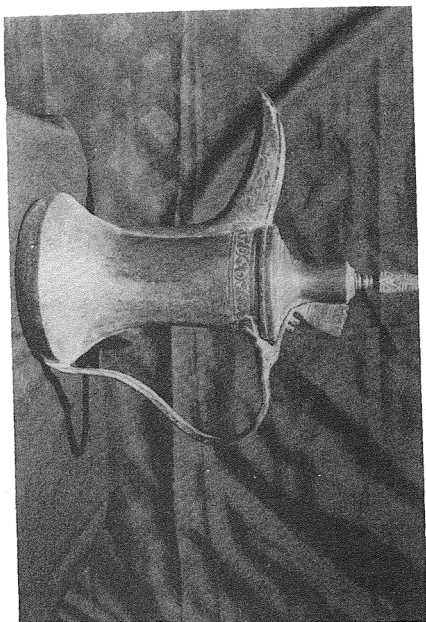
الصناعات المعدنية (الخاصة)



شكل (٤٠) الدلة العمانية وتمتاز بجمال الشكل والنتش وهي ذات شكل مميز
عن باقي الدلال المريضة وهي مصنوعة من النحاس



شكل (٤١) نموذج آخر (للدلة العمانية) مصنوع من النحاس ويعتار بالأشكال الهندسية الجميلة والزخرفة المحفورة والبارزة على جوانبها



شكل (٤٦) نموذج الدلة الصمانية (ابريق القهوة) مصنوع من النحاس ويمتاز
بالجمال والتناسق في الزخرفة

صناعات الجلود

اشتهرت عمان منذ أقدم الأزمنة بتربية الحيوانات وعلى وجه الخصوص الماعز الذي يوجد منه أعداد كبيرة في السهول الساحلية ، والأودية ، والمناطق الجبلية ، والمعروف أن أهل عمان كانوا يصدرون أعدادا هائلة من الماعز الى مختلف الأقطار ، ويربى حاليا هذا الحيوان من أجل الاستفادة من لحمه ولبنه وجلده ، ويفضل الأهالي لحم الماعز عن غيره من اللحوم حيث يدبج في المواسم والأعياد والاحتفالات الدينية ، والاقبال عليه يفوق الاقبال على لحوم الأغنام .

ونظرا لتوفر هذه الحيوانات عرف أهل عمان دباجة الجلود ، والصناعات الجلدية المختلفة .

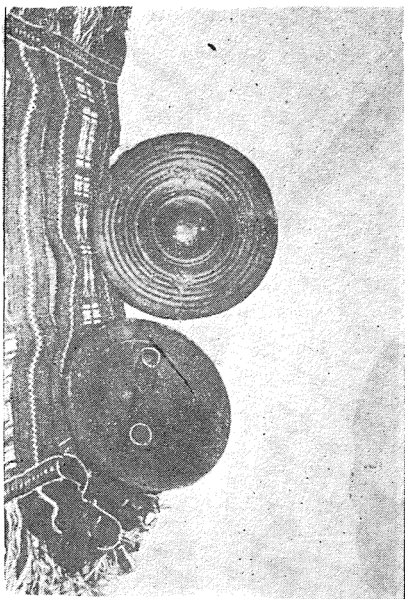
وتمارس عملية دباجة الجلود الآن كما كانت تمارس في الأزمنة القديمة ، وتستخدم غالبا جلود الماعز ، ولكي يتم ذلك يبسط الصانع على السطح الداخلي لهذه الجلود طبقة من الملح ، ويوضع في خرس « خابيه » ويخلط بالتمر « المريس » لمدة ثلاثة أيام ، ثم يمزج بشجر الشخر حيث يبقى لمدة ثلاثة أيام وتعاد العملية مرة أخرى بوضع الملح عليه وخلطه بالتمر لمدة ثلاثة أيام ثم يغمس بالملح والقرط وتسمى هذه العملية الأخيرة عند الصانع بالدباجة ويترك الجلد المدبوغ بعد ذلك لمدة يوم واحد لكي يجف ويصبح صالحا للاستعمال .

ولا ريب أن هذه الجلود تستخدم بعد تجهيزها في مختلف الصناعات الجلدية التي يحتاج إليها السكان في حياتهم المعيشية مثل صناعة الأحذية والقرب لحفظ الماء والأوعية لحفظ التمر ، والنقود ومثل صناعة

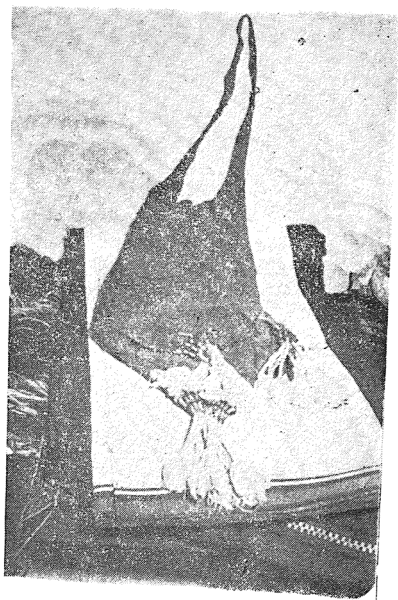
الأحزمة ، وقطاعه للسيوف والخناجر ، وفي بعض الأحيان في صناعة النسيج كما هو الحال بالنسبة للعقال العماني « كمال » الذي يستخدم في رباط الرأس وحفظ التعاويذ أو أربطة للحيوانات ، وفي العلاج الشعبي تربط بعض أجزاء جسم الإنسان عند شعوره بالألم وإذا كان جلد الماعز يستخدم في أغلب الصناعات الجلدية فإن جلد البقر يستخدم في صناعة الأحذية العمانية اذ يعتبر أكثر متانة كما أنه يسمح بتسرب الماء كما لو كان من الإسفنج ، وهو عيب يُنظر إليه في أوروبا حيث هطول الأمطار بشكل مستمر ، ويعتبر جلد البقر هو أنسب الجلود لصناعة الأحذية العمانية لانه يتناسب مع الأرض المنبسطة والرملية الخالية من الأحجار . وتتصف المصانع الجلدية العمانية بالبساطة ، فهناك موضعان للعمل الأول لدباغة الجلود والثاني للصناعة . ولا شك أن هذه الصناعات كانت في الماضي أكثر ازدهارا وانتشارا ولكن الصناعات الحديثة أخذت في العصر الحاضر تؤثر عليها وتقلل من حركتها وفيما يلي بعض مناظر لأدوات صناعة الجلود ولبعض الأدوات المصنوعة من الجلد



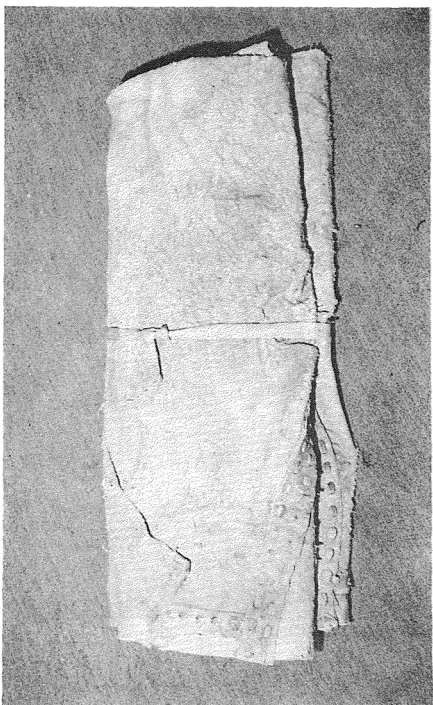
شكل (١) هيمن (كيس للنقود) مصنوع من الجلد
ويستعمله البدو



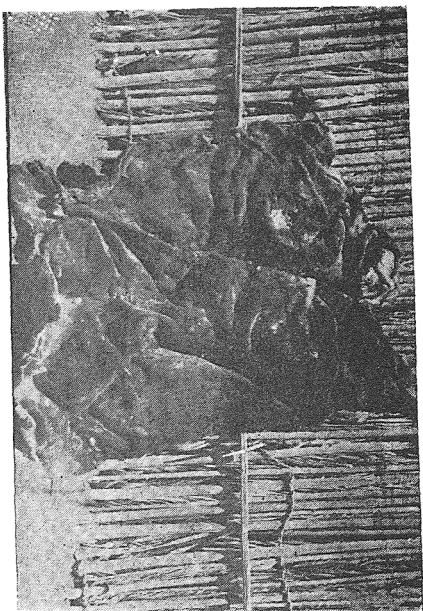
شكل (٢) الترس وهو أداة هامة مع السفينة لتلقي شربات الخصم
إثناء المبارزة وهو مصنوع من نوع خاص من الجلود



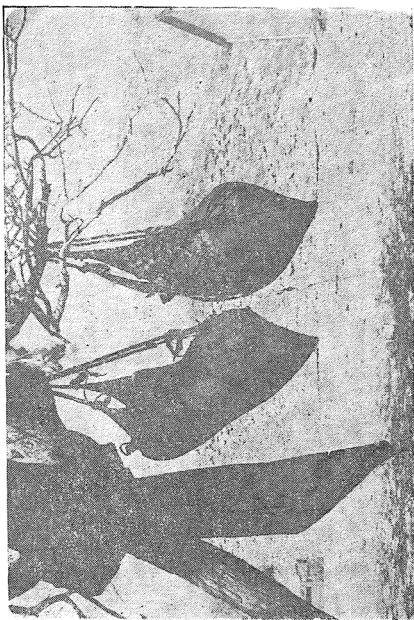
شكل (٣) هبان مصنوع من جلد الماعز
ويستعمل لحفظ التهور (البلح)



شكل (٤) حشية مصنوعة من الجلد وتستعمل لوضعها على ظهر الجبال
والحجر وتشد بشرائط جلدية

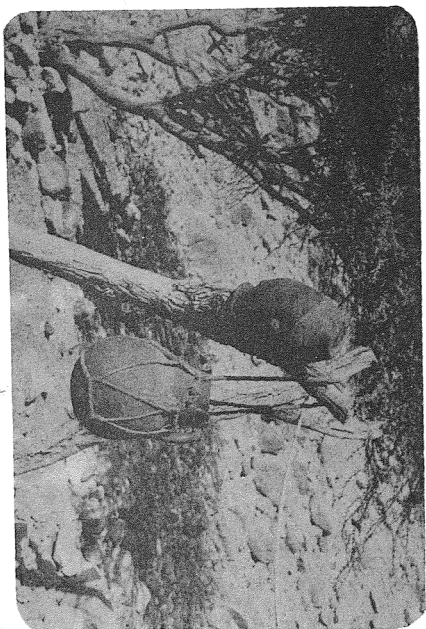


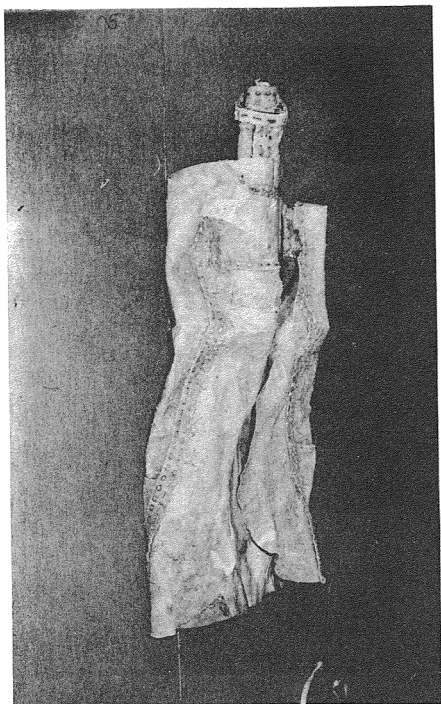
شكل (٥) بعض أنواع من الجلود تعلق في الهواء الطلق بعد دباغتها الجفيف
توطئة للتصنيع



شكل (٦) قريتان ملوئتان بالساء وهي مصنوعة من جلود الماعز

شكل (٧) قرية جلدية مصنوعة من جلود الحيوانات

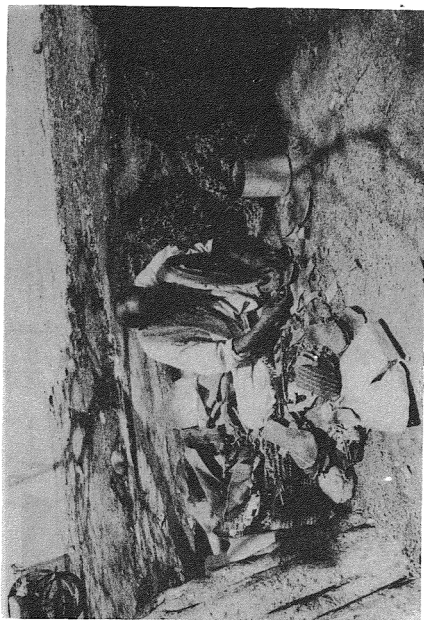




شكل (٨) قطعة من الجلد بعد دباغتها وقد أصبحت جاهزة للاستعمال



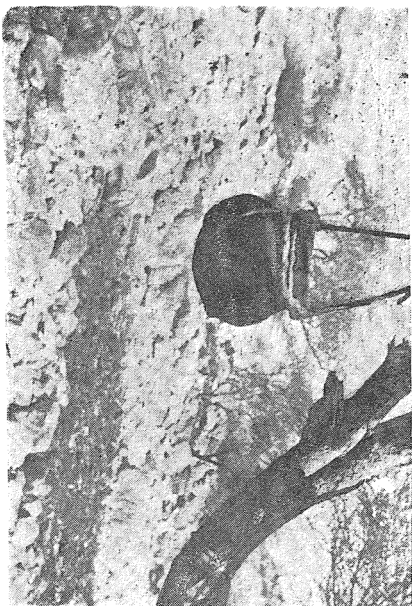
شكل (٩) تجفيف الجلود بعد الذبح



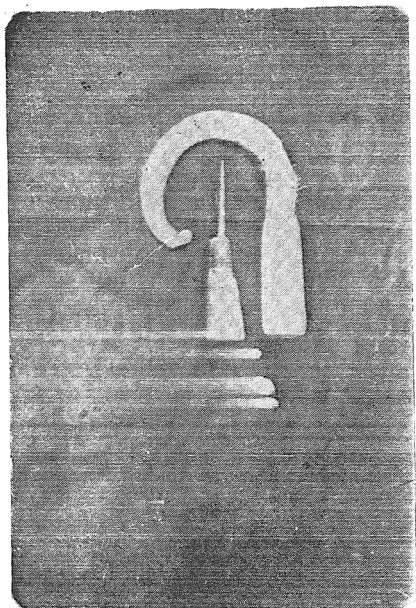
شكل (١٠) بعض الأنواع من الأحذية الصنادل
المصنوعة من الجلد

شكل (١١) نزع الساء من الأجر

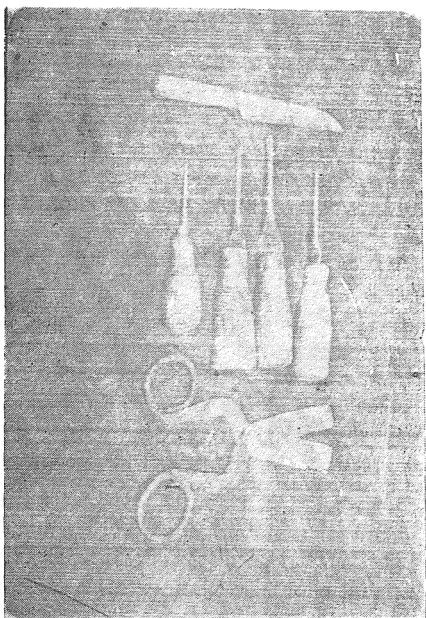




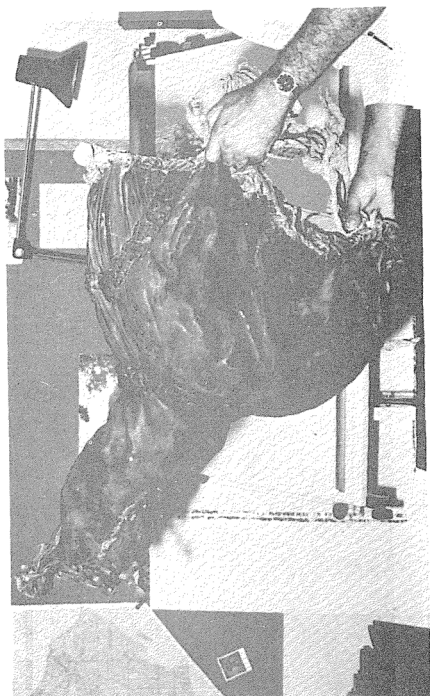
شسكل (١٢) تستعمل الجلود في بعض الأحيان كثرية أو وعاء لحفظ الماء



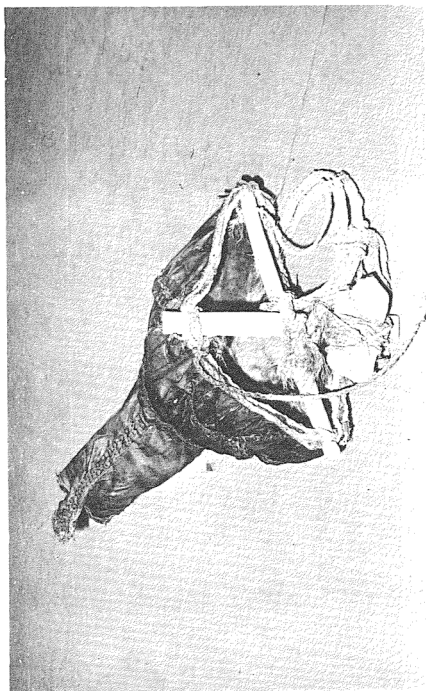
شكل (١٣) بعض الأدوات المنزوعة من الجلود



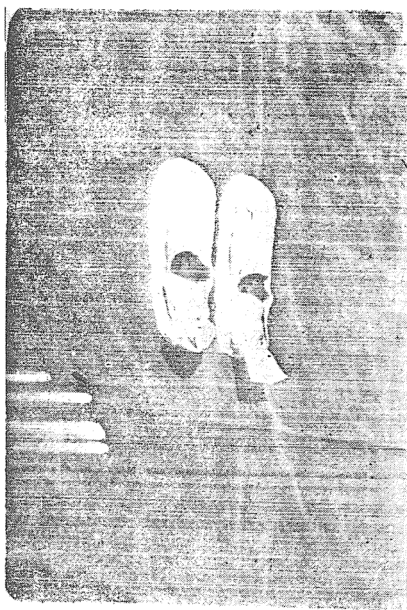
شكل (١٤) نماذج مختلفة مصفوعة مقابلها من بعض الجلود مختلفة الأنواع



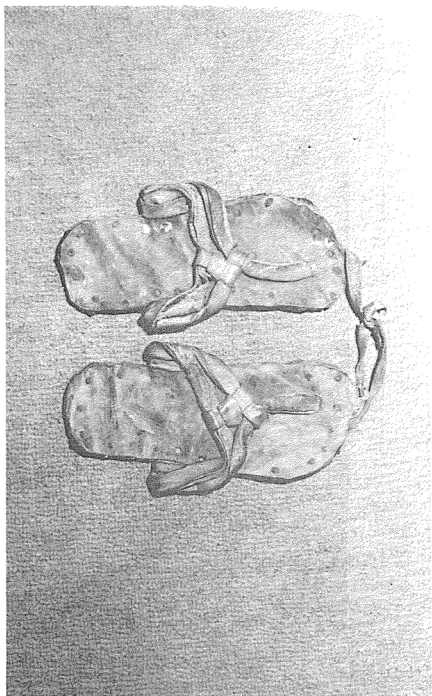
شكل (١٥) دلو خاص لجذب الميساه من القنوات والابر



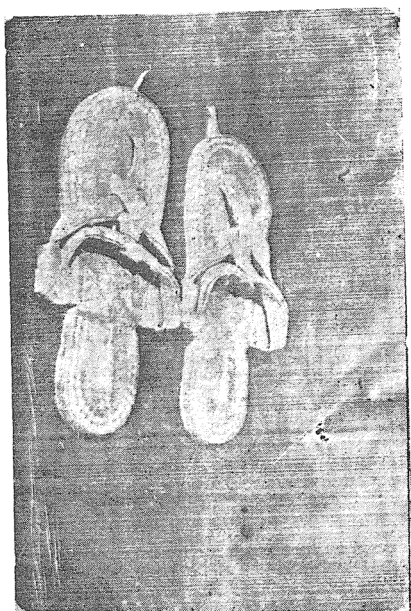
شكل (١٦) دلو آخر على شكل قرية لجانب الماء من الأبار



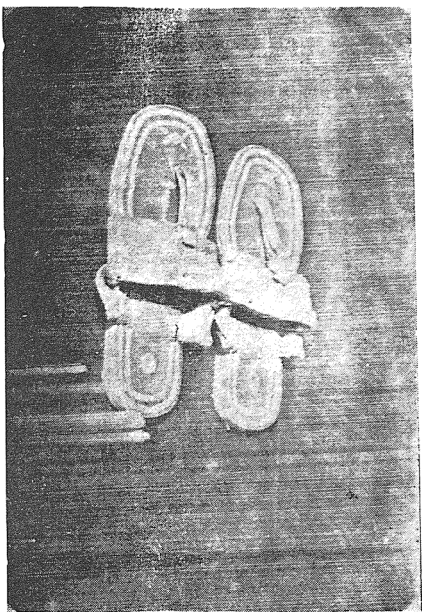
شكل (١٧) وطنية أطفال (زويول) أو حذاء مصنوع من الجلد



شكل (١٨) ودية قشيرة وهي على شكل صندل مصنوع من الجلد

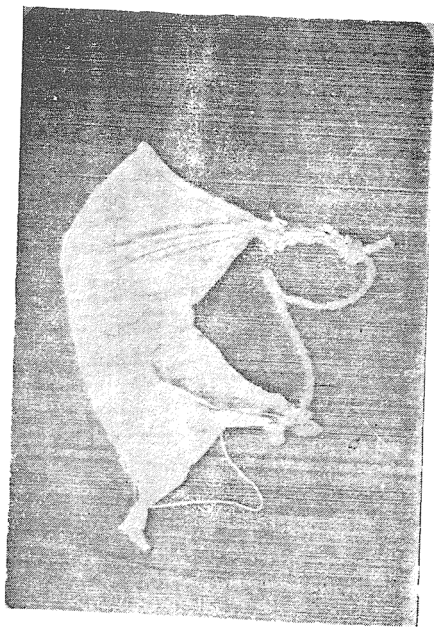


شكل (١٩) وحشية مطروقة من الجند

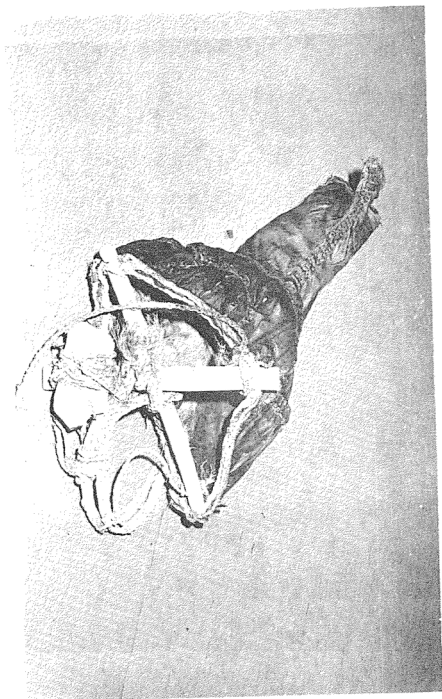


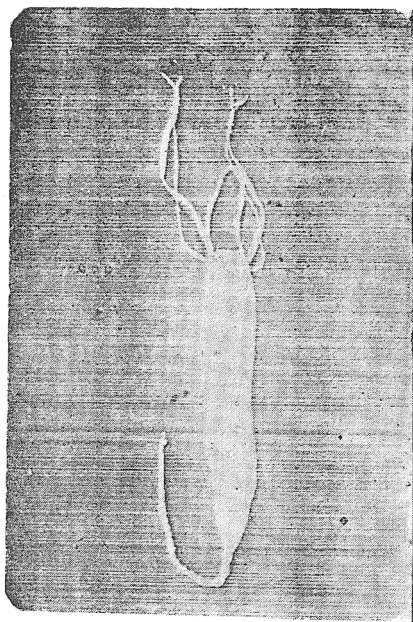
شكل (٢٠) وطية زنجارية مصنوعة من الجلد

مكمل (٢١) قرية ملاء من الجبل

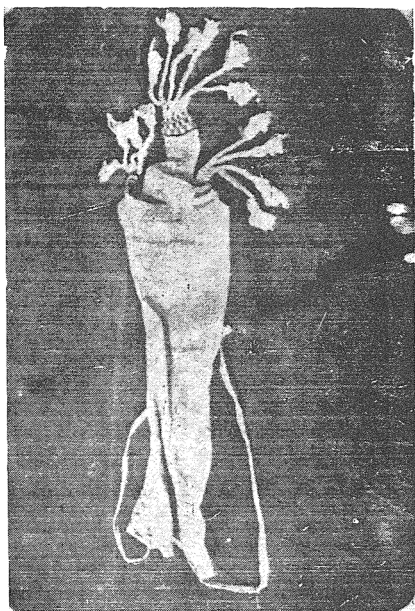


شکل (٢٢) دلو زجر





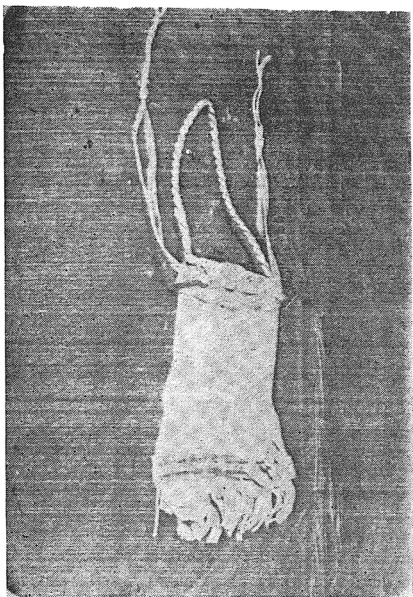
شكل (٢٣) هبان للتورد مصنوع من الجاد



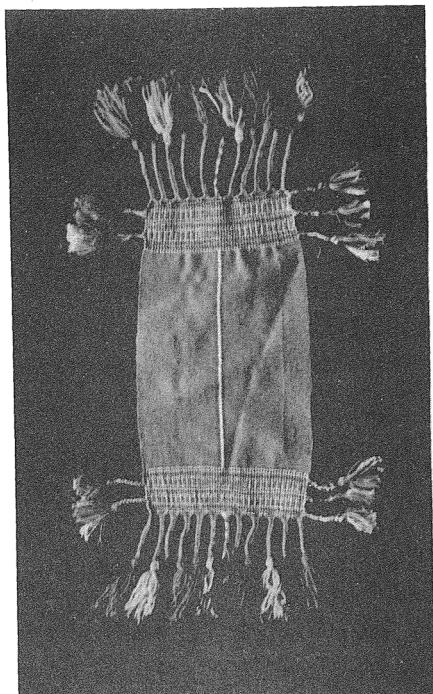
شکل (٢٤) هبان ثمر مصنوع من الجلد



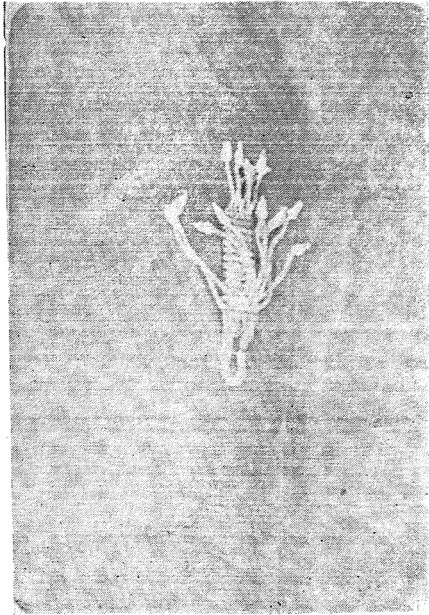
شكل (٢٥) منتج مصنوع من الجلد



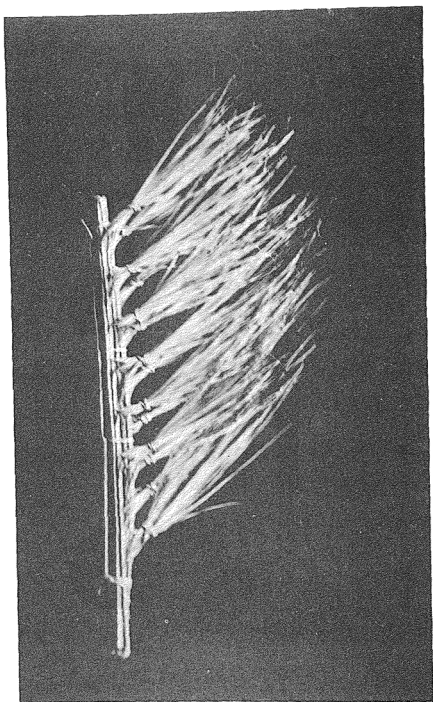
شكل (٢١) هيبان لوضع الثمر من الجلد



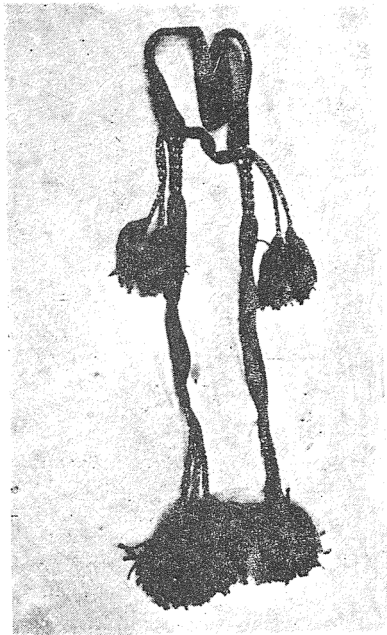
شكل (٢٧) محفظة نقود مزينة بأشرطة جلدية



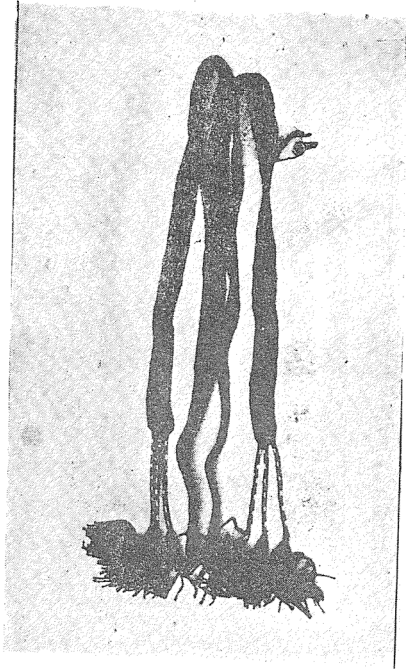
شكل (٧٨) محفظة نتود اخرى مزينة باشرطة جلدية



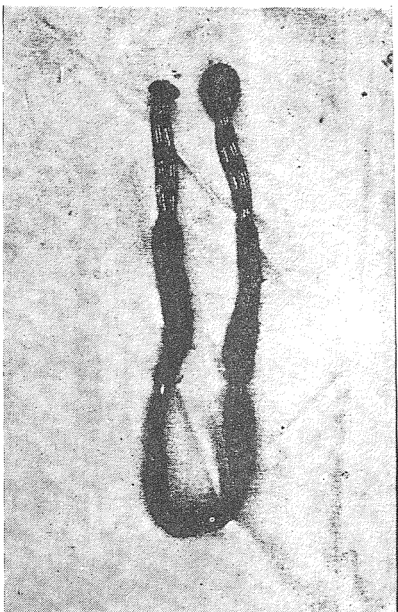
شمسكل (٢٩) خضام للجبل والجيل والحمير



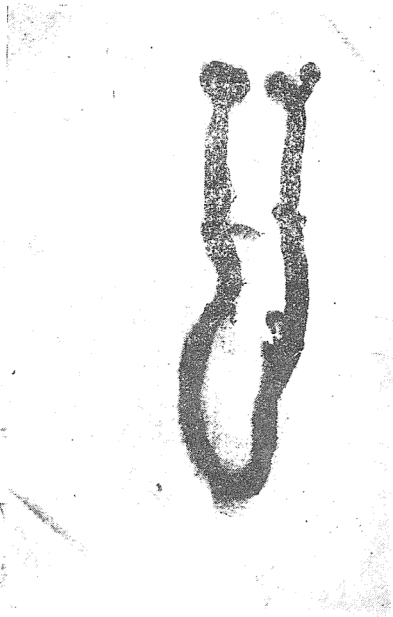
شکل (٣٠) صدار للجمل توضع على صدره وظهوره حيث تتدلى أفرانها كرينة



شكل (٣١) محتبة وتستعمل لربط الاعتقة على ظهور الجبال والحجر



شكل (٣٢) ثلاثة جمال تربط حول المعق وتتصل بالخطام من الأسفل



شكل (٢٣) نموذج آخر لثلاثة الجمال متنوعة من الخيوط الجائدية ويربط
حول العنق ويتصل بالخطام من الأسفل

صناعات الحصر والسِّدال

كانت عمان في الماضي مركزاً هاماً لصناعة الحصر فكبّار السن في البلاد يذكرون أن في لوى وحدها كان يوجد هناك أربعون مصنعا وفي الحارة الشرقية بفنجا خمسة مصانع وفي الفليج سبعة مصانع وقد اندثرت هذه الصناعة في قرية الغبيرة المجاورة للفليج ويبلغ انتاج الكارجة الواحدة (النول) عشرة حصر في الشهر يقوم بانتاجها صانعان ، وقد بذلت وزارة التراث القومي جهودا كبيرة لاهياء هذه الصناعات التي كادت أن تنقرض وقد تمكنت من اعادة مجموعة من الصناع الى أعمالهم السابقة وذلك بشراء انتاجهم الشهري بالاتفاق مع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لفرشها في المساجد والمدارس الدينية بدلا من حصر النايلون التي غزت الأسواق المحلية بشكل كبير مما أوشك أن يصيب الصناعات التقليدية بأضرار جسيمة .

وتعتبر صناعة الحصر من الحرف اليدوية المحببة والشائعة في عمان حيث لا تزال تمارس في مناطق عديدة من البلاد مثل فنجا ولوى والفليج وغيرها من القرى ، ويتعلم الصناع حرفة الحصر عن طريق الآباء والأجداد وعلى أيد محترفة تتقن المهنة جيدا فقد ذكر لنا صناع فنجا بأنهم ورثوا هذه الصناعات كإبر عن كابر .

وتتم عملية صناعة الحصر في أماكن خاصة تعرف باسم الكارجة ولا شك أن هذا الاسم يطلق أيضا على النول اليدوي وتقع الكارجة بفنجا في أماكن منفصلة عن المسكن أما في لوى والفليج فتكون ملتصقة به وأحيانا بداخله .

ويستخدم العمانيون الحصر لفرش أرضية غرف بيوتهم ، وهم يضمنون نوعا منها مزخرقا يفرشون به السرر وحيطان المنازل ، وأرضية المساجد •

ويصنع الحصر من عيدان الرسل ، وخيوط القطن بعد غزله اما الرسل فيجلبه أهل فنجا من النظرية بوادي حطاط ويجلبه صناع لوى من وادي الروضة بصحم في حين يجلبه صناع الفليج من سيح الخابسة بشرق أدم ، والرسل من النباتات البرية وهو يكثر عادة في الأودية ويعمر طويلا ، ويقطع كل أربعة أشهر ، وبعد قطعه يتم تنقيته وفصله من النباتات الأخرى ويجفف في الشمس لمدة خمسة أيام ويجمع بعدها في حزم حسب طوله أو قصره ، وفي المصنع يندى بالماء •

وفي فنجا والفليج يدق بمطرقة خشبية (ملكد) لتليينه اما في لوى فلا يدق ولكن تزال أطرافه الشوكية ويربط بعد ذلك في حزم حيث يكون جاهزا للصناعة •

وعلى النول اليدوي « الكارجة » في فنجا والفليج تسدى خيوط الغزل حيث يستخدم غزل أبو عشرين بدلا من أبي ثلاثين • اذ يعتبر الأول أكثر متانة من الثاني والأخير يستخدم في صناعة الوزر والشواذر وغيرها من المنسوجات القطنية العمانية •

ويستخدم صناع لوى حبال الغطف بدلا من خيوط الغزل ، والكارجة هنا تسمى مستاه وتتم صناعة الحصر بادخال عيدان الرسل بين خيوط غزل القطن ، أو الغطف ، ويحتاج في كل مرة الى عودين عرضا ، وفي بعض الأحيان الى ثلاثة أعواد ثم تطرق هذه بواسطة المرفاع في فنجا ولوى اما في الفليج فتستخدم زورة تفريخ حتى الانتهاء من صناعة الحصر وفي النهاية يقوم الصانع بايلاج حبال الغطف بابره

حديدية في أطراف الحصير بقصد تثبيته وتسمى هذه العملية في لوى الخطية ، وبعدها يقوم الصانع بقطع أطراف الحصير بسكين لتسويته وجعله صالحا للاستعمال وقبل بيع الحصير يعرض لأشعة الشمس لتجفيفه اذا كان الفصل شتاءا أما في فصل الصيف فلا يحتاج الى تجفيف •

وفيما يلي بعض مناظر لعيدان الرسل الذى يصنع منه الحصير ثم لبعض الأدوات منه •

صناعات من سَعف النخيل

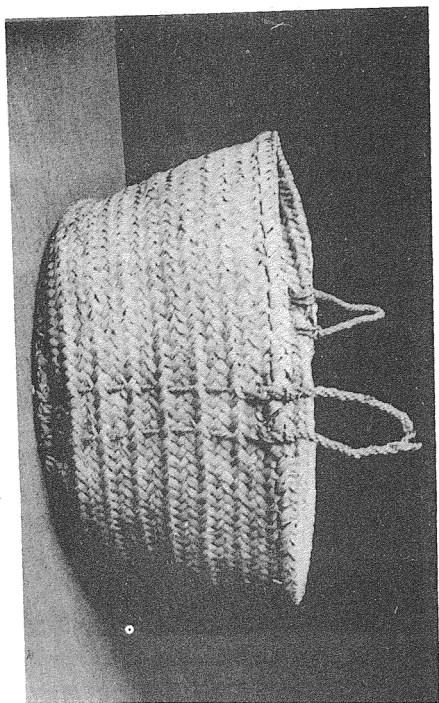
لزراعة نخيل التمر في عمان أهمية كبيرة فقد كانت حتى عهد قريب المحصول الأساسي الذي يقوم عليه النشاط السكاني . فهي مصدر بالغ الأهمية حيث تعطى بوفرة بالغلة ثمارا حلوة المذاق يتخذ منها السكان طعامهم الرئيسي ومن مجموع ١٠٠٠٠٠٠ غدان المزروعة في البلاد تشمل مساحات زراعة النخيل حوالي ٥٥٠٠٠ غدان يزرع عليها حوالي مليوني نخلة وتوجد هناك أصناف عديدة من التمر العماني تقدر بـ ٩٣ صنفا ولا ريب أن أغلب الانتاج يستخدم داخل البلاد ويصدر جزء منه الى الخارج بعد تجفيفه في أغلب الأحيان .

والى جانب محصول التمر تقوم على شجرة النخلة صناعات سعفية عديدة فمن السعف أو الأوراق الصغيرة التي توجد بطول جانبي الأغصان تصنع أشرطة مختلفة العرض والطول تحاط بعد ذلك لتصنع منها الظروف والزبلان والسميم . وهي تحاط بمهارة وسرعة بواسطة حبال رفيعة صنعت من ليف النخيل وتستخدم بعض الأواني السعفية لنقل المواد الغذائية وعلى وجه الخصوص التمر . أما جذع النخلة فتصنع منه الأخشاب لبناء المنازل الطينية . ومن العذق تصنع المناسف والمناغظ والمشاكل . اما الزور « الجريدة » فتصنع منه المباخر واقفاص للطيور والدوابي لصيد الأسماك في حين يحرق الكرب مع المحار لصناعة الهك الذي تظلى به شباك الصيد بالاضافة الى استخدامه كإشارات للميادين .

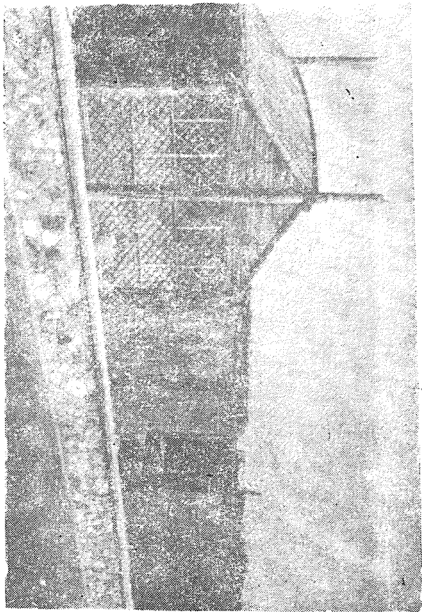
ومع بداية الصيف يتم قطع السعف من النخيل لاستخدامه في الصناعات السعفية والعذوق بعد الجداد . ويفضل الأهالي بعض أنواع

السعف مثل أطبلى والفرض لأنه أنعم وأدق للصناعات السعفية وقبل الصناعة يترك الخوص في الماء لمدة نصف ساعة لتلينه وفي حالة تركه لمدة أطول يصبح لونه اسود غير صالح للاستعمال ويفضل عادة الخوص الأخضر للصناعة • ويستخدم أيضا الخوص اليابس وعلى وجه الخصوص في صناعة ظروف التمر • وتستخدم أيضا الصناعات السعفية لغرض أرضية المنازل وفي الحياة اليومية للأسرة العمانية فهي تعتبر من اللوازم الأساسية للبيت العماني في الريف ، وعلى الرغم من عدم اقبال الأهالي كالسابق على هذه الصناعات غير أنه بدأ في الأونة الأخيرة الاهتمام باحياء الصناعات السعفية بتشجيعها واعادتها الى سابق ازدهارها •

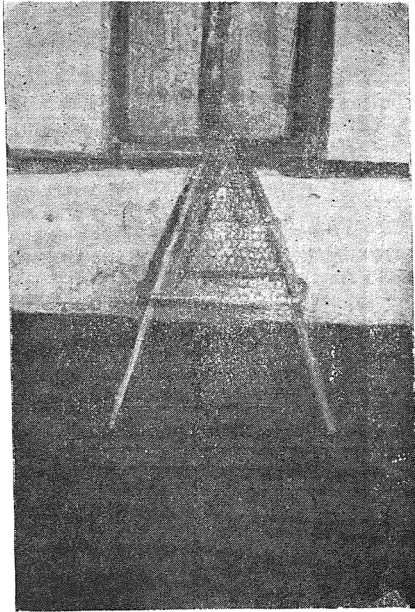
وفيما يلي صور بعض الأدوات السعفية



شكل (١) السلة أو الزيل وهو مصنوع من سعف النخيل



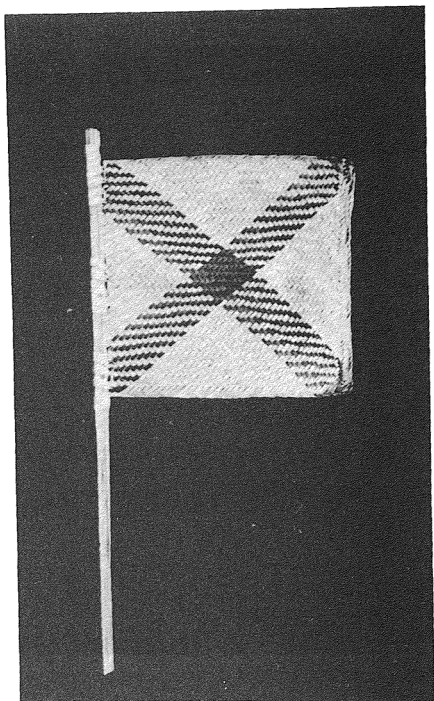
شكل (٢) بيت الكرجين مصنوع كله من النخل وهو شديد التهوية ولا يدخل في صناعته أى مواد غير النخل وهو موجود بالأناطق الداخلية من عمان ويمتاز بالشكل الزخرفى الجميل .



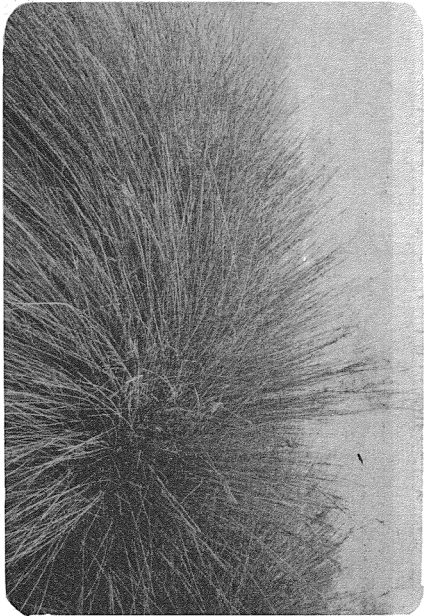
شكل (٣) المبخرة وتستخدم لتعلق عليها الملابس
لتبخيرها وهي مصنوعة من سعف النخيل



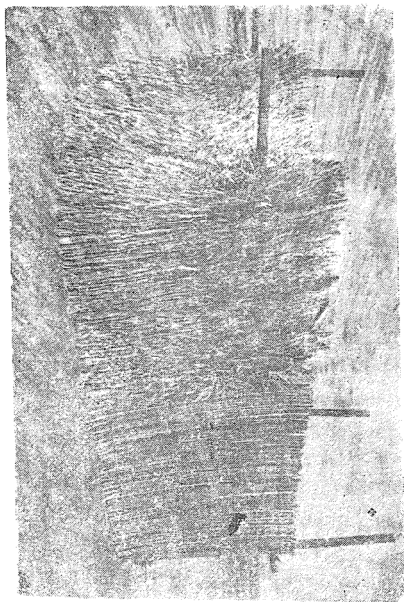
شكل (٤) حقيبة مبتكرة لحفظ الأغراض مصنوعة من سعف النخيل



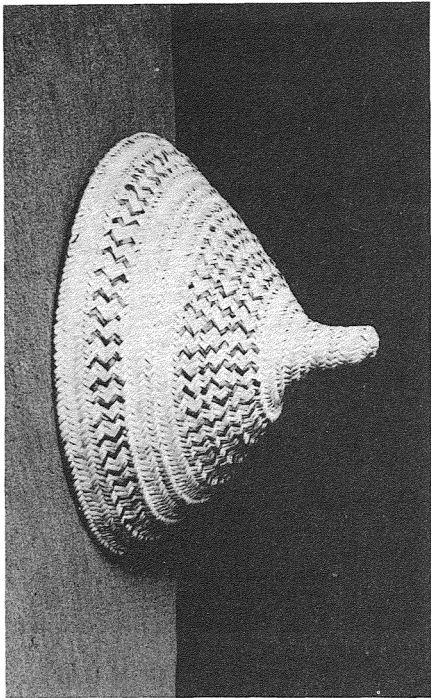
شكل (٥) المشاب (المرواح) مصنوعة من سقف النخيل



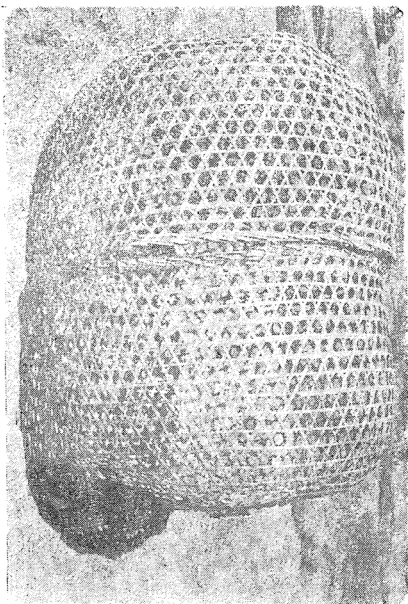
شكل (٦) شجر الاسل



شكل (٧) منازل مصنوعة من سعف النخيل



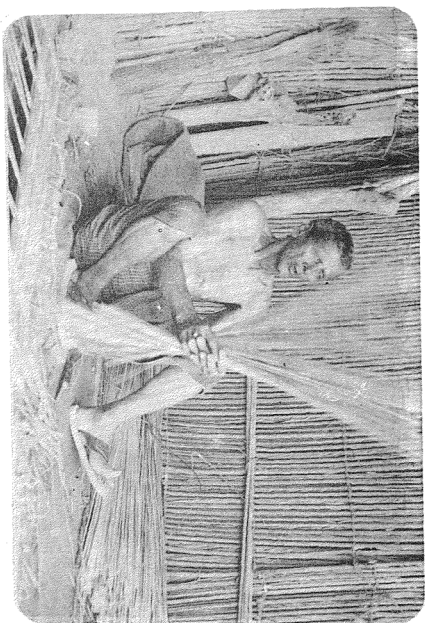
شکل (٨) فرّج شت يستخدم لتغطية الطعام



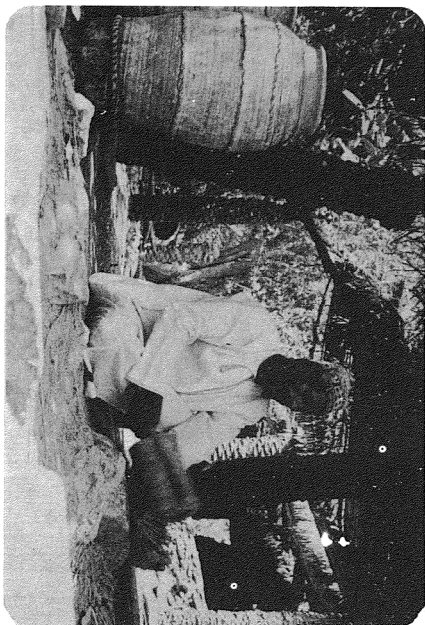
شكل (٩) شباك للميد من سف النخيل



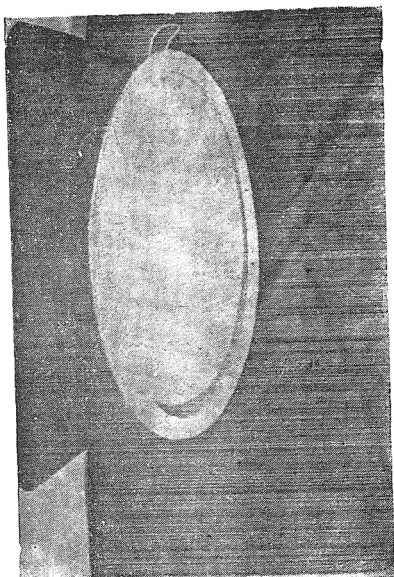
شكل (١٠) صناعة الحمير



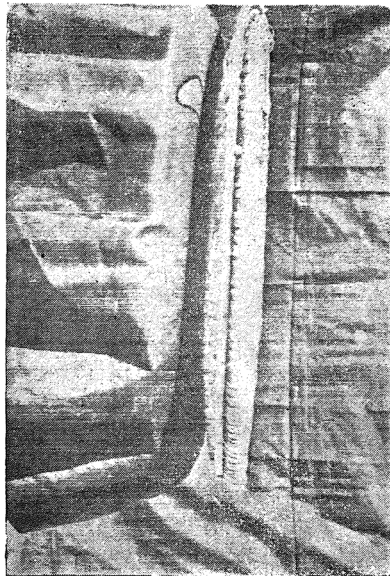
شكل (١١) نموذج آخر لصناعة الحرير



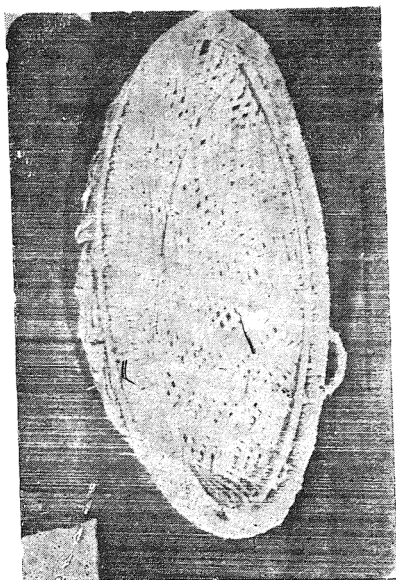
مسك (١٢) طين (الرسل) القش قبل صناعة الحر



شكل (١٣) منسف للبر والأرز من سفف النخيل



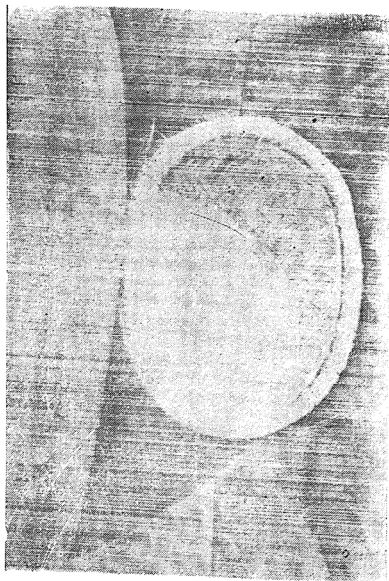
شكل (١٤) منسف آخر للبر والأرز



شكل (١٥) منقط مصنوع من سعف النخيل للرطب (البليح)



شكل (١٦) منقطة آخر من سقف النخيل بوضع فيه الرطب (البليح)

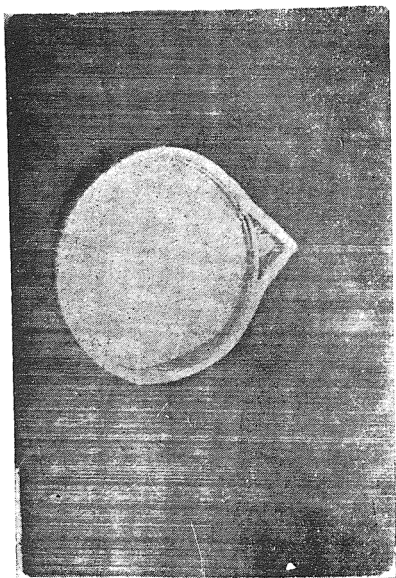


شكل (١٧) بيت مصنوع من سعف النخيل وتستخدمه النسوة لغطاء الملابس



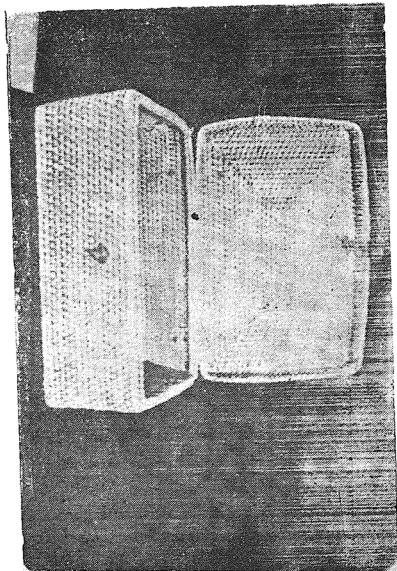
شكل (٨١) نموذج آخر لسبت تستخدمه النسوة في خياطة الملابس

شكل (١٩) مشغل (منزل) لتتقية الطحين من الشوائب

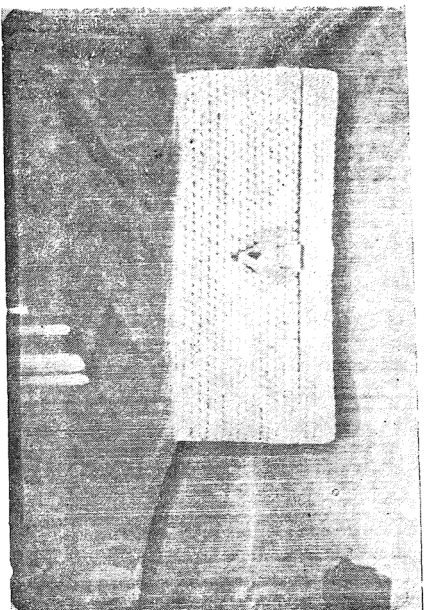




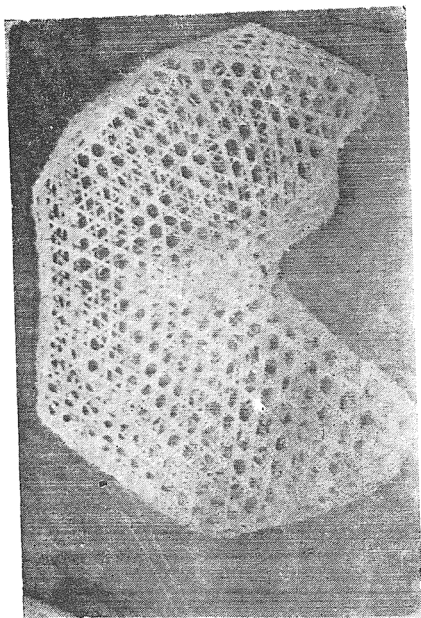
شكل (٢٠) نموذج آخر للشكل (منخل) لتفقية الطحين والجنوب من الشوائب
مستوع من المسقف



شكل (٢١) صندوق مصنوع من سنف النخيل لحفظ الملابس النسائية



شكل (٢٢) صندوق آخس يدل على الدقة والمهارة في الصنع
لحفط الالابس النسيجية



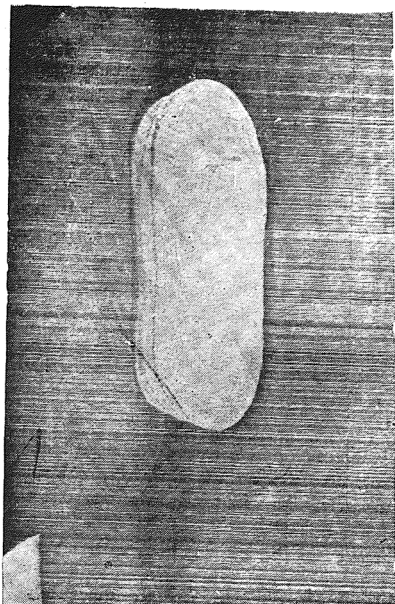
شکل (٢٣) دوبيية او قرقور لميد السمك



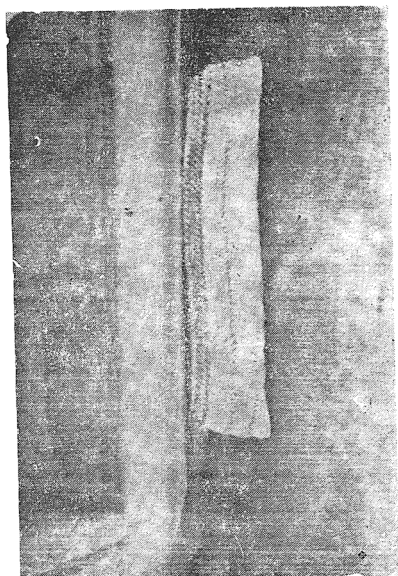
شکل (۲۴) زیل



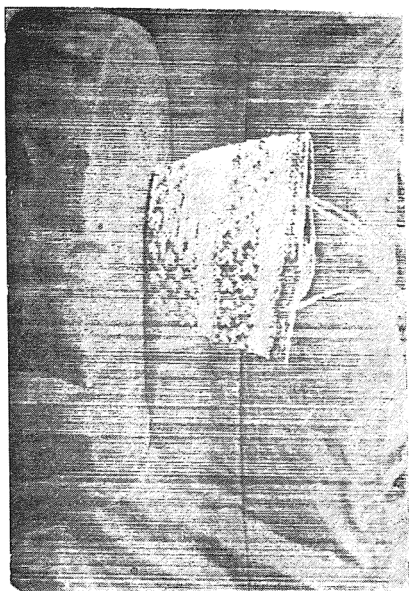
شكل (٢٥) نموذج آخر للزبدل مصنوع من سنف النخل



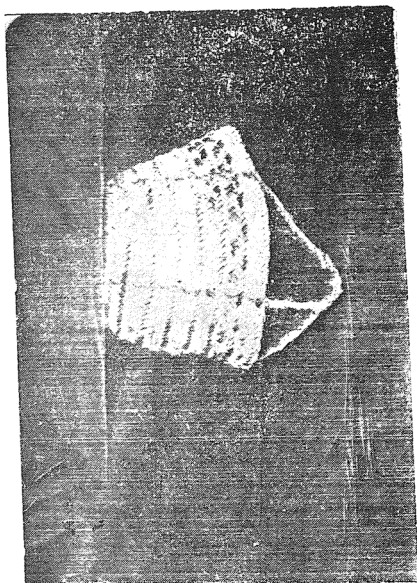
شكل (٢٦) مرباع أو (صينية) من السفف لتقديم القهوة



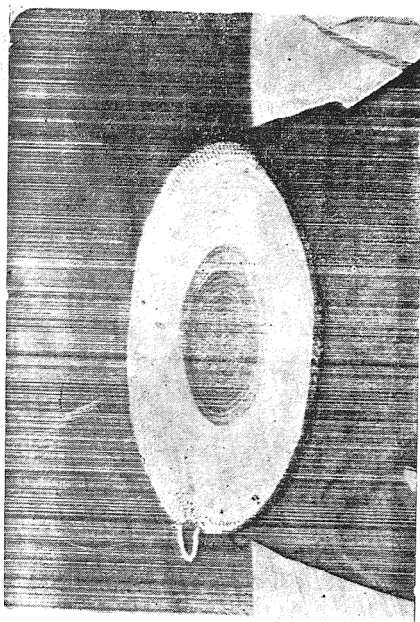
شكل (٢٧) نموذج آخر لمرباع (صينية) لتقديم القهوة



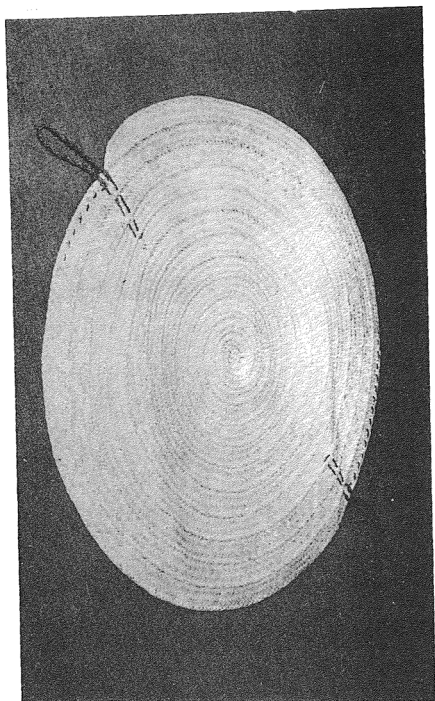
مسك (٢٨) مغزاة رطب



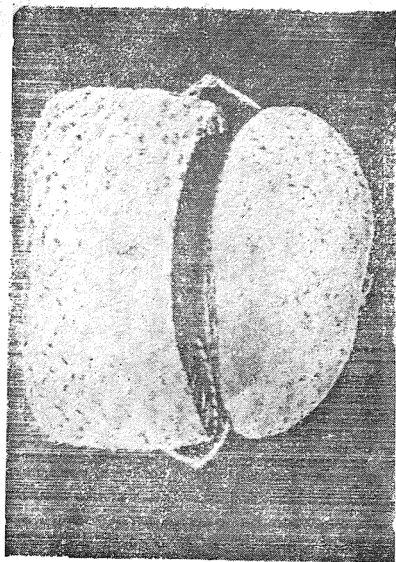
شكل (٢٩) مخراطة رطب



شكل (٣٠) مزاف او (موش) لقرشه عند تناول الطعام

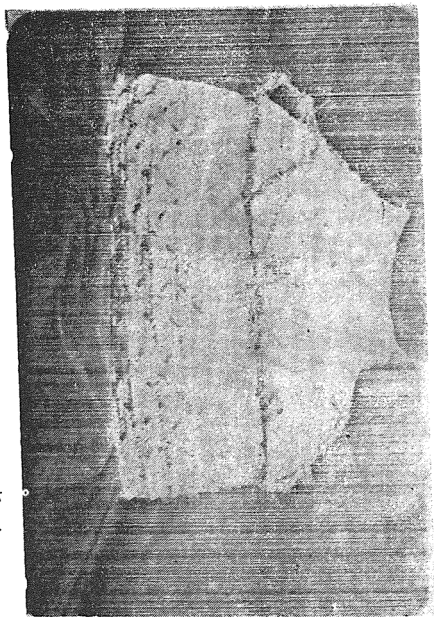


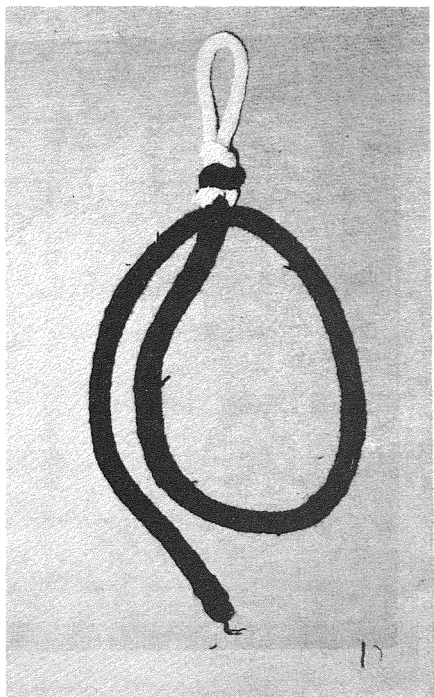
شسکل (٣١) نمونه آخر الحراف (مغزش) لفرشه عند تناول الطعام



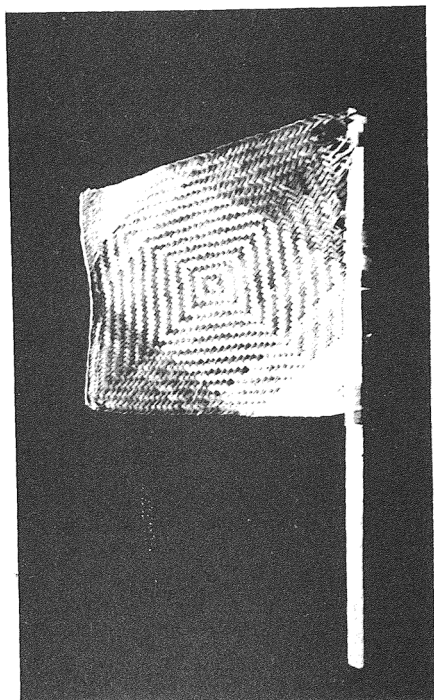
شكل (٢٢) مبراع ويستخدّم لحفظ أدوات صناعة السمف

شكل (٣٣) نموذج آخر لمرباع لحفظ أدوات صناعة السفن

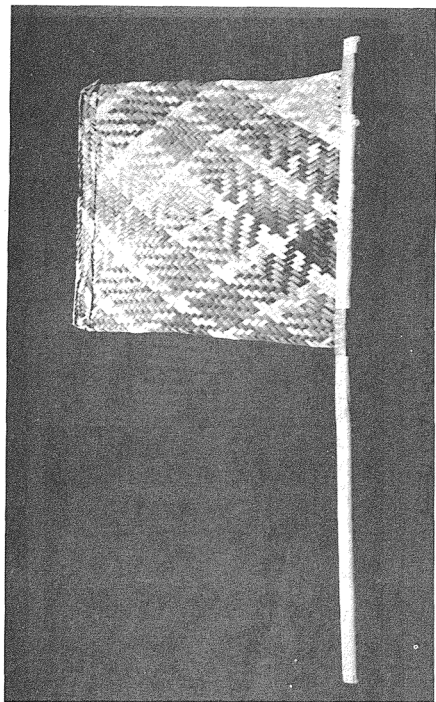




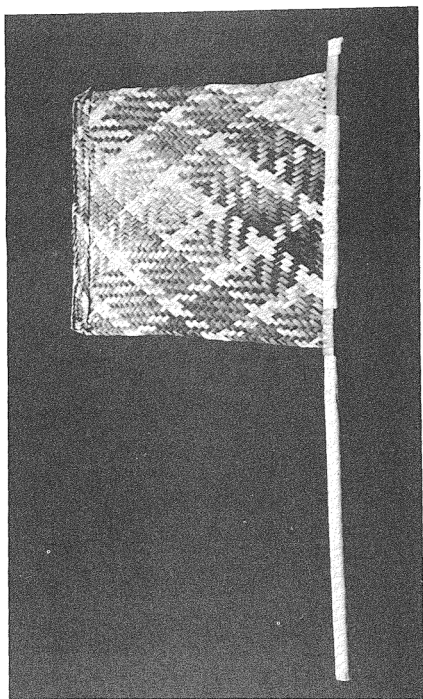
شكل (٣٤) مكسمة أو مخمة أو مجمعة لتنظيف المنزل من سقف الخيل



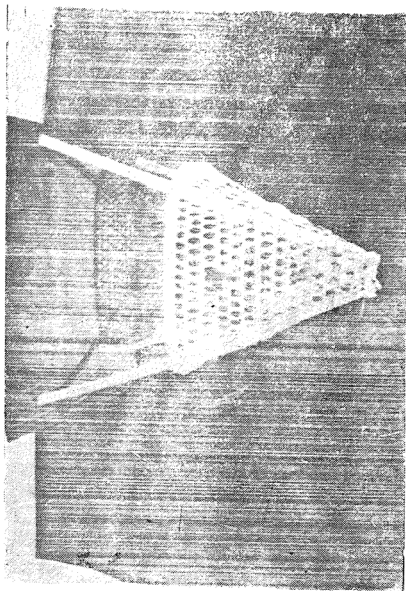
شكل (٣٥) مروحة من سقف النخيل



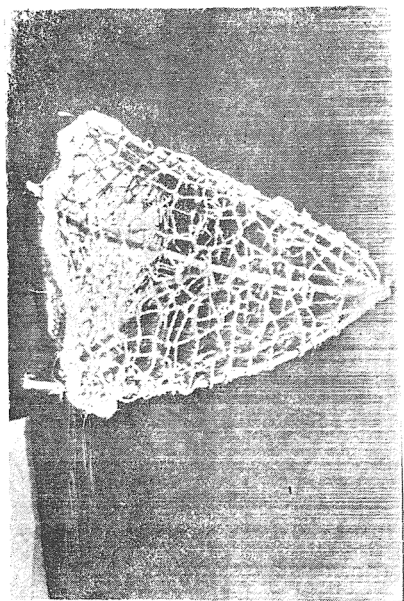
شكل (٣٦) نموذج جيل لمروحة من السفن



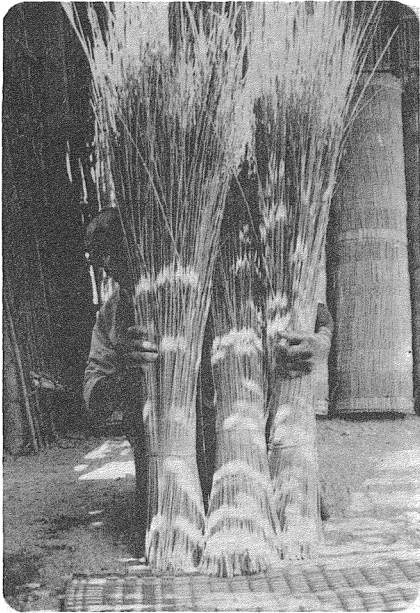
شكل (٣٧) نموذج آخر لمروحة أو مشاب ويظهر فيه الوحدات الزخرفية
الجبيلة ودقة الصنع



شسكل (٧٨) نموذج جيل لمخزة من السف



شكل (٢٨) فيج مصنوع من السنبط لصيد الطيور

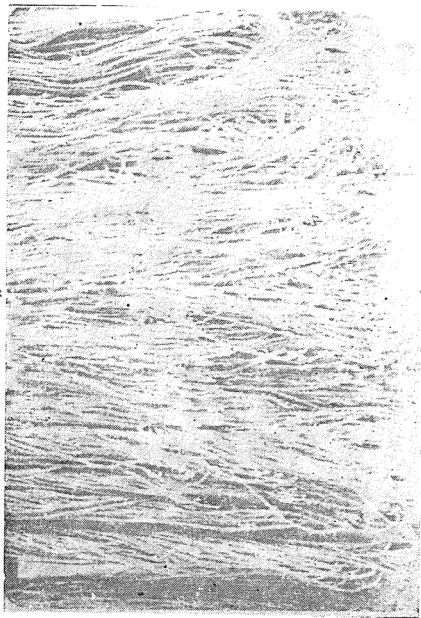


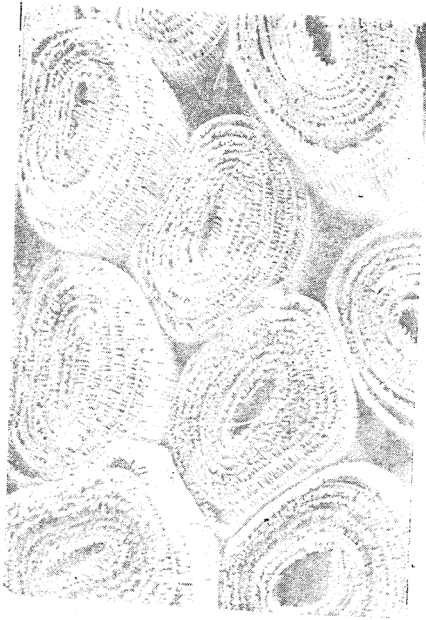
شكل (٤٠) رسل من وادى الروضة مصمم كما
يجلس صناع لوى الرسل أيضا من وادى الملح بشناص
ويسمى الرسل هنا أسل وهو أكثر جودة من رسل
المنظرية فى حطاط



شكل (٤١) في فنجاء و الفليج يستخدم غزل القطن

شمس (٩٧) في أري تستخدم جبال النبال في صناعة القبول و المنسج

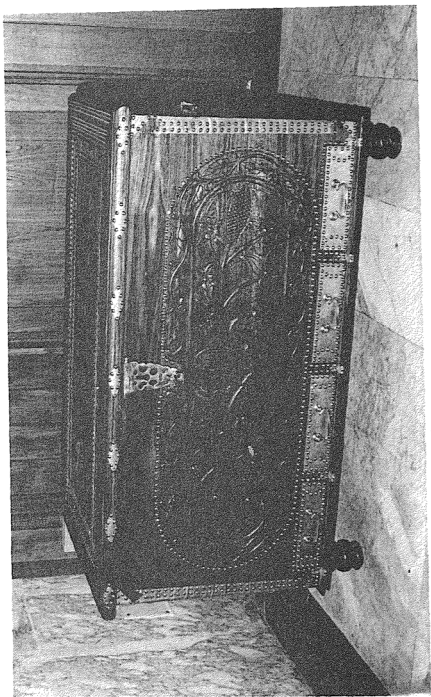




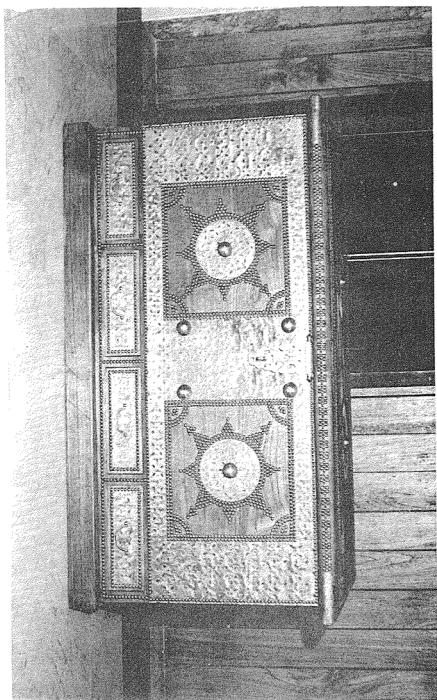
شكل (٤٣) أنواع من الحمير

مسك (٣٣) انواع اخرى من الصمير

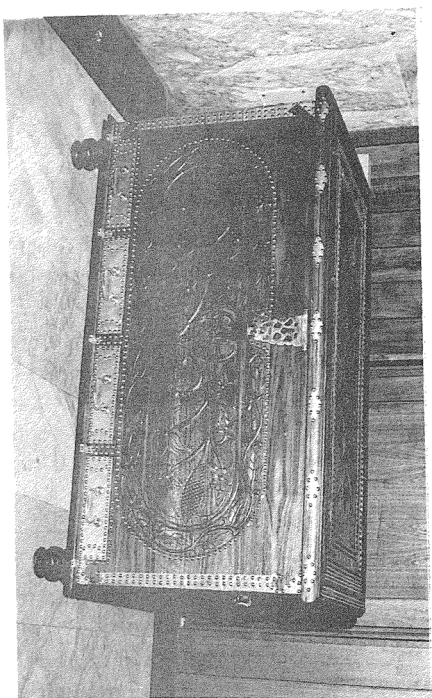




شكل (٤٥) خزائن ومصنوع من الخشب ويتفح فيه النيران البديع والقيمة
في الصناعة



شكل (٤٦) صندوق آخر من الخمسة مزخرف بزخارف جميلة ونقوش بدئية



شكل (٤٧) صندوق (مخفي) جميل لحفظ الملابس والأشياء الثمينة مصنوع
من أجود أنواع الخشب وتظهر فيه النقوش البارزة والمخورة في تناقض
هندسي بديع وحقبة في الصنع

صناعة الفخار

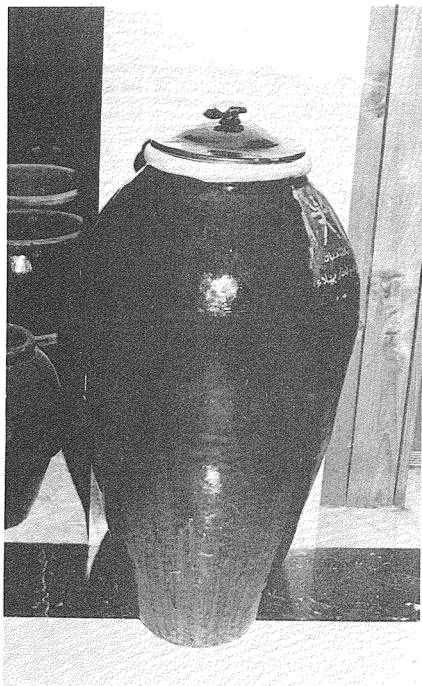
مقدمة تاريخية

تعتبر صناعة الفخار من الحرف التقليدية التي اهتم بها الفخاريون منذ القدم وقد ساعدتهم على ذلك توفر عجينة المدر التي امتازت بزوايا بلادهم التي تصلح بنوع خاص لصناعة الأواني الفخارية كما لاحظنا ذلك في بهلا . ويذكر الأهالي في هذه القرية بأن صناعة الفخار انحدرت اليهم عن طريق النورثة فهناك سهولة طبيعية بأن يتعلم الابن حرفة والده ثم يعلمها بدوره لأبنائه حيث انتقلت الحرفة عن طريق أفراد الأسرة على مدى الأجيال ، ولاغرو فقد كانت لعمان شهرة واسعة منذ أقدم العصور حيث تحدثنا عن التنقيبات الأثرية التي أجريت في كل من بات ، والعرجا ، ووادي سمد بأن صناعة الفخار كانت منتشرة في عمان خلال الألف الرابعة قبل الميلاد وتعتبر مخلفاته الأثرية تفوق غيرها من أى مادة أثرية أخرى مكتشفة في البلاد وقد استخدم الفخار خلال تلك الحقبة التاريخية البعيدة في الطقوس الدينية القديمة لتقديم القرابين من الطعام والشراب ووضع في القبور . وقد أيدت الدراسات الأثرية العمانية بأن الفخار المكتشف يعود الى فترة الحضارة السومرية القديمة في بلاد ما بين النهرين في « أور » وجمده نصر ، كما تأثر الفخار العماني أيضا خلال هذه الفترة بما ورثه الصناع العمانيون من الأساليب الإيرانية في جنوب الخليج وجنوب ايران ، حيث دلت الشواهد الأثرية على وجود صلات تجارية خارجية منذ القدم بين هذه المناطق الحضارية وعمان . وفي الفترة الإسلامية وجدت قطع فخارية في وادي بنى غروص تشير الى مجموعة فخار سامراء وسيراف ، واليمن ، أما خلال فترة حكم دولتي اليعاربة وآل بوسعيد ، فقد وجد في كل من رأس الحد بصور وقرينات وصحار ومسقط وبهلا مجموعة من القطع الفخارية تشبه الى حد كبير ما عثر عليه في جيدي وجزر لامو بشرق أفريقيا .

وسوف نريدنا دراسة المجموعة الكاملة للفخار المكتشف في مختلف مناطق عمان على فهم الأسس التي قامت عليها الحياة الاقتصادية خلال العصور القديمة .

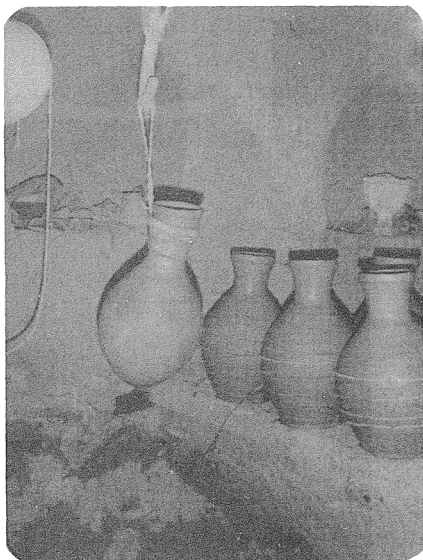
ولاشك أن هناك العديد من الملاحظات يجدها الباحث عند زيارته لـ مختلف مراكز الصناعات الفخارية العمانية ، فعمان ملتقى للحضارات القديمة ، والبوتقة التي صهرت مختلف التأثيرات الحضارية القادمة من البلاد المجاورة ففى كل من بهلا ومسلمات وصحم توجد التأثيرات السومرية القديمة واضحة للعيان فى بهلا فعجلة الفخار « القالب » سومرى لايزال يستخدم حتى الآن ، أما مصنع سور الشادى فى صحم فقد تأثر بالنمط الايرانى فى صناعة الفخار فـقالب الصناعة ، وشكل المهبة ، وطريقة التشكيل ، والمسميات الفارسية لاتزال تستخدم حتى وقتنا الحاضر . فى حين تأثرت صناعة الفخار فى مسلمات بالنمطين السومرى والايرانى فـقالب الفخار سومرى وطريقة ضرب الفخار ايرانية .

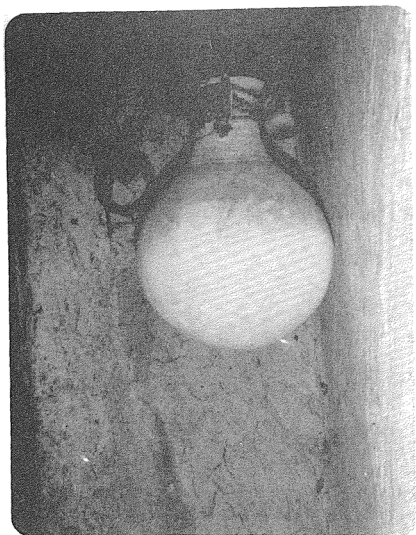
وفيما يلى بعض نماذج من صناعة الفخار :



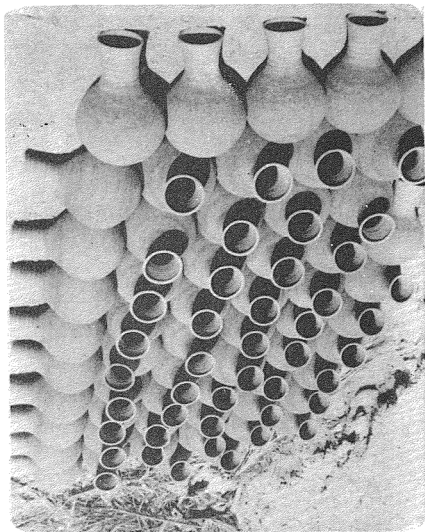
شكل (١) خرم من الفخار

شكل (٢) بعض القطع الفخارية المصنوعة في مسيلحات

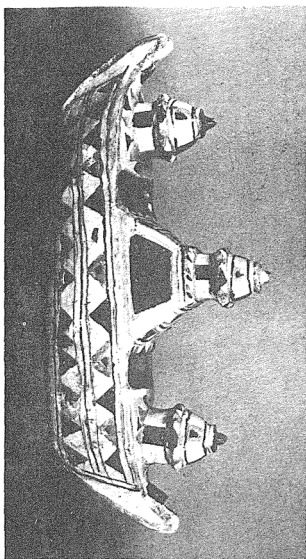




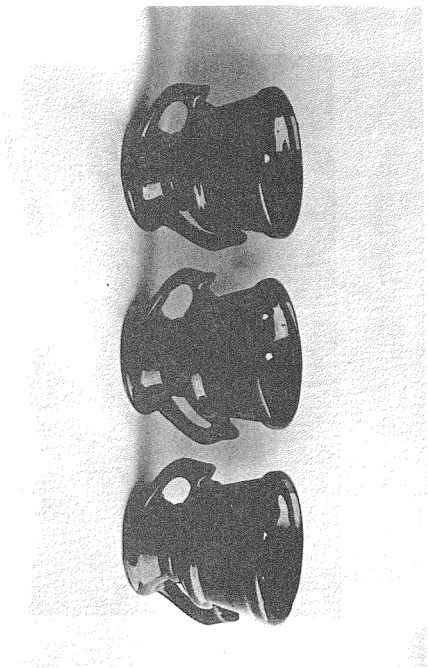
شكل (٣) جلة من الفخار تملأ بالساء وتعلق في الهواء لتجريد الساء



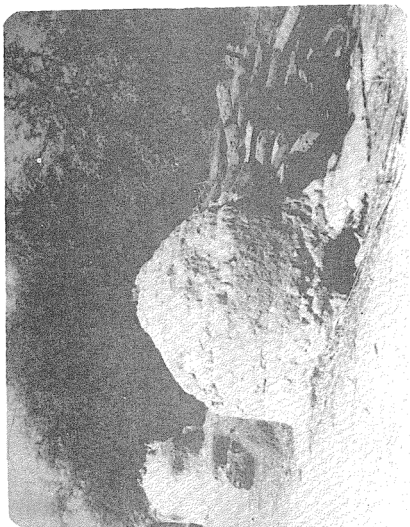
شسكل (٤) مجموعة من الجبال المختلطة الاجسام وهي مصنوعة في مسيليات



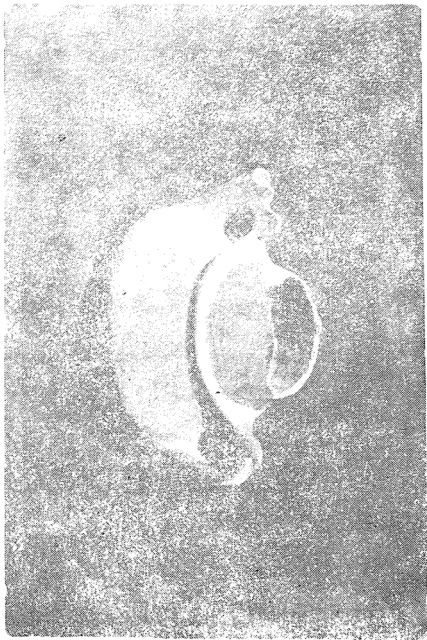
مسك (٥) نموذج جميل لجمرة صليبية مصنوعة من الخار



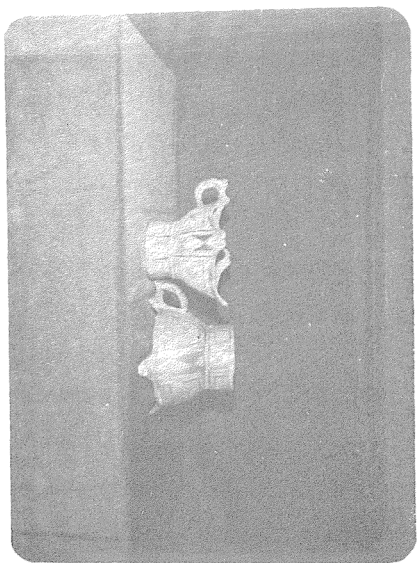
شكل (٦) ثلاثة نماذج للجامر الممانية مصنوعة من الفخار



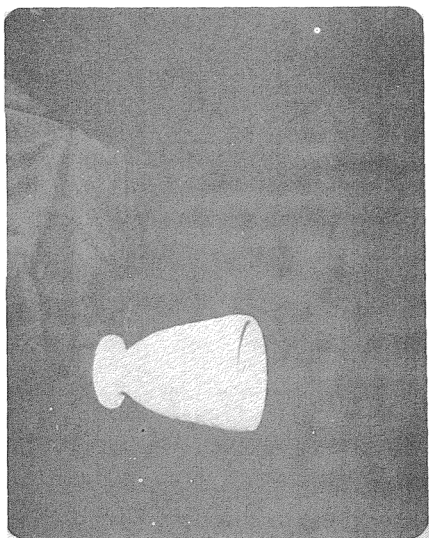
شكل (٧) غرن لحرق النخل



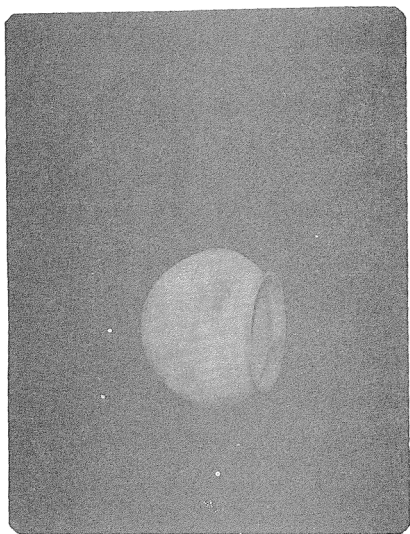
شكل (٨) نموذج جميل يمتاز بجودة الصنع والمهارة للحفارة من النخيل



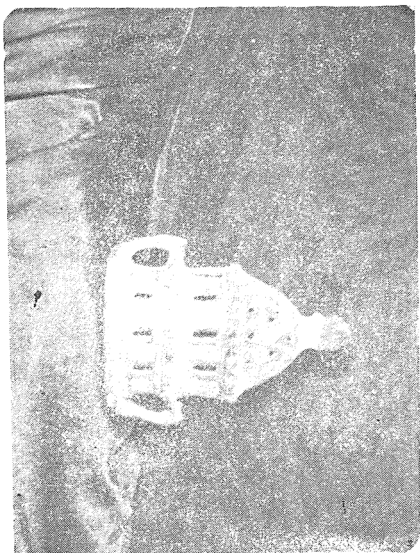
شكل (٩) أشكال مختلفين من المسارح العمائية يتوارث بوقت المنع
والألوان الجميلة المناسقة



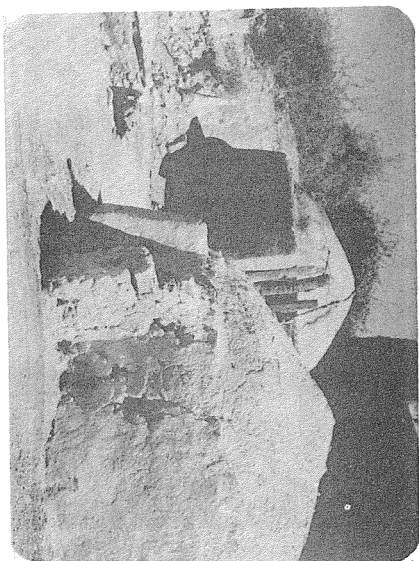
شكل (١٠) نموذج لقطعة فخارية تميز بالدقة



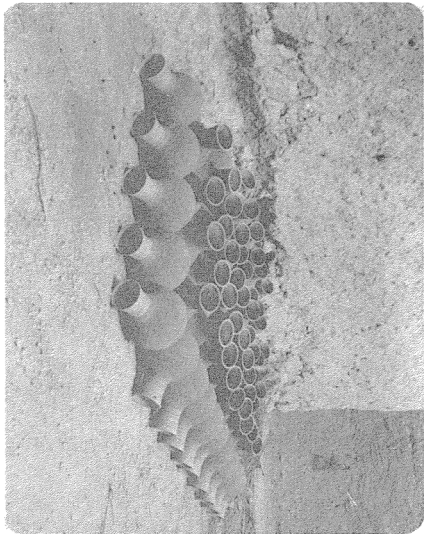
شكل (١١) شكلان مختلفان (ابريق وكوب) مصنوعان من الفخار



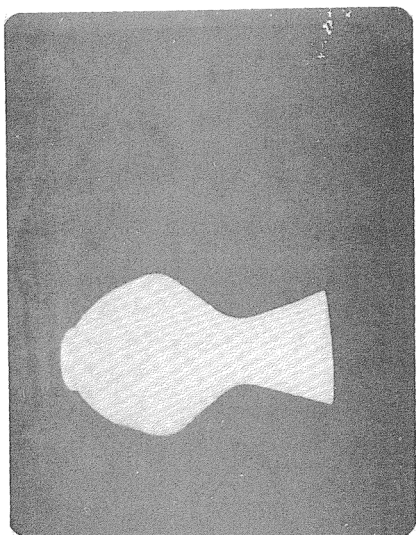
شكل (١٢) نموذج جبل لبعض المجاور العمالية مصنوع من النجار



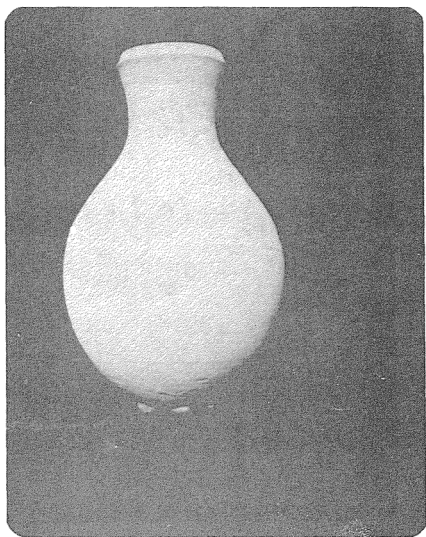
شكل (١٣) نموذج آخر لفرن لحرق الأواني والقطع الفخارية



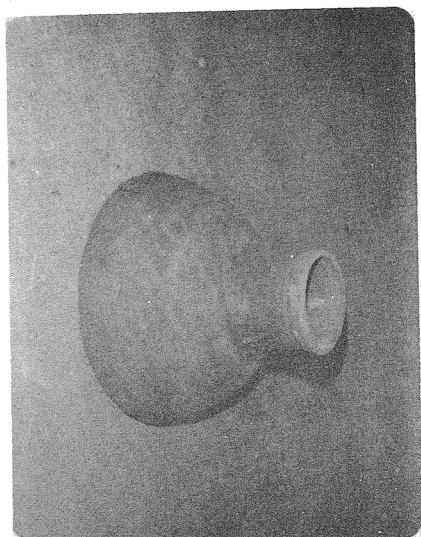
شكل (١٤) نماذج من القطع الفخارية مرسومة تمهيدا لاحتها في الثرن



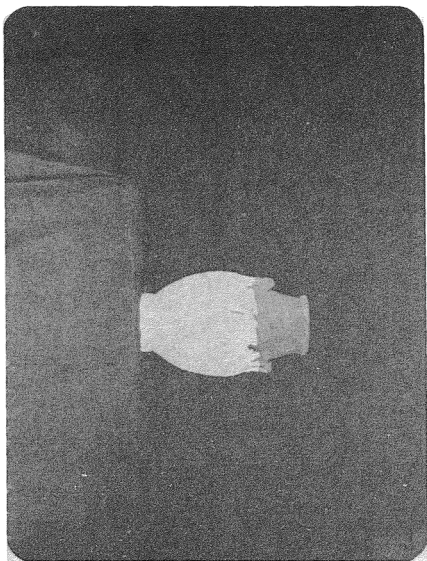
شكل (١٥) جلة من الفخار من صنع بهلا



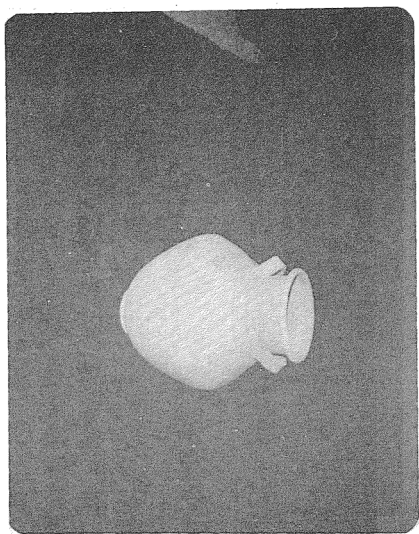
شكل (١٦) جلة من الفخار من صنع مصليات



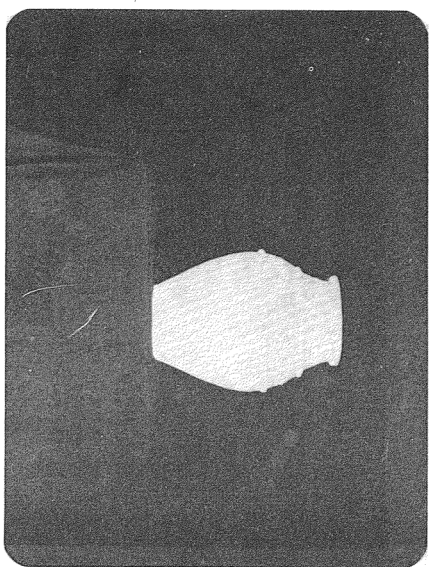
شكل (١٧) جلة من النخار مزينة بأشكال هندسية من صنع صحم



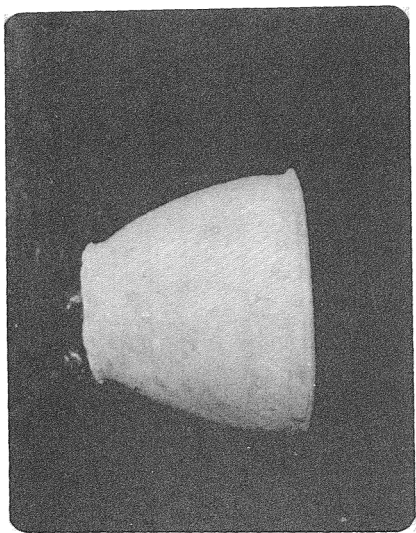
شكل (١٨) جر مصنوع من النخل من صنع بهلا



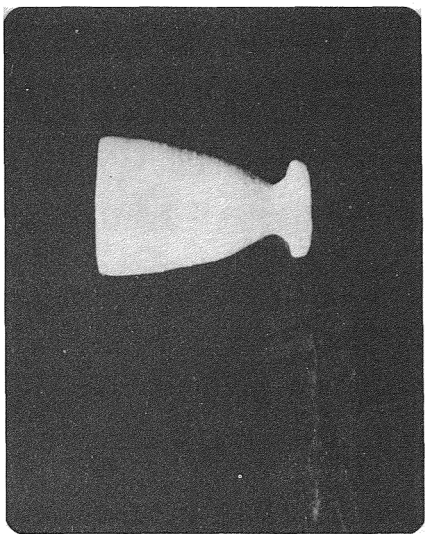
شكل (١٩) جر من الفخار في مسيلحات



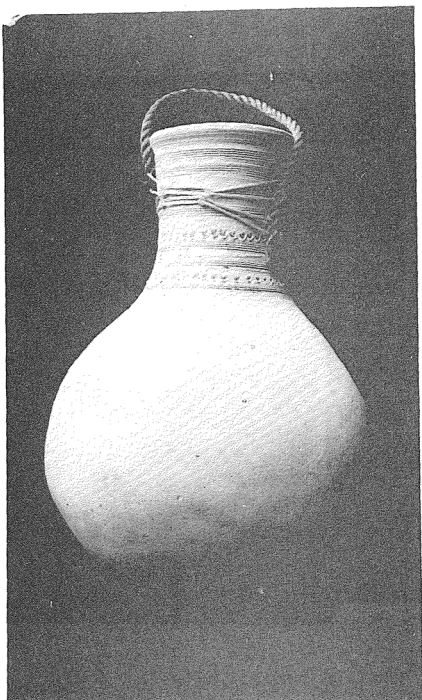
شكل (٢٠) جر من الفخار لوضع النمر (البلع) من صنع بهلا



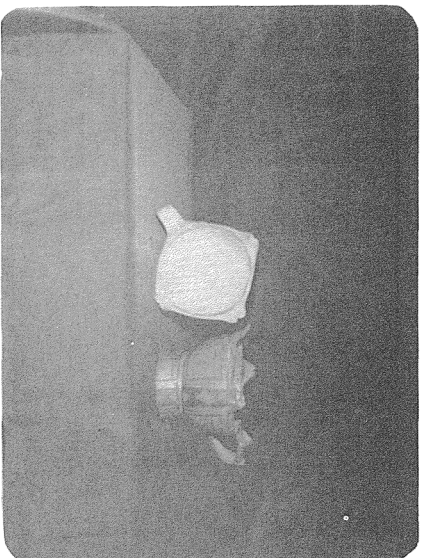
شكل (٢١) مكية مصوغات العرس في بيلا



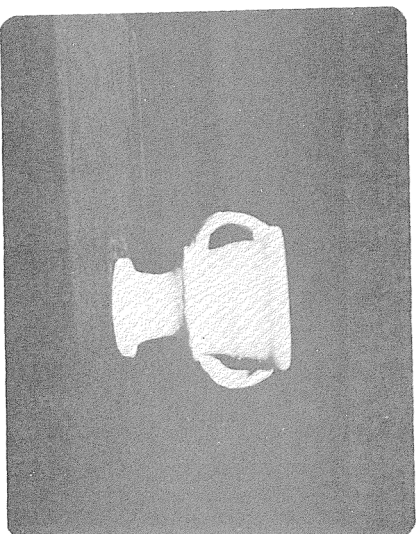
شكل (٢٢) كوب ماء من الفخار من صنع مسلمات ويسى فى بهلا كبير



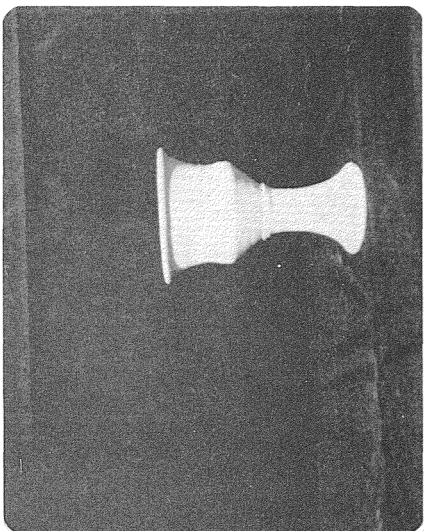
شكل (٢٣) نموذج جميل للحيلة مصنوعة من الفخار



شكل (١٤) نموذج من الجار المخارية المصنوعة في كل من صلالة وبهلا
ومسلات وتستخدم الجار لحرق اللبان والصمغ العربي في الأعياد والمناسبات
الدينية وحفلات الزواج والزوار والختان والوفاء



شكل (٢٥) نموذج آخر لجرّة صينية من مسلمات تستخدم لحرق الدخون
في الأعياد والمناسبات الخفيفة كما تستخدم أيضا لحرق بعض الأعشاب مثل
الجمدة لإزالة حصى الأطفال أو شجرة الخفاف عند الإصابة بالشلل



شكل (٢٦) نموذج جبل لجمرة عمانية مصنوعة من الفخار من صنع
مسلمات وصحر وبهلا تستخدم لحرق اللبان والصبغ العربي في الأعياد
و المناسبات المختلفة

مصناعة الهك

عرف أهل عمان البحر وعركوه وعملوا على استغلال ثرواته قدر طاقتهم وتعاملوا مع أهل السفن الذين كانوا يقصدونها من مسافات بعيدة مثل الهند وجنوب شرق آسيا وشرق أفريقيا . وركبوا السفن للتجار مع السواحل المقابلة لهم ، فباعوا في أسواقها واشتروا . وقد أظهر أهل السواحل منهم نشاطا في ركوب البحر لا نجده عند أهل السواحل الغربية .

وبالإضافة الى التجارة خرج العمانيون للاستيطان في مواطن جديدة وغربية ونائية وكونوا هناك جاليات كبيرة استطاعت بمرور الزمن أن تشيد دولا وتقيم حضارات مزدهرة .

وفي العهد الاسلامي الأولي شارك أهل عمان في الفتوحات العربية ونشر الدين الاسلامي الحنيف في بقاع عديدة خارج حدودهم . كما استوطنت جماعات من بلاد أخرى الشواطئ العمانية ، ومن الدلائل الأثرية المكتشفة هياكل بشرية بأرض عمان تمثل الدراغديين أى سكان الهند القديمي .

ومما لاشك فيه بأن اتجاه عمان الى البحر ساعد في عزلتها عن بقية أجزاء شبه الجزيرة العربية فظهرها الخلفى صحراء الربع الخالى حيث لا توجد أنهار تصل الداخل بالساحل ولكن الألسنة البحرية ساعدت على خلق موان ممتازة على الشواطئ العمانية مثل ميناء مسقط وفي العهد القديمة ميناء سمهرم وميناء صحار .

والى جانب التجارة مارس سكان الشواطئ حرفة صيد الأسماك فعمان ذات ثروة سمكية وتمتد شواطئها مسافة ١٧٠٠ كيلو متر .

وقد ساعدت هذه أهل البلاد على اتقان صناعة شبك الصيد بمختلف أنواعها فهناك لياخ المقيليبي والمنصب والسينى والوهيفى والطريقى لصيد الأسماك الكبيرة أما غاروة القطين وغاروة الشريخ فهي لصيد البرية والبياح كما تصاد القشران والدبس بالدوبابة بالاضافة الى استخدام القرقرور المصنوع من سعف النخيل لصيد الأسماك المتوسطة الحجم •

وكانت البرمة حتى عهد قريب تستخدم لصيد السوام بوضعها في الساحل وتغطى بالليخ وتترك بواسطها فتحة لدخول الأسماك • وتعد هذه الطريقة احدى الطرق التقليدية القديمة التى كانت موجودة واندثرت في الوقت الحاضر •

والمعروف أن بعض شبك الصيد يحملها الصياد بنفسه لصيد السمك من مسافة قريبة في حين يحمل بعضها في القوارب لرميها بعد ذلك والبعض الآخر يترك في قاع البحر •

وقد كانت شبك الصيد تصنع في الماضى من الغزل والنسيج أما في الوقت الحاضر فتصنع الشباك من النايلون • ويذكر الأهالى بأن صناعة اللياخ من النايلون أكثر سهولة ويسرا أما صناعتها من الغزل والنسيج فهي أقوى وأكثر صلابة ولكنها تحتاج الى وقت طويل لصناعتها •

وتتم صناعة شبك الصيد في السابق بجلب الغزل والنسيج من مسقط ويتم تقسيمه بين النساء أربعة أجزاء لغزله • وتجمع هذه الأجزاء في قسم واحد ويحاس ثم يحك بواسطة حبل ليف ويترك « يصنع » بعد ذلك بمسلاخ « لوح » ومرابة « زور » وتوضع الشبكة بعد صناعتها في اناء كبير ويخلط مع الهك ويطبخ لمدة يوم وليلة لتقويته وجعله أكثر تماسكا ثم يغسل بماء البحر ليصبح جاهزا للرخى أى لصيد السمك •

وفي الحقيقة أنه بعد انتهاء الصناعة توضع على أطراف شبك الصيد الكبيرة كرب قم الذى يذكر الأهالى بأنه كان يجلب فى السابق من سقطه وبر المهرة • كما يوضع خرز من الرصاص وكرب قم على أطراف بعض شبك الصيد الصغيرة مثل فاروه القطين لصيد البرية •

ومما لاشك فيه بأن صناعة شبك الصيد فى الماضى القريب ترتبط بها صناعة الهك التى تعنى بالفارسية النورة • وتتم هذه العملية باحضار المحار « الصدف » من الشواطىء القريبة أى حوالى ٤٠٠ كيلو جرام بالإضافة الى حوالى ١٥٠٠ كربة نخيل وتحرق المحار ويجمع ويتم تكسيه على شكل قطع صغيرة الحجم ويوضع فى خصف من سعف النخيل ويخلط بماء البحر ويترك للتفاعل حتى يصبح شبيه بالنورة • وفى الحقيقة يستخدم الهك بعد تجهيزه بخلطه مع شبك الصيد المصنوعة من البع والغزل لتصبح هذه اللياخ أكثر متانة • كما يستخدمه الأهالى فى تجبير كسور العظام • ولاشك أن هذه الصناعة أى صناعة الهك قد انقرضت تماما وذلك بانقراض صناعة شبك الصيد التقليدية من الغزل والنسيج • ويمكن إعادة هذه الصناعة الى سابق عهدها اذا وضعنا فى الاعتبار بأن البحر العماني ينضج يوميا بأطنان من هذه الأصداف الصغيرة وبالتالي تشكل مصدر رزق لبعض المواطنين العمانيين باحياء هذه الصناعة •

وسوف تقوم وزارة التراث القومى والثقافة بأول تجربة لصناعة الهك ودراسة امكانية تجربته فى عمليات ترميم المباني التاريخية فى البلاد ، بالإضافة الى صناعة بعض المواد الأخرى التى سوف تصنع محليا مثل النورة والجص والصاروج •

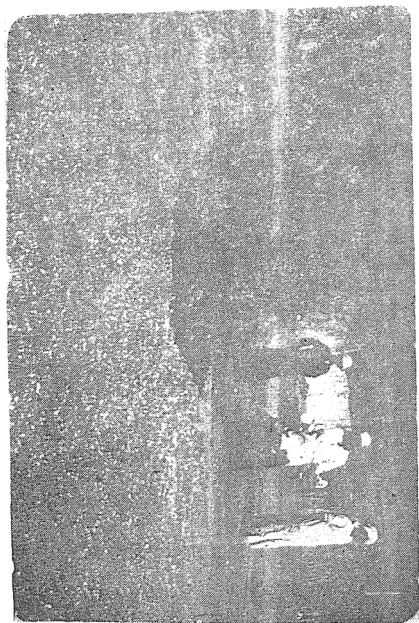
وشمى الى بعض المناظر الخاصة بجمع المحار وحرقه وتكوين الهك •



شكل (٢٧) جمع الحار (المصنف) لصناعة البك



شكل (٢٨) وضع المحار بين كريب النخيل



شكل (٢٩) حرق المحار



مسك (٣٠) صناعة الهك من المصنف الى تجير المظالم

محتويات المجلد الرابع

• رقم الصفحة

صفحات مطوية من تأثيرات الحضارة العمانية	
في المغرب	• • • • •
٥٤ — ٥	

خامسا : عمان في مواجهة البرتغال

دور العرب والفرس في مكافحة الاستعمار	
البرتغالي في الخليج (دراسة مقارنة)	
١٠٥ — ٥٧	

سادسا : الصناعات المحلية في عمان

مقدمة عن صناعات عمان	• • • • •
السفن ونماذج منها	• • • • •
صناعة الغزل والنسيج وصور لبعض	
المنسوجات	• • • • •
١٢٨ — ١٢٧	

الصناعات المعدنية :

الصناعات المعدنية (الفضية) وصور	
لبعض المصنوعات	• • • • •
١٩٠ — ١٦١	
الصناعات المعدنية (النحاسية) وصور	
لبعض المصنوعات	• • • • •
١٩٥ — ١٩١	
صناعات الجلود وصور لبعض الصناعات	
صناعات الحصر والسلال وصور لبعض	
الصناعات	• • • • •
٢٣٥ — ٢٣٣	
صناعات من سعف النخيل وصور لبعض	
الصناعات	• • • • •
٢٧٧ — ٢٣٦	
صناعة الفخار وصور لبعض الصناعات	
٣١٤ — ٢٧٨	
صناعة الهك وصور لبعض الصناعات	
٣٣٢ — ٣١٥	



٦ شارع البراموي - عابدين - القاهرة ت : ٩١٤٨٨١

